



أحمد عبد الله الدامغ

الجزء العاشر



مركز سعود البابطين الخيري للتراث والثقافة
قسم الدراسات والبحوث والنشر
الرياض ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م



ح احمد عبدالله الدامغ، ١٤٢٤ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الدامغ ، احمد بن عبدالله
الادب المثمن / احمد بن عبدالله الدامغ - الرياض، ١٤٢٤ هـ
١٦ مج. ، ٣٣٦ ص ، ١٧ x ٢٤ سم
ردمك: ٥-٣٣١-١٠-٩٩٦٠ (مجموعة)
٣-٣٣٢-١٠-٩٩٦٠ (ج ١)
١- الادب العربي - مجموعات أ- العنوان
ديوي ٨١٠، ٨ ١٤٢٤/٢٧٧٣

رقم الإيداع: ١٤٢٤/٢٧٧٣
ردمك: ٥-٣٣١-١٠-٩٩٦٠ (مجموعة)
٣-٣٣٢-١٠-٩٩٦٠ (ج ١)

المملكة العربية السعودية ص.ب ٩٣٩٢٧ الرياض ١١٦٨٣ هاتف ٤٨٧٠٥١٣
فاكس ٤٨٧١٤٢٧/٢٦
الموقع على الأنترنت
www.albabtain-center.com
البريد الألكتروني:
E-mail: info@albabtain-center.com



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

أيها القارئ الكريم، هذا هو الجزء العاشر من كتابي «الأدب المثمن» أضعه بكل تواضع بين يديك ـ وإن كان لي شيء أقوله بمناسبة تقديم هذا الجزء فهو الإشارة إلى تجدد النشاط في استمرار الكتابة.. خاصة بعد أن أنهيت هذا الجزء.. وهو نشاط ما كنت أعهده في نفسي. بل إنني كنت أجد نفسي مع نهاية كل جزء من الأجزاء التسعة السابقة أشعر بشيء من الفتور الذي ربما ساورني معه اتخاذ قرار بإيقاف الكتابة والاكتفاء بما تقدم من أجزاء؛ لكنني عندما أنهيت هذا الجزء كان شعوري يختلف تماماً عن شعوري عند اختتام كل جزء من الأجزاء التسعة السابقة، حيث وجدتني أملك نشاطاً يدفعني إلى القراءة والبحث عن الموضوعات الملائمة بكل جدٍّ وحيوية. فعسى أن يكون لذلك النشاط ثمرة تحقق أجزاء أخرى هذا وأسأل الله العون والتوفيق والسداد إنه هو وليّ ذلك والقادر عليه.

المؤلف

أحمد عبد الله الدامغ



هذا الموضوع منتخب لأن يكون في الصفحة الأولى!!

في الأجزاء التسعة المتقدمة على هذا الجزء. كنت أضع كل واحدٍ منها ما يشبه المقدمة كالتنبيه إلى بعض الأشياء التي اشتملت عليها خطة هذا الكتاب. ولم أتطرق إلى ذكرها في المقدمة الواقعة في الجزء الأول بصورة موضحة. لأجعل القارئ الكريم على علم بها..

أما في هذا الجزء. وهو الجزء العاشر فقد انتخبت لصفحته الأولى موضوعاً من بين عدد من الموضوعات التي كانت متوفرة لدي.. وهو موضوع يستحق بأن يكون في رأس قائمة ـ الفهرست ـ فماذا ترى سيكون هذا الموضوع؟ إنه أيها القارئ الكريم نصوص مما جاء في بعض الأحاديث الابتهالية الشريفة التي منها: أن أم سلمة قالت: هذا ما سأل به محمد ﷺ ربه:

«اللهم إني أسألك خير المسألة، وخير الدعا، وخير النجاح، وخير العمل، وخير الثواب، وخير الحياة، وخير الممات، وثبتني وثقّل ميزاني، وحقق إيماني، وارفع درجاتي، وتقبل صلاتي، واغفر خطيئتي، وأسألك الدرجات العلا من الجنة.

اللهم إني أسألك فواتح الخير، وخواتمه وجوامعه وأوله وظاهره وباطنه..

اللهم إني أسألك أن ترفع ذكري وتضع وزري، وتصلح أمري، وتطهر قلبي، وتحصن فرجي، وتنور لي قلبي، وتغفر لي ذنبي..

اللهم إني أسألك أن تبارك في نفسي وفي خَلْقي. وفي خُلُقي وفي أهلي، وفي محياي، وفي مماتي، وفي عملي، فتقبل حسناتي، وأسألك



الدرجات العلا من الجنة». . أخرجه الحاكم في المستدرك.

والإنسان المسلم يقتبس دعاءه من الأحاديث الابتهالية الشريفة، ويدعو بما يستطيعه، وإذا كان شاعراً نظم شعراً ابتهالياً يتلذذ بقراءته. وذلك مثل قصيدة الشاعر السعودي عبيد مدني والتي منها:

هذا اجتهادي كنتُ أحسب أنني
وافقت فيه رضاك في الخلوات

ولأن تنكبتُ الطريق فدلّني
بهداك حتى تهتدي خطواتي

احفظ يقيني فيك واحم نقاءه
من شكّه وادعم جذور ثباتي

وتولّ أحبابي الذين أقيهموا
بهاءتي وسلامتي وحياتي

وتولّني معهم لأبْلغ فيهموا
ما أرتجيه فهم حُلى غاياتي

واشمل مساعينا وكل شؤوننا
باليسر والتنويل والبركات

واشفع دعائي بالإجابة ما مضى
منه وما يأتي.. على علاتي

أنت الخبير بما تجن عقيدتي
وبما يرافقها من الإخبات

○○○○○

تقاول في منظومة الكلواذاني

وليس أقل من القول بأن التقاول في القصيدة يمثل نافذة يطل منها الشاعر على عالم يريد أن يخاطبه بالأسلوب الذي يفهمه. وبالدرجة التي تتفق والمستوى الفكري والعقلي والأدبي والعقيدي الذي يتمتع به المتلقى طمعاً في أن يؤثّر فيه تأثيراً يحمله على الاستجابة لما يتضمنه التقاول من أهداف.

والبحث في موضوع التقاول في الشعر ليس جديداً بالنسبة لي. إذ ليس هذا أول موضوع أكتبه عن التقاول فقد تقدم في الأجزاء السابقة موضوعات ذات علاقة بما يهدف إليه الشاعر من اتخاذ أسلوب التقاول في بعض قصائده التي يطرق بها بعض جوانب الحياة وسيلة لإيصال معلومة يرى أن مطيتها تتمثل في ـ قلت وقال، أو قال وقلت ـ والذي يقرأ الدواوين الشعرية يجد كثيراً من القصائد تشتمل على كثير من التقاولات؛ لأن التقاول أسلوب يجد الشاعر فيه سبيلاً إلى البوح بما في داخل نفسه. وما تنطوي عليه سريرته من أشياء لها ارتباط بالآخرين من الذين يلقى عليهم ويتلقى منهم ما يخفف عنه معاناته. ويذهب بؤسه.

ـ ولكن هناك تقاولات فيها تصوير للواقع، ودحض للافتراء، ودمغ للأباطيل والضلالات.. ومجادلة لأهل الشرك والزيغ والعناد والفساد. وذلك مثل ما جاء في منظومة الشيخ محفوظ بن أحمد بن حسن الكلواذاني، المولود سنة ٤٣٢هـ، والمتوفى سنة ٥١٠هـ، والمشهور بأبي الخطاب الحنبلي. التي ذكرت بل استشهدت بجزء منها في موضوع





وقع في الجزء السادس من هذا الكتاب عنوانه: «قالوا» وفي هذا الموضوع. أنقل جزءاً آخر منها كشاهد على أن التقاول من الأساليب التي تتخذ لإقامة الحجة، وهو قوله في الرد على الملحدين:ـ

قالوا فما القرآن قلت كلامه
لا ريب فيه عند كل موحد

قالوا النزول فقلت ناقله لنا
قومٌ هم نقلوا شريعة أحمد

قالوا فكيف نزوله فأجبتهم
لم ينقل التّكييف لي في مسند

قالوا فأفعال العباد فقلت ما
من خالق غير الإله الأمجد

قالوا فهل فعل القبيح مراده
قلت الإرادة كلها للسيد

لو لم يُرِده وكان نقيصة
سبحانه عن أن يُعَجِّزَهُ الردى

قالوا فما الإيمان قلت مجاوباً
عملاً وتصديقاً بغير تبلّد

قالوا فمن بعد النبي خليفة
قلت الموحد قبل كل موحد[1]

○ ○ ○ ○ ○

---

(١) يعني بذلك أبا بكر رضي الله عنه حيث جاء في البيت الذي يليه قوله:ـ
حاميه في يوم العريش ومن له   في الغار أسعد يا له من مسعد

البوّ. والبوة

في ناحيتنا في منطقة سدير الواقعة في قلب الجزيرة العربية نستخدم لفظة «البوّ» للتعبير بها عن الإنسان الذي لا يحسن التصرف قولاً وعملاً بينما هو مكتمل الصورة والهيئة.. ولم يظهر عليه من الناحية الجسمية ما يدل على تدني مستواه العقلي والفكري إلى درجة يساوي فيها طبعه وسلوكه طبع وسلوك الحيوان.

والبوّ الذي يُشَبَّهُ الإنسان به ويوصف بالصفات التي أشرت إليها آنفاً ـ لغة صحيحة فصيحة. فقد جاء في تاج العروس للإمام اللغوي السيد محمد مرتضى الزبيدي في فعل الباء من باب الواو ـ قوله: ـ البوّ ولد الناقة ـ وهو أيضاً جلد الحوار يحشى ثماماً أو تبنا ـ إذا مات الحوار فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدر.

وعلى هذا فالبوّ يتخذ للخدعة ـ وتشبيه بعض الناس الذين لا يملكون إدراكاً ولا عقلاً يصرفون به شؤون حياتهم قد جاء مجازاً.. بل إن صاحب التاج قال: ـ والبوّ.. الأحمق ـ وقيل في المثل: هو أخدع من البوّ وأنكد من اللوّ ـ وفي التشبيه قيل: هو كالبوّى. وهي بوة وبوي... ـ وقد أورد الزبيدي على ذلك شواهد من الشعر القديم. لكنني أترك ذكرها هنا لأنقل أبياتاً من قصيدة متحدة البناء للشاعر السعودي المعاصر السيد عبيد مدني الذي ضمنها تعريفاً أدبياً لمعنى البوّ وتوضيحاً جلياً لشكله وحاله.. من ذلك قوله:ـ

أتعرف من هو البوّ المزوقُ

تقمص زيّ إنسان موفقْ



تراه فيستبيك بما تراه
عليه من التعقُّل والتعمقْ

وتبلوه فلا تلقاه إلا
سراباً أو جهاماً حين ينطق

وتسمع ما يلفق من هراء
فتعرف عند ذلك أي أحمق

تحمل عبء أعمال ثقال
فناء بما تحمله وأخفق

وأضحى لُعبة الأتباع جهراً
فقاموا دونه ـ والأمر مطلق

وناوأ حقّه الأوغاد حتى
سقوه السم في الكأس المروّق

وجانبه النجاح وأيّ
يُرجّى من حليف «الكيف» و«الرّق»

والقصيدة أطول من ذلك، وهي موجودة في الجزء الأول من «المدنيّات».

○ ○ ○ ○ ○

الخلفاء الأربعة في منظومة الكلواذاني

في الجزء الأول من هذا الكتاب «الأدب المثمن» خصصت صفحات لا بأس بها لكل خليفة من الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم. وذكرت باختصار شيئاً من سيرة كل واحد منهم.

وحيث أن سيرهم المعطرة يتحلى بها كل كتاب تتضمنه، فإنه من المناسب جداً أن آتي على ذكر شيء من أقوالهم المأثورة الدالة على تقشفهم وزهدهم. أو الأقوال الدالة على شيء من مناقبهم.. ـ ولنبدأ بأولهم: وهو أبو بكر رضي الله عنه.. فقد روي أنه خرج بعد البيعة ومعه ميزان ورزمة ثياب تحت يده إلى السوق، فقيل له: ما هذا؟ فقال: أكتسب لنفسي وعيالي. فأجمعوا رأيهم وفرضوا له في كل يوم درهماً وثلثي درهم من بيت مال المسلمين.

أما عمر وهو ثانيهم؛ فقد روي أن ابن عباس قال: خرجت أريد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته فألفيته راكباً على حمار قد أرسنه بحبل أسود. وفي رجليه نعلان مخصوفتان، وعليه إزار قصير، وقميص قد انكشفت منه ساقاه فمشيت إلى جنبه وجعلت أجبذ الإزار عليه فجعل يضحك ويقول: إنه لا يطيعك حتى آتي العالية. فصنع له قوماً طعاماً من خبز ولحم فدعوه إليه. وكان عمر صائماً فجعل ينبذ إليّ الطعام ويقول: كل لي ولك.. ـ أما الخليفة الثالث: فهو عثمان بن عفان رضي الله عنه... وقد روي عن ثابت بن عبيدة أن رجلاً قال لعلي: يا أمير المؤمنين إني راجع إلى المدينة. وإنهم سائليّ عن عثمان فماذا أقول لهم؟ قال خبّرهم أن عثمان كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ثم اتقوا وآمنوا، ثم اتقوا وأحسنوا. والله يحب

المحسنين... - أما الرابع من الخلفاء: فهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه... وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: - «من يريد أن يحيا حياتي، ويموت موتي، ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي فليتولّ علي بن أبي طالب؛ فإنه لن يخرجكم من هدى، ولن يدخلكم في ضلال». رواه الحاكم في المستدرك.

والشعراء الذين يمتدحون رسول الله ﷺ يأتون على ذكر خلفائه بما هم أهل له حسب ترتيبهم من حيث تولّيهم الخلافة وذلك مثل قول الشيخ الكلواذاني الذي تقدمت ترجمته في الجزء السادس تحت عنوان: «قالوا»، من قصيدة له:

قالوا فمن ثاني أبي بكر الرضا
قلت الإمارة في الإمام الأزهد

فاروق أحمد والمهذب بعده
سند الشريعة باللسان وباليد

قالوا فثالثهم فقلت مجاوباً
من بايع المختار عنه باليد

صهر النبي على ابنتيه ومن حوى
فضلين فضل تلاوة وتهجد

أعني ابن عفان الشهيد ومن دُعي
في الناس ذو النورين صهر محمد

قالوا فرابعهم فقلت مجاوباً
من حاز دونهم أُخوة أحمد

زوج البتول وخير من وطئ الحصى
بعد الثلاثة عند كل موحد

أعني أبا الحسن الإمام ومن له
بين الأنام فضائل لم تجحد

ثورة على الهذر!!

إن الانفجار السكاني الذي أخذ في التزايد بصورة مذهلة قد أوجد ضروباً مختلفة من الناس... وأفكاراً متفاوتة. وعقولاً متعارضة. وآراء متشعبة، ونظرات متباينة.. وهذا الخليط الذي ملأ الأرض. قد أخذ في تنظيم وسائل إعلامه ونقل واستقبال الأخبار وتصوير الأحداث التي منها ما هو وهمي يقصد به التهويل. ومنها ما هو حقيقي.. ـ وقد أصبح لكل فئة من الناس أسلوب كلامي ملمع وعبارات رنانة يعزّز بها منهجه.

وعالم على هذه الشاكلة لا بد أن يتطلع إلى تلقي الصور والأخبار وأحداث الساعة وأن يكثر هذره وتقل الحكمة في تعامله... ـ ولهذا أمعنت ألسن المحدثين ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية في جمهرة الكلام واستقطابه في شتى المذاهب والأغراض. فحصل التنافس على استمالة أسماع الناس وجذبهم إلى الإصغاء إلى ما يبثونه من كلام بأساليب مختلفة فكان لا بد أن يحصل مع ذلك شيء من التزويق والتلفيق الذي يسترعى الانتباه ويوجب الانتقاد.

ـ وعلى هذا النسق من بثّ الأخبار التي وصفت حالتها، ودخل بها أصحابها في مفهوم البضاعة الكاسدة، برزت آراء النقاد، وحصل الانتقاد المتجسد في اللوم على الأخذ بالكلام الشفوي والهذر المقصود والعفوي، وتفضيله على الحكمة، وعلى ما يخلفه القلم من إبداع فكري، ورأي ذكي.

وفيما يقرب من هذا المعنى قال الشاعر محمد عبد الرحمٰن صان الدين قصيدة عنوانها «البضاعة الكاسدة» وقوامها ٢٦ بيتاً، منها قوله:ـ



عش كاسفاً غارقاً في الهمّ والألم
يا صاحب الفكر والإبداع والقلم

واقض الحياة غريب الروح ممتهناً
ما دام جهدك لا يعطي سوى الكلم

فالقول مهما سما بارت بضاعته
مثل المبادئ والأخلاق والذمم

تلك المعاني غدت عنقاء خافية
في عالم قدّس الدينار كالصنم

ومنها قوله:ـ

يا صاحب القلم الخلاق ألق به
في لجة البحر. أو في جاحم الضرم

واعمد إلى الهذر واسترزق بساقطة
تظفر بما تبتغي في العيش من نعم

ما دام عصرك قد جفت مشاعره
فانحط منصرفاً عن أعذب النغم

حتى وإن راق في وجدان سامعه
أخفى مشاعره بالصمت والجهم

وقد قرأت هذه القصيدة في العدد (١)، ذي القعدة عام ١٤١٣هـ، من مجلة «منبر الإسلام».

○○○○○

جانب مما أثنى به العلماء والشعراء على ابن تيمية!!

في موضوع تقدم في هذا الجزء ـ عنوانه: «ابن تيمية يجيب على سؤال عن مذهبه»، ذكرت ترجمة مختصرة جداً جداً لشيخ الإسلام ابن تيمية. وقد رأيت فيها الكفاية؛ لأنه علم من أبرز أعلام الإسلام.. ـ أما في هذا الموضوع فإني ناقل جزءاً يسيراً مما أثني به عليه.. ـ فقد قال العلامة الشيخ مرعي الكرمي الحنبلي في كتابه «الدراري» الذي ألفه في مناقب ابن تيمية: قال الحافظ المزي: ما رأيت مثله ـ يعني ابن تيمية ـ ولا رأى هو مثل نفسه، وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنّة رسوله ولا أتبع لهما منه.

قال: وقال القاضي أبو الفتح ابن دقيق العيد: ـ لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً كل العلوم بين عينيه يأخذ ما يريد ويدع ما لا يريد. وقلت له: ما أظن أن يخلق مثلك.

قال: وقال الشيخ إبراهيم الرقي: ـ إن تقي الدين يؤخذ عنه ويقلد في العلوم فإن طال عمره ملأ الأرض علماً وهو على الحق. ولا بد من أن يعاديه الناس؛ لأنه وارث علم النبوّة.

قال: وقال القاضي ابن الحريري: إن لم يكن ابن تيمية شيخ الإسلام فمن هو؟. قال: وقال الحافظ الزملكاني: ـ لقد أعطي ابن تيمية اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب، والتقسيم والتعيين. وقد ألان الله له العلوم كما ألان لداود الحديد؛ كان إذا سئل عن فن من العلم ظنّ الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحداً لا يعرفه مثله. ثم قال:ـ



ماذا يقول الواصفون له
وصفاته جلت عن الحصر

هو حجة للّه قاهرة
هو بيننا أعجوبة الدهر

هو آية في الخلق ظاهرة
أنوارها أربت على الفجر

قال: وقال فيه شيخ النحاة أبو حيان لما اجتمع به: ما رأت عيناي مثله ثم مدحه على البديهة في المجلس بأبيات، منها قوله:

لما أتينا تقي الدين لاح لنا
داعٍ إلى اللّه فرداً ما له وزر

على محياه من سيما الأُلَى صحبوا
خير البرية نورٌ دونه القمر

حبر تسربل منه دهرنا حبراً
بحر تقاذف من أمواجه الدرر

قام ابن تيمية في نصر شرعتنا
مقام سيد تيم إذ عصت مضر

وأظهر الحق إذ آثاره درست
وأخمد الشر إذ طارت له شرر

○○○○○

الاستعارة في الشعر!!

يتعشق بعض الشعراء مطالع قصائد لشعراء سبقوهم. فيستعيرونها منهم ليضعوها حجر زاوية لقصيدة يريدون بناء واجهتها على نمط الهندسة الشعرية التي أعجبوا بمدخلها.

والنّقاد لا يرون في ذلك ما يضير؛ ولا يعدونه نقصاً في شاعرية الشاعر، وإنما يحسبه بعضهم من حسن الذوق لدى الشعراء. بل ربما أضافه إلى مناقبهم المتعلقة بسعة المعرفة وعمق الاطلاع وفنية الصنعة.

وهذا النوع من الاستعارة ليس مقصوراً على الشعراء المبتدئين بل إن الكثير من الشعراء المرموقين يكون لهم تعامل في ذلك المجال؛ لأنه ليس كالتضمين الذي ربما يكون لقلم الناقد فيه مجال. إذ أن التضمين يعده بعض النقاد رصيداً للشاعر خاصة إذا استخدمه في أغراض القافية، وأعجاز الأبيات؛ كأن يعمد إذا ما ضاقت عليه القافية إلى البحث عنها لدى شاعر تقدّمه فيأتي بنصها دون أن يضع ما يأخذه من غيره بين قوسين للدلالة على أنه من منقوله وليس من قوله. ولا يعلق عليها تعليقاً هامشيا يذكر فيه اسم الشاعر الذي سبقه إليها.

أما اقتراض الشاعر لمطالع القصائد من شاعر معاصر سابق إلى القول أو شاعر متقدم فهو جائز وليس عليه اعتراض؛ ولا في استخدامه منقصة تلحق بمستوى الشاعر وقيمة شعره.. فكم وكم من شاعر له مكانته في عالم الشعر استهل بعض قصائده بقول من سبقه.. وأقرب مثال على ذلك ما صنعه مجد الدين أبو سعيد بوري الأيوبي الملقب بتاج الملوك الأيوبي الذي استهل إحدى قصائده بقول المتنبي:ـ



«حشاشة نفس ودعتْ يوم ودعوا
فلم أدر أيَّ الظاعنين أُشيع»

ثم يمضي في إجازة ذلك البيت قائلاً:ـ

تولّوا فولتْ منهم كلُّ لذة
فلم يبق لي في لذة العيش مطمع

همو ملأوا قلبي أسى وكآبة
فلم يبق فيه للمرّة موضع

وكيف أرجي أن أفيق من الأسى
وقلبي بتذكار الأحبة موجع

جنيت على نفسي الهوى فأذاقها
من الوجد كاسات بها السم منقع

وضيعت عمري بين ثُكلى وفُرقة
ألا في سبيل اللّه عمري المضيع

ولتاج الملوك الأيوبي من قصيدة أخرى:ـ

ذهب الكرام فأي شيء أصنع؟
لم يبق في أحد لخير موضع

أخنى عليهم ثم بدّد شملهم
زمن يفرق تارة ويجمع

○ ○ ○ ○ ○

ابن تيمية يجيب على سؤال عن مذهبه!!

وحينما يدور الحديث عن شخصية تاريخية معروفة أو علم بارز من الأعلام الذي يكفي عن التعريف به ذكر كنيته أو لقبه إن كان ملّقباً.. فإنه لا يُعَرّج بالحديث عنه إلى سيرته الذاتية على اعتبار أنه يدخل في مفهوم المثل القائل: «عَلَم في رأسه نار».

والشيخ ابن تيمية من الأفذاذ الذين ينطبق عليهم ذلك المثل.. ومن ذا الذي لا يعرف ابن تيمية رحمه الله من خلال مؤلفات في العقيدة الإسلامية، وتصديه لأهل البدع والضلال؟.

ولكن وحتى لا يتسرب نسيان ترجمته إلى أذهاننا.. ولأن الحيرة تستولي على أي كاتب يريد الكتابة عنه فلا يدري بأي مناقبه الكريمة يبدأ. وبأي جانب من جوانب علمه يأخذ.. فإنني هنا أورد ترجمةً مختصرةً جداً عن جانب من سيرته العطرة.. فاسمه رحمه الله: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية النميري من نمير بن عامر بن صعصعة. وقد ولد عام ٦٦١هـ، بحرّان من أعمال أورفة بتركيا؛ أما وفاته - رحمه الله رحمة واسعة - فكانت في عام ٧٢٨هـ.

سئل رحمه الله عن مذهبه، وعقيدته فجعل إجابته في منظومة صوّر فيها معتقده الذي هو معتقد الأئمة الأربعة.. من تلك المنظومة التي زخرت جميع أبياتها بالإيمان الصادق، والعقيدة الثابتة التي لم يزعزعها منطق الأفّاكين ولا جدال المضلين.. قوله:

يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي
رُزق الهدى مَنْ للهداية يسألُ



اسمع كلام محقق في قوله
لا ينثني عنه ولا يتبدّل

حب الصحاب كلهم لي مذهب
ومودّة القربى بها أتوسل

ولكلهم قدرٌ وفضلٌ ساطع
لكنما الصدّيق منهم أفضل

وأقول في القرآن ما جاءت به
آياته فهو الحكيم المنزل

وجميع آيات الصفات أُقِرّها
حقاً كما نقل الطراز الأوّلُ

وأَردّ عُهدتَها إلى نقالها
وأصونُها عن كل ما يُتخيل

قبح لمن نبذ القرآن وراءه
وإذا استدل يقول.. قال الأخطل

○ ○ ○ ○ ○

الاشتغال بالبحث في القرآن عبادة ورياضة نفسية

اعلم أيها القارئ الكريم؛ أن العلماء أجزل الله لهم الثواب قد وجدوا في الاشتغال بالقرآن الكريم عبادة ورياضة نفسية. وعملاً ذهنياً نبيلاً.. فنذروا جلّ وقتهم للوقوف على ما فيه من فوائد أدبية يحسن بقارئ القرآن أن يلّم بها. وأن يكون على بصيرة منها.. فبحثوا أثابهم الله عن أطول سورة.. وأقصرها.. وأطول آية.. وأقصرها.. وأطول كلمة.. وأقصرها. ـ كما بحثوا في أنصاف القرآن. وغير ذلك من المباحث التي سأذكر شيئاً منها في موضوع أو موضوعات أخرى إن شاء الله... ـ ولقد كان من حصيلة بحثهم وتقصيهم فيما أشرت إليه آنفاً:ـ

أن أطول سورة في القرآن الكريم هي سورة البقرة.. وأقصر سورة هي ـ الكوثر ـ وهي ثلاث آيات.

وأن أطول آية هي آية الدين من سورة البقرة وهي الآية ٢٨٢. وأقصر آية.. و﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ و﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، وأن أطول كلمة فيه لفظاً وكتابة: ﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾.

أما أنصاف القرآن فثمانية: فنصفه بالحروف ـ النون ـ من قوله: ﴿نُّكْرًا﴾ الواقعة في الآية ٧٤ من سورة الكهف.. ـ والكاف منها واقع في النصف الثاني.. ـ وقيل: بل نصفه بالحروف ـ عين ﴿تَسْتَطِيعَ﴾ من الآية ٤١ من الكهف. وقيل: نصفه بالحروف ـ اللام الثانية من قوله: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ الواقعة في الآية ١٩ من سورة الكهف.

أما نصفه بالكلمات فقوله تعالى: ﴿وَٱلْجُلُودُ﴾ وهي آخر الآية ٢٠ من سورة الحج، وقوله تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾﴾ وهو أول



الآية ٢١ من نفس السورة، من النصف الثاني. . - أما نصفه بالآيات فهي قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الشعراء: ٤٥]: وبداية الصنف الثاني قوله: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الشعراء: ٤٦]. . . - أما نصفه الأول على عدد السور فسورة «الحديد»، والنصف الثاني من «المجادلة».

ومما قيل في القرآن الكريم شعراً قول الشاعر المصري إسماعيل صبري:-

دعوة الحق في كتاب كريم
أعجز الخلق ما حوى من بيان

سَيَّرَتْ آيةُ الجبال وأحيت
سمع من مات من بني الإنسان

لفظه محكم غني فصيح
عربيُّ المبنى جزيل المعاني

فاض مجداً بلاغةً وتسامى
في جلال له انحنى الثقلان

إنه من لدن حكيم عليم
معجز الرأي حجةٌ في البيان

لم يبدّل من آيِهِ أي حرف
هكذا شاء فاطر الإنسان

راقبته عين العناية حفظا
وأنارت به فؤاد الزمان

هو باق كما تنزّل حتى
يُبْعَثَ الخلق للمصير الثاني

افتراء على ابن تيمية

كان ابن تيمية رحمه الله يجيب على الأسئلة التي ترد إليه خطيّاً فدس له أعداؤه دسائس فأوعزوا إلى من كان يجيبهم خطيّاً بأن يحرّفوا كلامه أو يبدلّوه ويرفعوه إلى السلطان في مصر ففعلوا ذلك. فأمر السلطان نائبه في الشام بسؤال ابن تيمية عن اعتقاده، وأن يجمع بينه وبين القضاة والفقهاء للتباحث في ذلك.

قال ابن تيمية: فقلت: أما الاعتقاد فلا يؤخذ عني، ولا عمن هو أكبر مني. بل يؤخذ عن الله ورسوله. وما أجمع عليه سلف الأمة. فما كان في القرآن وجب اعتقاده، وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة؛ مثل صحيح البخاري ومسلم.

وأما الكتب؛ فما كتبت إلى أحد كتاباً ابتداء أدعوه إلى شيء من ذلك. ولكنني كتبت أجوبة أجبت بها من يسألني من أهل الديار المصرية وغيرهم. . ـ وكان قد بلغني أنه زُوّر علي كتاب إلى الأمير ركن الدين الجاشنكير أستاذ دار السلطان يتضمن ذكر عقيدة محرفة، ولم أعلم بحقيقته. لكن علمت أن هذا مكذوب. وكان يرد عليّ من مصر وغيرها من يسألني مسائل في الاعتقاد أو غيره فأجيبه بالكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة.

قال: فقال لي نائب السلطان: نريد أن تكتب لنا عقيدتك. فقلت: اكتبوا. فأمر الشيخ كمال الدين أن يكتب. . وكتبت له جمل الاعتقاد في أبواب الصفات، والقدر، ومسائل الإيمان، والوعيد، والإمامة، والتفضيل.



وهو أن اعتقاد أهل السنة والجماعة: الإيمان بما وصف الله به نفسه، وبما وصفه به رسوله.. من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.. وأن القرآن كلام الله، غير مخلوق. منه بدأ وإليه يعود. والإيمان بأن الله خلق كل شيء من أفعال العباد وغيرها. وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. وأنه أمر بالطاعة ورضيها وأحبها، ونهى عن المعصية وكرهها. والعبد فاعل حقيقة، والله خالق فعله. وأن الإيمان والدين قول وعمل يزيد وينقص. وأن لا نكفّر أحداً من أهل القبلة بالذنوب ولا نخلّد في النار من أهل الإيمان أحداً. وأن الخلفاء بعد رسول الله؛ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وأن مرتبتهم في الفضل كمرتبتهم في الخلافة. ومن قدّم عليّا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار.

ثم قال رحمه الله: قلت من قام بالإسلام في أوقات الحاجة غيري؟ ومن الذي أوضح دلائله، وبيّنه، وجاهد أعداءه، وأقامه لمّا مال. حين تخلى عنه كل أحد. فلا أحد ينطق بمحجته، ولا أحد يجاهد عنه، وقمت مظهراً لحجته مجاهداً عنه مرغباً فيه.

وبعد.. فإن كلامه وإملاءه في هذا المجال. وفي ذلك المجلس حجج دامغة تبرّئه مما افتري عليه به.. ـ وعلى هذا المعتقد الراسخ والإيمان العميق والعمل الجاد على نشر الإسلام صافياً غير مشوب.. أثنى عليه الشعراء من العلماء؛ كالشيخ شمس الدين أبو الثناء المنبجي الذي قال فيه قصيدة. منها قوله:ـ

يا عالماً جلّ عن ضد يضاهيه
وفاق أقرانه فيما يعانيه

يا ذا الفضائل يا زين الأماثل يا
مردي المماثل يا موهي مناويه

يا من إذا رمتُ أن أحصي مناقبه
نظماً ونثراً وأنشيه وأرويه



حُصرتُ لولا سجاياه تهذبني
لما ظفرت بمعنى من معانيه

يا عمدة المقتدى حقاً ومقنعة
فيما يروم. وكافيه ومغنيه

أبديت تعجيز أهل النظم فاعترفوا
بالعجز عن كنه ما أصبحت تبديه

لله كم مَيْت علم أنت تنشره
من بعد ما كادت الأيام تطويه

يا كاشف المشكلات المعضلات لنا
بأبلج مستنير من فتاويه

○○○○○

تعزية في حمار!!

والمجبول على صنع الفكاهة، وتأليف النوادر يحالفه الحظ في ذلك، وتتهيأ له أسباب الحصول عليها سواء كان ذلك من باب الصدف أو عن طريق البحث. وقد تهدى إليه الملح التي تأتي عرضاً في المجالس الأدبية ممن لا يحسن صياغتها فيستقبلها بأسلوبها العادي ثم يخرجها في إطار ظريف وقالب فكاهي مضحك.

وكثيراً ما تكون النوادر والطرف عند أهل العلم الذين يُجدّون في البحث والقراءة وجبةً شهية لا يغفلون عن تناولها.. ولهذا السبب فإنه قلّ أن تخلو مكتبة خاصة لعالم أو أديب من كتاب يشتمل على النكت والطرائف. ليستروح بقراءتها عند ما يجد نفسه متعبة من القراءة الجادة والبحث المضني.

ومؤلفو النوادر والنكت وكل ما هو مضحك ومسلي، يحرصون على أن تكون مؤلفاتهم مزيجاً من النثر المستطرف. والشعر الفكاهي المستظرف، وذلك مثل «موسوعة الأدب الضاحك» التي صدرت حديثاً في عدة أجزاء قام بتأليفها علي مروة.. والتي جاء في أحد موضوعات الجزء السابع منها. قوله: كان للشاعر محمد نجيب مروة المولود في قرية الزرارية سنة ١٨٧٩م وترعرع في قرية «سلعا» إحدى قرى جبل عامل، صديق اسمه حامد وكنيته أبو علي واسم امرأته آمنة وكان لهما حمار يسمى أكحل، وقد نفق ذلك الحمار فعزّاهما فيه محمد نجيب بأبيات منها قوله:ـ

في قلب آمنة وقلب أبي علي
نار مؤججة لفقد الأكحل



أودى فأودع لوعة بحشاهما
أبد الزمان وغمّة لا تنجلي

قل للحمير عن المسير توقفي
ودعي الكلا في الحال والمستقبل

ودعي. النهيق وبدليه بشهقة
وقت العليق وأنّة وتململ

ومنها قوله واصفاً طباع ذلك الحمار وأخلاقه:

ما كان من خبث البهائم مضمراً
في قلبه مقدار حبة خردل

كلَّا ولا جلبت يداه أذية
للناس في سرواته والمنزل

كلَّا ولا رجلاه آذت مرّة
«باللبط» شخصاً مثل بعض الأرجل

كلّا ولا أغواه وصل حمارة
بل كان عن كل الإناث بمعزل

والحقيقة أن مثل هذا الشعر يجب أن يدخل ميدان الأدب الضاحك من أوسع أبوابه.

○ ○ ○ ○ ○

من أقوال النبي في حركاته وسكناته

من الصباح حتى المساء!!

نقلت مجلة «منار الإسلام» على ص٦٤ من العدد ٣، ربيع الأول ١٤١٣هـ، ما كان يقوله ﷺ خلال النهار والليل.. ونصه أنه إذا أفاق من نومه قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور».

وإذا قام من فراشه قال: «رب اغفر وارحم واهد للسبيل الأقوم».

وإذا رأى نور الفجر قال: «أصبحنا وأصبح الملك لله، والحمد لله، والخلق والأمر والليل والنهار لله».

وإذا نظر إلى السماء قال: «ربنا ما خلقت هذا باطلاً؛ يا مصرّف القلوب ثبت قلبي على دينك».

وإذا نظر في المرآة قال: «الحمد لله الذي خلقتني فسوّاني... اللهم كما أحسنت خَلْقي فحسن خُلقي».

وإذا لبس ثوباً قال: «الحمد لله الذي خلقني فسوّاني.. اللهم كما أحسنت خَلْقي فحسن خُلقي».

وإذا لبس ثوباً قال: «الحمد لله الذي كساني ما أُواري به عورتي وأتجمل به في حياتي.

وإذا خرج من البيت قال: «بسم الله توكلت على الله. اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أُضل».

وإذا دخل المسجد قال: «اللهم افتح لي أبواب رحمتك وأنشر علي خزائن علمك».



وإذا دخل البيت قال: «بسم الله دخلنا، وبسم الله خرجنا، وعلى الله توكلنا».

وإذا أكل طعاماً قال: «الحمد لله الذي أطعمنا فأشبعنا، وسقانا فأروانا، وجعلنا مسلمين».

وإذا شرب ماءً قال: «الحمد لله الذي جعل الماء فراتاً برحمته ولم يجعله ملحاً أُجاجاً بذنوبنا».

وإذا دخل الخلاء قال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث».

وإذا خرج من الخلاء قال: «غفرانك الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني».

وإذا غضب قال: «اللهم اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلب وأجرني من الشيطان».

وإذا ركب مركوباً قال: «الحمد لله؛ سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنّا له مقرنين».

وإذا قصد فعل شيء قال: «اللهم خِرْ لي.. واختر لي.. ولا تكلني إلى نفس طرفة عين».

وإذا أراد سفراً قال: «اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في المال والأهل والولد».

وإذا أصابه مرض قال: «اللهم ربّ الناس.. أذهب الباس، إشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك».

وإذا أتته مصيبة قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون حسبنا الله ونعم الوكيل».

وإذا صعب عليه أمر قال: «اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً».



وإذا أذّن المغرب قال: «اللهم هذا إقبال ليلك، وإدبار نهارك، وأصوات دعاتك فاغفر لي

وإذا أمسى ليلاً قال: «أمسينا وأمسى الملك لله. والحمد لله وحده لا شريك له».

وإذا أتى أهله قال: «اللهم جنبنا الشيطان وجنّب الشيطان ما رزقتنا».

وإذا أراد النوم قال: «باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين». إنها كلمات سهلة وعبارات موجزة يجب أن نحفظها لنترسم أفعال وأقوال وأعمال نبينا محمد ﷺ.

وما بعد هذا إلّا الاستمتاع بأبيات من قصيدة «بشرى العاشقين ببلوغ سيد المرسلين» لمحمد خليل الخطيب:ـ

يا أفصح الناس من بدو وحاضرة
لقد حُبيت بياناً مع الكلم

اللّه أكبر إن الذكر منزلة
أولى. وقولك يتلو الذكر في العظم

فصّلت بالسنّة الغرّاء مجمله
فكان أدنى الجنى من كف مستلم

صغت الأبيّات في الألفاظ هينة
يلتذها السمع عذبات بكل فم

روح وراح. وريحان. ومروحة
وراحة ومراح الخلق من سأم

معلم الكون ما خط الكتاب ولم
يجلس مدى عمره يوماً إلى علم



حماه مولاه تعليم الأنام له
حتى يرى عظم المولى من النعم

اللّه أعلم حيث العلم يجعله
وقد حباه عميم العلم والحكم

ooooo

الضَرَّة... والضرائر!!

ولقد جاء في الضرة والضرائرة أقوال كثيرة، منها يأخذ صفة النادرة.. ومنها ما هو ترجمة حقيقية لمعنى الضرة.

ومما هو مدون في كتب التراث أنقل من كتاب «الإتحاف بحديث فضل الإنصاف» للحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر عبد الله بن محمد الشهير بابن ناصر الدين المولود عام ٧٧٧هـ، والمتوفى سنة ٨٤٢هـ، والذي أضاف إليه أبو عبد الله محمد بن محمد الحداد سنة ١٣٧٤هـ، تصنيفاً سماه «الإشراف على الإتحاف» وفيه أورد حديثاً اختلف في صحة رواية بعضه. وهو قوله ﷺ: «يا أبا ذر، ثلاث احفظها: لا تجمع بين الضرائر، فإنك لن تعدل ولو حرصت، ولا تعمل على الصدقة فإن صاحب الصدقة زائد وناقص، ولا تغشى السلطان فإنك لن تصيب من دنياهم شيئاً إلّا أصابوا من دينك أفضل منه». قال: أما النهي عن الجمع بين الضرائر فلم أجد له شاهداً. بل الصواب على خلافه.

أما معنى الضرّة فقد قال ابن قتيبة في غريب الحديث: الضرة.. لحم الضرع.. وقال ابن الأثير الضرائر: الأمور المختلفة. كضرائر النساء لا يتفقن.. واحدتها ضرّة.. - وروي عن وهب بن مُنبّه قوله: إن مثل الدنيا والآخرة كمثل رجل له ضرّتان. إن أرضى إحداهما أسخط الأخرى... - وأما ما جاء من باب النوادر في هذا الموضوع؛ فقول المغيرة بن شعبة: صاحب المرأة الواحدة امرأة مثلها: إن بانت بان معها، وإن حاضت حاض معها، وإن مرضت مرض معها، وصاحب

المرأتين على جمرتين، وصاحب الثلاث على رستاق ـ يعني قرية حاكماً لها ـ، وصاحب الأربعة كل ليلة عروس.

وقد نظم أبو عبد الله ذلك الحديث الذي تقدم مرويًا عن أبي ذر في قصيدة جاء في آخرها قوله:ـ

لكن حرصتُ على فعال مكارم
إني لمجتنب خلالاً منكرة

إنصاف نفسي عن تخرّص باطل
وكذا اعترافي في خصالي الخاسرة

والسلم مني لستُ أرضى بذله
إلا لمن أرضى الإله فأنشره

والمال مرجو لنصرة سنّة
وأنا الشحيح لدى دعاوي المفخرة

ولقد حرصت على اجتناب مناكر
حرصي على ترك الذنوب الفاجرة

أدعو إلهي أن يطهر حَوْبتي
والسِتْرُ إذ أعمالُ كلٍّ مُحْضَرة

ما أشتهي عملاً على الصدقات إن
زادت وإن نقصت فنارٌ مسعرة

وكذا اثنتان كجمرتين لجامع
إني بثالثةٍ، أمنت الدائرة

○ ○ ○ ○ ○

صاحب الحق المغموط!!

والحقوق التي تغمط كثيرة ومختلفة القيم فما كان منها مادياً، فإنه كثيراً ما يسترد بالمرافعة لدى الحاكم أو القاضي إذا كان القاضي منصفاً ومتجرداً في حكمه وقضائه.. ومنها ما يسترد بالصبر والسياسة والملاينة.. ومنها ما يعدّ له العدة ويسترجع بالقوة.. وكل هذه الأمور يدخل فيها عامل التفكير، والتخطيط الذي يحقق نجاحه نسبة كبيرة منها.

أما ما كان معنوياً منها فإن فرص الحضر على غمطه من الأمور التي تقع بين رأيين رأي يحقق أن بعض أصحاب الحقوق المعنوية يكون لهم مقدرة على فرض إظهارها والاعتراف بها من لدن الأعيان والعامة وجميع أفراد المجتمع فيقطع دابر غمطها.. - ورأي يحقق أن أصحاب الحق المعنوي المغموط هم الذين تصاغرهم المجتمع عن جهل بقيمة عملهم وعلمهم، الذي لو قورن بأعمال من فرضوا إظهار حقهم فرضاً لما وجدت نسبة بينهم.. ولا حتى عامل قياس بين تفوق من غمط حقه.. وانخفاض من أظهر حقه.

وهذه المعادلة الخاصة بالحق المعنوي المغموط. تُوجَدُ أكثر ما توجد في الجانب العلمي والأدبي. فأصحاب الأقلام من الكتاب والشعراء وغيرهم من صناع الأدب هم أقل من يتلقى عناية من مجتمعه في حياته. وإن كان هناك عناية تسدى إليه فإنها لا تقدم له إلّا بعد موته كرد فعل أثاره تتبع أعماله التي كان من المفروض أن يكافأ عليها في حياته ليسعد بها وتطيب نفسه ويمتلئ قلبه بحب مجتمعه. ويكون في

نفس الوقت سَبْقاً يقطع على يد الزمان محاولة وصفه في سجل التاريخ بصاحب الحق المغموط. ولئن تساءلنا: هل تنبّه إلى ذلك الواقعون في هذه المشكلة وعرضوها على الرأي العام والخاص؟ فإن الإجابة تؤخذ من أقوالهم ذات الصيغ الأدبية التي ينكرون فهيا ما يقابلون من سلبيات وعدم مبالات بهم. وينبهون فيها إلى حقوقهم المهضومة بأساليب نثرية وشعرية. منها قول الشاعر عبد الرحمٰن صان الدين من قصيدة له:ـ

هل كرم العلم في أعلاقه فمضوا
يسقون روضته بالفكر والهمم

إن قلت حسبك من عز ومفخرة
ذكر له أرج يبقى بكل فم

تمشي به زمر الأجيال شادية
ما كنت تحظى به في باهر الحلم

قلت الذي فاز بالتبكير لست أنا
بل إنها أحرف صماء كالرجم

ما قيمة المجد للأسماء صاحبها
قد صار تحت الثرى في ظلمة العدم؟

قد عاش في شظف يشقى بخلته
حتى قضى غارقاً في الحزن والسقم

يا صاحبي أي مجد للأديب يرى
غير الجحود ونار الحقد والنقم

ومنها قوله:ـ

لا ترتقي أمة قد صار ديدنها
وأد المواهب بالنكران في الظلم



الإمام الذي لا يلتزم بآداب الصلاة لا تقبل صلاته!!

وعسى أن يعفو الله عنا وعن بعض أئمة المساجد الذين لا يقبلون على إمامة المسجد إلّا لأغراض دنيوية بحتة. ـ والحقيقة أن إماماً لا يدفعه إلى الإمامة مؤثر روحي وإيحاء إيماني يجعل منه قدوة لمأموميه يحسن به أن يفسح المجال لغيره ممن هو أجدر بها وأعلم منه وأقدر.

ـ وإنه لمن المؤسف جداً أن نرى بعض الأئمة يصرّ على أن يؤمّ جماعة لا يرضونه.. إما لما يرونه فيه من عدم التزام بآداب الصلاة... ـ أو لما يرونه فيه من جرأة على التهاون ببعض الآداب الشرعية.. أو لما يرونه فيه من عدم المبالاة بآداب المسجد، أو ما إلى ذلك من الأمور التي تحملهم على كراهيته مما هو أعظم مخالفة للشرع مما ذكرت.. ـ وهذا النوع من الأئمة لا بدّ أن يُعَلّمَ نص الحديث الشريف الذي أخرجه أبو داود في سننه عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ كان يقول: ـ «ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاة: من تقدم قوماً وهم له كارهون. ورجل أتى الصلاة دباراً. ورجل اعتبد محرّره». قال الشارح: «ـ قلت: يشبه أن يكون هذا الوعيد في الرجل ليس من أهل الإمامة فيتقحم فيها ويتغلب عليها حتى يكره الناس إمامته. فأمّا إن كان مستحقاً للإمامة فاللوم على من كرهه دونه.. ـ شكى رجل إلى علي بن أبي طالب وكان يصلي بقوم وهم له كارهون فقال: إنك لخروط.. يريد متعصب في فعلك. ولم يزده على ذلك.. ـ وقوله: «وأتى الصلاة دباراً»: أي أن يأتيها بعد أن تفوته... ـ أما اعتباد المحرّر؛ فيكون من وجهين: أحدهما أن يعتقه ثم يكتم عتقه أو ينكره، وهو شر الأمرين. والوجه الآخر أن يستخدمه كرهاً بعد العتق...». وقد أخرج الحديث

ابن ماجه أيضاً. . . ـ قلت: لا بدّ أن يُعَلّمَ فلعله يؤنب نفسه ويترك الإمامة التي رغبته فيها المادة وسُكْنَى البيت الموقوف على إمامة المسجد.

وهذه أبيات في حقيقة الصلاة:

واللّه قال عن الصلاة بأنها
تنهى عن الفحشاء والزلات

والمصطفى قد قال عنها إنها
هي للمهيمن موضع النجوات

ومنها :ـ

من كان يفهمها بهذا الشكل فهـ
ولها يجد ويسرع الخطوات

بنظافة وطهارة على كل ما
حدث وأخذ الطيب والزينات

وتأدب وتضرع من شأنه
أن يملأ الإنسان بالخشيات

حرصاً على شرف المثول ورغبة
في أن ينال الفخر بالخطوات

والقصد حصر الفكر في المولى وجـ
ـذب القلب للخلاق في إخبات

والجسم ثمت خاشع متبتل
والطرف منخفض من الرهبات

وهي من التائية التي نظمها السيد عبد الحميد الخطيب.

هل الشعر الحرّ ابتداع عربي؟ أم هو منهج أجنبي؟!!

لقد سبق أن كتبت عن الحداثة والحداثيين الذين يسلكون في الأدب طريقاً لم تكن بدايتها موصولةً بتراثنا الذي نعتز ونفتخر بوراثته.. موضوعات هي موجودة فيما تقدم من أجزاء هذا الكتاب.. وتواصل القول عن الحداثة أمر طبيعي طالما أن هناك آراء تتجاذبه وأخذ ورد حول منهجه وقيمته الأدبية:

ـ والساحة الأدبية التي تحفل بالأدباء والنقاد المعاصريين تموج في جنباتها آراء مختلفة منها ما يمقت الحداثة بعنف.. ومنها ما يعتبر الحداثة نهجاً فيه حرية الرأي والقول المطلق الذي ربما وصفه بالتجديد والطراوة... ـ وكأنما هو يقول للحداثيين: ـ من هنا ابدأوا ولا تربطوا ماضياً بحاضر فإن لكل رأيه وأدبه ومنهجه وأسلوبه.. فتميزوا بإبداعاتكم وكوّنوا لكم أدباً مستقلاً خاصاً بكم.. وهذا يصفه الناقد المتزن الذي يرى ضرورة؛ بل فريضة ربط التراث الأدبي بالأدب المعاصر. بالمروج للسلعة البائرة.

وإذا كان الأصل وصحة النسب ميزة يفتخر بها المرء. فإن الشعوب تفتخر بآدابها.. ولهذا قيل: هذا أدب عربي، وهذا أدب فرنسي، ويوناني، وفارسي. وهلمّ جرّا... ـ بل إن أصحاب الأقلام وأهل الفكر ليقفون حرّاساً على أدب أمتهم وتراثها... وعندما يرون أن جزءاً من تراث أمتهم منسوباً لأمة أخرى لا يتوانون عن استيقاف ذلك الناسب، وتكذيبه بما يثبتون به شرعية نسبته إليهم.

وإذا كان شعر الحداثة المعروف بالشعر الحر هو أحد المحاور التي تتجه بقضية البنيوية إلى الانفصال عن التراث الأدبي. فلها أن ننظر



إليه ونتساءل. هل هو ابتداع عربي؟ أم أنه منهج أجنبي من استيراده طمس معالم اللغة والشعر العربي عن طريق تضييع قافيته وعروضه وأوزانه؟. والإجابة بلا تردد، أنه مستورد وليس فيه أي سمة عربية.. ولهذا قوبل بالرفض، وقتل بالانتقاد. وكشف القناع عن معائبه بأساليب نثرية وشعرية.. - ومن الذين أظهروا معائبه بشيء من المقارنة بأسلوب شعري الشاعر مصطفى رشيد عنان الذي يقول من قصيدة له نشرتها جريدة «المدينة» في عددها ٩٢٠١، الجمعة ٢٤ محرم ١٤١٣هـ:-

خالوا قصائد نثرهم شعراً
ونسوا العروض فما له ذكرى

شعر أضاع بحوره الكبرى
قد ضاع رونقه إذن هدرا

شعر غريب في حداثته
ما ضم قافية ولا بحرا

كلا ولا حلت طلاسمه
يحتار قارئه به أمرا

ومنها قوله:-

الشعر لا يسمو بلا معنى
لا يجذب الوجدان والفكرا

ما روعة الشعر الجميل سوى
صدق العبارة حينما تقرا

جرس وموسيقى حوت بحرا
بجماله قد زادها سحرا

إني أرى وأقولها جهرا
إن المقفى قد سما قدرا

طلّق الأربع معاً.. بثلاث!!

والحديث عن الضرّات كثيراً ما يكون فيه طرافة حيناً، ومآسي حيناً. . والسبب بطبيعة الحال هو عدم التكيف مع ظروف التضار. . ولأن طبيعة النفس تأبى المشاركة فيما يخص ذاتها. . فإن نار الحسد تشتعل بين الضرّات، ويكون الزوج جل حطبها. . وقد يكون هناك حالات لا ينطبق عليها هذا الوصف. لكنها نادرة جداً.

ولا أريد أن أدخل في علم النفس الذي يخوض في هذه القضية وما له من تفسير مرتبطة بمحيط دائرة الضرّات. . وإنما هدفي من اختيار هذا الموضوع هو الاستمتاع بما فيه من طرائف اعتنى بتجسيلها الأدباء وأودعوها في بطون الكتب التي هي الآن بين أيدينا. . ـ فمن ذلك ما سجله أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد الله النمري القرطبي في كتابه «بهجة المجالس وأنيس المجالس» وذلك بقوله: ـ دخل أعرابي على الحجاج فسمعه يقول: لا تكمل النعمة على المرء حتى ينكح أربع نسوة يجتمعن عنده. فانصرف الأعرابيّ فباع متاع بيته. وتزوج أربع نسوة فلم توافقه منهنّ واحدة. . خرجت واحدة: حمقاء رعناء، والثانية: متبرجة، الثالثة: فارك، والرابعة: مذكرة. فدخل على الحجاج فقال: أصلح الله الأمر. . سمعت منك كلاماً أردتُ أن تتم لي به قرة عين فبعت جميع ما أملك حتى تزوجت أربع نسوة فلم توافقني منهن واحدة، وقد قلت فيهن شعراً فاسمع مني. قال: قل. فقال:ـ

تزوجت أبغي قرة العين أربعاً

فيا ليت أني لم أكن أتزوّجُ

ويا ليتني أعمى أصم ولم أكن
تزوجت بل يا ليت أني مُخدّج

فواحدة ما تعرف اللّه ربها
ولا ما التقى تدري ولا ما التحرُّج

وثانية ما إن تقرّ ببيتها
مذكرة مشهورة تتبرج

وثالثة حمقاء رعنا سخيفة
فكل الذي تأتي من الأمر أعوج

ورابعة مفروكة ذات شِرّةٍ
فليست بها نفسي مدى الدهر تُبْهَجُ[1]

فهن طلاق كلهن بوائن
ثلاثاً ثلاثاً فاشهدوا لا تلجلجوا

فضحك الحجاج حتى كاد يسقط من سريره ثم قال: كم مهورهن؟ قال: أربعة آلاف درهم. فأمر له بثمانية آلاف درهم.

وما تعليقي على شعر ذلك الأعرابي إلّا قولي في هذا البيت:

إذا صح هذا فهو للنفس منصف
وقاها شروراً تكتنفها وتزعج[2]

○○○○○

(١) مفروكة: المفروكة التي يبغضها الرجال.. والمخدّج: هو ناقص الخلق.
(٢) ولهذا البيت رديف قلت فيه:ـ
نجا حيث ينجو من أحاط به الردى أخو درك في اليم وافاه مخرجُ

من الأحاديث المقيدة بعدد ثلاثة!!

والأحاديث النبوية الشريفة التي تكون مقيدة في أعداد كثيرة جداً.. ولعل من أكثر ما هو مقيد بالعدد ثلاثة.. ولأنه يصعب حصرها هنا لكثرتها. فلا بأس من ذكر شيء منها كشاهد على ذلك؛ ليس إلّا. فمن ذلك الأحاديث الواردة في الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.. ومنها ما رواه مسلم عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: ـ «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة. ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم». قال فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات ـ قال أبو ذر: خابوا وخسروا. من هم يا رسول الله؟ قال: «المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب». وروى مسلم من حديث أبي بكر قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع رجلاً بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخَذَه بكذا وكذا فصدقه، وهو على غير ذلك. ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا فإن أعطاه منها وفىٰ وإن لم يعطه منها لم يفِ». وروى مسلم أيضاً في بيان خصال من اتصف بهنّ وجد حلاوة الإيمان: عن أنس عن النبي ﷺ قال: ـ «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان. من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله. وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه؛ كما يكره أن يقذف في النار».

وروى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانُها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها

خيراً: طلوع الشمس من مغربها. والدجال. ودابة الأرض».

ومما روي من أحاديث الإنصاف بإسناد ضعيف ما جاء عن أبي أمامة عن عمّار بن ياسر رضي الله عنهما، قال: «ثلاث خلال من جمعهن فقد جمع خلال الإيمان». فقال له بعض أصحابه: يا أبا اليقضان وما هذه الخلال التي زعمت أن رسول الله ﷺ قال: «من جمعهن فقد جمع خلال الإيمان؟» فقال عمّار: سمعته ﷺ يقول: «الإنفاق من الإقتار. والإنصاف من نفسك. وبذل السلام للعالم».

وقد نظم هذا الحديث الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر عبد الله بن محمد الشهير بناصر الدين، المولود عام ٧٧٧هـ، والمتوفى عام ٨٤٢هـ، فقال:ـ

ثلاث إذا كانت بفعلك سايره
جمعتَ بها الإيمان تحوي ذخائره

فأولها الإنصاف من نفسك الذي
تقوم به للّه دنيا وآخره

وللعالم أبذل للسلام تحية
تنل مِقَةً في الناس بالشكر دايره[1]

وانفق من الإقتار باللّه واثقا
يُيَسِرْك لليسرى وتلقى مفاخره

فمعناه موقوفاً روينا ورفعه
إلى المصطفى فاحفظه وانقلْه آثره

لتحسب من خدام سنّة أحمد
شفيع الورى أزكى البرايا مآثره

---

(١) المقة: المحبة.

فـصلّ عـلـيـه ربـنـا ثـم سـلـمـنْ
كـذاك عـلـى أنـصـاره والـمـهـاجـره

ومَـنْ يـعـفـو مِـذهِـبٌ لـذنـوبـنـا
ومِنْ عمرنا بالخير فاختم أواخره

○ ○ ○ ○ ○

على لسان سراييفو!!

في الجزء الذي تقدم على هذا الجزء تناولت في عدد لا بأس به من الموضوعات.. قضية البوسنة والهرسك. وما يجده مسلمو البوسنة والهرسك من قتل وسلب ونهب واعتداء على أيد الصرب الخبثاء... ـ وقلت في نفسي: إن ما كتبته فيه الكفاية من حيث وجهة النظر السياسية والعقيدية والجغرافية الشرعية للبوسنة والهرسك.. وناديت بما استطعته من نداء موجه إلى الضمير العالمي... ـ لكن توالي الأنباء المحزنة التي تفيد بأن الصرب المتلونين في عقائدهم ماضون في محاولة تصفية المسلمين بالقتل والتشريد من أجل الاستيلاء على أوطانهم هناك. قد جعلني أعاود الكتابة تضامناً مع الأقلام التي تسطر على صفحة التاريخ ظلم الصرب وبطشهم، ونواياهم الخبيثة التي يدعمها نصارى أوروبا.

دعوتي هذه سوف لا آتي فيها بجديد فيه وصف فوق ما وصلت إليه حالة البوسنة والهرسك من سوء. له نظير في العداوات التي تقوم بسبب الاختلاف العرقي والعقيدي.. وإنما كان الغرض من ذلك هو اقتطاف أبيات من قصيدة للشاعر السعودي عبد الرحمٰن صالح العشماوي التي قالها على لسان مدينة «سراييفو»، وجعل عنوانها: «الصرخة الأخيرة من سراييفو» لأدلل على أن الشعر المقفى ما زال وسيلة لإلهاب الأحاسيس، وتحريك الضمائر، وإشعال نار الحماس في النفوس لتندفع لنجدة المظلوم الذي يصرخ من بأس ظالمه.. ـ

يقول العشماوي في تلك القصيدة على لسان حال مدينة سراييفو

بيوغسلافيا؛ مخاطبة المسلمين في أنحاء العالم بهذه اللهجة الحرّى، التي منها:ـ

أنقذوني فما تزال دروبي
ترسم الموت في مدى خطواتي

أنا يا مسلمون أبكي رجالي
ونسائي وصبيتي وبناتي

أنا أبكي مآذني غاب عنها
صوت داع في الخمسة الأوقات

أنا أبكي مساجدي أفرغتها
قاذفات الصليب من صلواتي

أنا أبكي مصاحفي مَزّقوها
رسموا حولها صليب الطغاة

ومنها قوله:ـ

أين أنتم يا مسلمون عدوّي
مستبدّ وجمعكم في سبات؟

أين مليارِكم.. أما فيه ألف
يعلنون الدخول في غمراتي

أين أنتم.. أما ترون بحاراً
من دمائي تسيل في طرقاتي؟

والقصيدة طويلة فهي تبلغ نحواً من سبعة وعشرين بيتاً كلها على هذا النسق والاستصراخ والمناداة.

○○○○○

عنوان القصيدة يحتم قراءتها!!

اختار معدّ صفحة «ثقافة» في جريدة «عكاظ» في عددها ٩٢٤٢، الاثنين جمادى الأولى سنة ١٤١٢هـ، قصيدة للشاعر السعودي الكبير محمد حسن فقي. عنوانها: «عمالقة وأقزام» ومطلعها:

أصـــغـــوا إلـــيّ فـــإنـــنـــي رجـــل

أودى بـــه وبـــمـــجـــده الـــزمـــنُ

وقد قدم لها المعدّ بقوله: ـ «أصغوا إليَّ» هكذا بدأ شاعرنا الكبير نونيته التي تكتظ بتجربة حنّكته بها السنون، ولقنه إياها الزمن. وكأنما هو يستعيد في إهابه حكماء العربية حينما ينظرون من شاهق العمر إلى أيديهم فلا يجدون فيها غير قبض الريح.. وهي إيجاز لحس مأساوي يحمله الإنسان المعاصر حينما يتكشف له العمر عن العالم يتهاوى من حوله. وكأنما ينقشع عن عينيه حجاب المعاصرة. وتخطو به التجربة لمرحلة المكاشفة «وأرى الحياة وأهلها فتنا»... ـ وعندها يستعصم بحريته وكرامته؛ يضربها نطاقاً حوله ينطوي فيها فتظل صلته بالعالم صلة الحكيم الذي ينتمي للعصر من خارجه بحيث يمنحه الانتماء المعرفة ويمنحه الخروج الرؤيا.

والحقيقة إن عنوان القصيدة فيه حسن يجذب القارئ إلى معرفة مقاصد الشاعر، ويحمله على تحسس آرائه والإنصات إلى مقترحاته.. ولهذا قرأتها قراءة متأنية جعلتني أضيف إلى قول معدّ الصفحة قولي: ـ إن القصيدة بمفهومها العام شبيهة بالبحر المتلاطم الأمواج. وهي فيما تهدف إليه من معان عميقة تعد لب تجارب وثمرة ممارسة للحياة،

وحصيلة معايشة للناس، ووصف لما يمر به الإنسان من تحول يكون سبباً لابتعاد الأصدقاء عنه. والقصيدة في مجملها تشكل ثلاثة وثلاثين بيتاً. منها قوله:

سيان بعد فنائنا.. نِعَمٌ
مَنّتْ بها الأقدار أو محنُ
أفبعد ما يطوى الردى رجُلاً
يُجدي عليه الفرحُ والحزن

ومنها قوله:ـ

لا يخدعنّك حين تلمحني
مَرَحٌ يقوم وراءه الشجن
خان الرفاق فليس لي رحمٌ
ونبا المكان فليس لي سكن

ومنها قوله:ـ

أترى الحياة مُسُوحَ راهبةٍ
فإذا نَزَعْتَ تبيّن الوثن
أم أن لي قلباً يضللني
فأرى السفوحَ كأنها القنن
وأرى الحياة وأهلها فتناً
هُوجاً وتحت مآزري الفتن

○○○○○

الحوار الهادف.. والغزل على أنغام
التجاوز عما يشوب التدلل من أخطاء!!

وبعض المحاورات التي تحبرها أقلام بعض الكتاب والشعراء. سواء كانت من الواقع الملموس أو من نسج الخيال المجنح.

ولعل الشعراء هم من بعض أصحاب الأقلام التي يكون لها صدى يلامس الواقع الذي يعيشه المجتمع، الذي تتحرك عواطفه الرقيقة داخل دائرة المحبة لتعيد ما ندّر من السلوكيات التي تغازل النفس بأدب المودة إلى حضيرة الحياة الاجتماعية لترفع به درجة حرارة التوله والاشتياق، والإثارة على النفس في ميدان العاطفة التي يزيد من رقتها حركات التغزل وعبارته التي تتعشقها الأذن وتطرب لسماعها.

وإذ كان التغزل، أو الغزل قد جاء كما نشهده في صور مختلفة وعلى أنماط وضروب متباينة فإن مرد ذلك إلى طبيعة المتغزل وأخلاقياته.

أما أساليب الغزل الرفيع، فهي التي تصور جانباً من السلوكيات التي هي من أساسيات نمط الحياة المستقيمة التي تعزف لحن المحبة على أنغام التجاوز عما يشوب التدلل من أخطاء في التغزل يكون في الرجوع عنها متعة لا يعادلها في المحبة والتذلل متعة.

والشاهد الذي يصور لنا جانباً إيحائياً من واقع ذلك التغزل الرفيع الذي يدخل إلى ساحة الأدب من أوسع أبوابه هو ما جاء في قول الشاعر الكبير عمر أبو ريشة من قصيدته الجميلة التي جعل



عنوانها: «عودي». والتي منها قوله على لسان المغزل فيها:ـ

قالت مللتك اذهب لستُ نادمة
على فراقك إن الحب ليس لنا

سقيتك المرَّ من كأس شفيتُ به
حقدي عليك وما لي عن شقاك غنى

فكان ردّه يتّسم بالتجاوز عما يشوب التدلل من أخطاء في التغزل.. كما أسلفت:

قالت.. وقلت ولم أهمس بمسمعها
ما ثار من غصصي الحرى وما سكنا

تركت حجرتها والدفء منسرحاً
والعطر منسكباً والعمر مرتهنا

وسرت في وحشتي والليل ملتحف
بالزمهرير وما في الأفق ومض سنا

وكما أسلفت.. من أن في الرجوع من خطأ التدلل في الغزل متعة تتمثل في اللحاق به لتمحو ما جاء في إعلانها السابق. من أنها في ملل وضيق من البقاء معه:

حتى سمعت ورائي رجع زفرتها
حتى لمست حيالي قدها اللدنا

نسيت ما بي.. هزتني فجاءتها
وفجرت من حناني كل ما كمنا

وصحت يا فتنتي ما تفعلين هنا
البرد يؤذيك عودي. لن أعود أنا

وبعد. فهذا هو الغزل الذي نطالب شعراء الغزل بمثله.

معي.. عمر فروخ!!

والمعي واحد الأمعاء.. والأمعاء منها ما يسمونه الدقيق، ومنها ما يسمونه الغليظ.. وقد ورد ذكر الأمعاء في القرآن الكريم. قال تعالى تعالى في سورة محمد آية ١٥: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾.

ولقد كان الناس في السابق، وقبل أن يتقدم الطب وتخترع المناظير الطبية والصور الملونة التي تحدد مكان الإصابة من الأمعاء ييئسون من حياة الذي يشكو الألم من بطنه؛ لأنه لا يُرى موضع الشكوى فيستطب.

والعامة في نجد تقول: ـ «إذا جت العلة في البطن وين تجي العافية منه؟». وقديماً قال حكماء الأطباء: «المعدة بيت الداء».

وأعود إلى معي الشاعر فروخ الذي تمخض عن ألمه قصيدة طويلة جعل عنوانه: «اصطفاق في المعي الغليظ»، وقدم لها بقوله:ـ

«أصبتُ باصطفاق في المعي الغليظ سبّب لي بطبيعة الحال ألماً شديداً. ولقد كادت الحاجة تدعو إلى عملية جراحية. غير أن الأطباء في المستشفى استطاعوا معالجتي بلا عملية.. بقيتُ في المستشفى ثلاثة أيام للاستجمام من التعب الذي لقيته في الأيام السابقة.. نظمت هذه القصيدة في المستشفى وفي وقت قصير جداً ٢٥/٨/١٩٧٤م». من تلك القصيدة قوله في مطلعها:ـ

تشبه باليهود وبالمجوس
وعش إن شئت كالبغل الشموس

ومنها قوله:ـ

شكوت إلى الطّبيب فقال: أمر
خفيف الوطء ليس بذي أُسوس

يمر بإبرة وبشرب ماء
وشيء من علاج للقنوس

وهذا حادث في كل يوم
يُرى منه سدوس في سدوس

ومرت ليلة لم ألق فيها
سوى عنت الحياة من اليبوس

كأن حجارةً ترسو ببطني
فتقطع حالبي وتهدُّ توسي

أريد إراحةً فيصدّ عنها
مَمَرُّ الريح من جسم هَجوس

فأصبح والرياح بجنب بطني
كعنترتين في حرب ضروس

والقصيدة طويلة فهي تبلغ ٤٥ بيتاً، سوف أعود لاقتطاف بعض الأبيات في موضوع لاحق إن شاء الله.

○○○○○

عودة إلى معي عمر فروخ!!

أشرت في موضوع تقدم في هذا الجزء عنوانه: «معي.. عمر فروخ»، إلى أن لي عودة إلى القصيدة التي قالها فروخ بمناسبة إصابة معيه بألم حمله على الذهاب إلى المستشفى فأجريت له فحوصات، وشُخِّصَ مرضه ولم تستدع حالته إجراء عملية جراحية.. ـ ولأن فروخ قد ذكر في قصيدته تلك أسماء بعض الأطباء القدامى وشيئاً من أسماء آلات الطب الحديثة. فإنها تقدم حيث جوّها العام قصيدة عصرية. وقبل أن أستعرض شيئاً من أبيات تلك القصيدة. أودّ أن أشير إلى أنها وما شاكلها. وإن كانت شخصية تعد رافداً من روافد الأدب. وذلك لما تحمله من بعض المعلومات عن الطب والأطباء.. كيف لا، وهو ذا يقول أن الأطباء قد عرضوا عليه صورة الإشعاع الأكسي يطمئنونه بعدم وجود شيء غريب في بطنه.

فهذي صورةٌ بشعاع أكس
وهذا الرسم من تخطيط رُوسي[1]

وهذا مسبرٌ صنعته يوسا
من اليابان أو لوس أنجلوس[2]

---

(١) شعاع اكس: أشعة أكس التي كشفها الفيزيائي الألماني ـ ولهم رونتغن المولود عام ١٨٤٥م والمتوفى عام ١٩٢٣م، وهي تخترق الأجسام اللينة وتظهر ما في تلك الأجسام اللينة من الأجرام القاسية.

(٢) المسبر: أداة يقاس بها عمق الجروح وغيرها ـ يوسا؛ مدينة جديدة في اليابان سموا كذا حتى إذا كتب على الأشياء صنع في يوسا ـ USA ظن عوام الناس أن ذلك من صنع الولايات المتحدة الأميركية U.S.A ولوس أنجلوس مدينة في الطرف الغربي من الولايات المتحدة «في كاليفورنيا».

ومن برلين حباتٌ صغارٌ
تذيب مقالع الحجر الجموس[1]

وبالأمس القريب أتى طبيب
من الصين الحديثة عند مُتْسي[2]

يخبر أنه كشف الخبايا
ويروي من عجائب كُنْفُشوس[3]

وقال لي الطبيب أنا عليم
بأقوال ابن سينا وابن يوسي[4]

فقلت له: صحيح غير أني
أُحس بكل أنوع البؤوس[5]

ففي بطني من الآلام حرب
تهون بجنبها حرب البسوس[6]

ооооо

---

(١) الجموس: القاسي...
(٢) عند موتسى: ماوتسى تونغ.
(٣) كونفوشيوس: حكيم الصين القديم.
(٤) ابن سينا أعظم أطباء العرب ـ وابن يوسى: اسم وهمي لموافقة القافية فقط.
(٥) البؤس: الشقاء والعذاب والشدة، والبأس والبؤس، والبؤوس. مصادر بمعنى واحد.
(٦) البسوس حرب كانت في الجاهلية. دامت العداوة فيها بين بني بكر وبني تغلب عشرين سنة.

الموضوع الثالث مع معي عمر فروخ!!

ولكون قصيدة عمر فروخ التي استوحيت منها كتابة موضوعين تقدما في هذا الجزء؛ الأول تحت عنوان: «معي.. عمر فروخ» والثاني: «عودة إلى معي.. عمر فروخ» ـ أقول: لكونها استقطبت أبياتها كلمات ذات مفاهيم وفوائد علمية وأدبية فيها إشارات إلى شخصيات تاريخية.. رأيت العودة لها مرة ثالثة لاستكمال بعض الأبيات التي اشتملت قوافيها وبعض كلماتها على إشارات ذات معان تاريخية قام بالتعليق عليها وشرحها ـ فروخ نفسه ـ من تلك الأبيات قوله:ـ

وجاءوني بمنظار طويل
لتجميع الحقائق والدروس[1]

وعانيت الذي شاءوا وإني
بريء من معرة كريكوس[2]

وكان هناك في المعي انسداد
يخيف كأنه بعض الحبوس[3]

---

(١) المنظار هو آلة تصوير دقيقة جداً تدخل داخل البطن بواسطة سلك رفيع للإطلاع على موضع الألم ونوعه.

(٢) يقول: وافقت على إدخال المنظار وعانيت ما عانيت من المشقة. ـ وكرياكوس. اسم تلميذ يعرف الشاعر ويقول أنه من طرد بسببه بعض تلاميذ القسم الاستعدادي في الجامعة.

(٣) الحبس السجين ـ وقد جمعه على: حبوس. ويصفه بالإنسداد الذي كان في معيه وصفاً تهويلياً.



فـشـدوا شـدتـيـن بـكـل عـنـف
يـسـيـل لـه لـعـابُ بـنـي أروس[1]

أُنَـعَّـمُ فـي الـقـصـور بـكـل عـطـف
وأحـظـى بـالـهـدايـا والـكـؤوس[2]

كـأن الأرض مـن تـحـتـي بـسـاط
وأنّـي فـوقـهـا مـثـل الـعـروس[3]

أسـيـر بـهـا كـكـسـرى أردشـيـر
وئـيـداً أو كـقـيـصـر سـبـتـمـوس[4]

كـأنـي فـوق جـالـيـنـوس طـبـا
وعـلـمـاً فـوق رتـبـة بـطـلـمـوس[5]

○○○○○

---

(١) أروس: إله الحب عند اليونان يصورونه غلاماً عارياً بجناحين صغيرين أحياناً وبغير أجنحة أحياناً أخرى.

(٢) الكؤوس: مفرده كأس يعطى الفائزين في الألعاب.

(٣) العروس: لفظة تطلق على الرجل والمرأة ما داما في أول زواجهما.

(٤) كسرى لقب ملوك الفرس الساسانيين. أفردشير أصل أو أردشير بن ساسان أو ابن بابك (٢٢٦ـ ٢٤١م) مؤسس الدولة الساسانية.. قيصر لقب أباطرة الروم.. ستيموس: «١٩٣ ـ ٢١١م» من أصل قروي نادى به الجنود امبراطوراً على روما. وتزوج يوليا دومنا بنت كاهن حمص (سورية).

(٥) جالينوس: «١٣١ ـ ٢٠١م» طبيب يوناني بارع في التشريح وفي المعالجة.. وهو أشهر الأطباء اليونانيين اسماً عند العرب. بطليموس: «ت ١٦٧م» مصري الأصل يوناني اللغة من كبار علماء الفلك والرياضيات والجغرافية..

سؤال معلم مداعب. وإجابة دعابية من طالب!!

والدعابة في الأدب بصفة عامة لها محبّ ومتذوّق.. ولهذا حرص الكثير من الأدباء على صنع بعض المداعبات الملتزمة بقواعد الأدب مع من تربطه بهم علاقة فأشبعوا بذلك عشاق الطرفة والمداعبة الأدبية.. ونتيجة لذلك حظي الكثير من مداعبات الأدباء والشعراء باهتمام الرواة الذين جعلوا منها فاكهة لموائد مجالسهم الأدبية.. كما حظيت تلك المداعبات باستجابة أذن السامع لها، واستطابتها.

ولو أردنا وصف المداعبة المدوَّنة في كتب الأدب. لجاز لنا القول بأنها كالملح في الطعام.

أما من ناحية رواج الفكاهة بشكل عام بما فيها المداعبة. فإنه يكثر ويقلّ محبّوها وفقاً للأسلوب الذي تعرض به.. لكنها تحوز على أكبر عدد من متذويقها إذا جاءت في أسلوب شعري.. كتلك المداعبة التي جرت بين الشاعر السيد نجيب فضل الله الذي كان ساكناً في بلدة عيناتا بلبنان. وأستاذه السيد محسن الأمين حيث تأخر في يوم من الأيام عن حضور الدرس وكان عذره عن الحضور بسبب البرد وكثرة المطر وقد كان حديث عهد بعرس. فأرسل إليه أستاذه محسن الأمين الأبيات التالية:ـ

البرد عاقك يا مولاي والماء
عن مجلس الدرس أم عاقتك أشياء

أصبحت تكتمها والله يعلمها
إذا كان يغني عن التصريح إيماء

أم قد نبت همة قد كنت أعهدها
من قبل وهي كحد السيف شماء
فأقدم هديت بلا ريب ولا مهل
فآفة العلم إمهال وإبطاء

فأجابه نجيب بقوله:

ما عاقني منك إلّا البرد والماء
ففي فؤادي من فعليهما داء
وما تؤخرني أشياء تعلمها
مثل الذي فعلته قبل شقراء
ذرني وموقدتي والنار أضرمها
فلي بها عن سواها اليوم إغناء
وهمتي بقيت للصيف كامنة
فسوف يأتيك عنها فيه أنباء

ومثل هذه المداعبة يجب أن تولى عناية بالرواية وأن تدون في كتب الأدب لاتصافها بالأدب الصافي، وبُعدها عن السخرية الجارحة التي تمتزج بعض المداعبات، ويخرج بها ذلك الامتزاج عن قاعدة الأدب المطلوبة.

○ ○ ○ ○ ○

ابن تيمية وقازان!!

لما وصل التتار إلى الشام عام ٦٦٩هـ، وهزموا عساكر الناصر بن قلاوون هرب إلى مصر كثير من الأعيان والعلماء والقضاة! لكن ابن تيمية ثبت ولم يخرج حيث عز عليه ترك العامة من مواس في هذه المأساة.. وبخروج الأكابر آلت البلاد إلى الفوضى. وخرج من الحبس الشطار والسراق، وكانوا قرابة ٢٠٠ رجل؛ فنهبوا ما يقدرون عليه.. فقام ابن تيمية على ضبط الأمور. وعين وفداً هو على رأسه لمخاطبة قازان رابع ملك مسلم من التتار في محاولة لمنعه من دخول دمشق.. قال أحد الذين حضروا اللقاء: كان ابن تيمة يحدّث قازان بقول الله ورسوله في العدل ويرفع صوته ويقرب منه... ـ وقازان مع ذلك مقبل عليه. سامع لما يقول. شاخص إليه لا يعرض عنه من شدة ما أوقع الله في قلبه من الهيبة والمحبة.. وسأل قازان: من هذا الشيخ؟ إني لم أر مثله، ولا أثبت قلباً منه، ولا أوقع من حديثه في قلبي، ولا رأيتني أعظم انقياداً لأحد منه! فأخبر بحاله، وما هو عليه من العلم والعمل.

ومما خاطبه عن طريق الترجمان.. «قل للقازان: إن أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاضي وإمام ومؤذن على ما بلغنا. وأبوك وجدك كان كافرين، وما عملا الذي عملت عاهدا فوفيا، وأنت عاهدت فغدرت، وقلت فما وفيت، وجرت». ثم خرج بعد هذا القول من عنده معززاً مكرماً، بحسن نيته، وقيل أن قازان طلب إلى ابن تيمية الدعاء. فقال في دعائه: «اللهم إن كنت تعلم أنما قاتل لتكون كلمة الله هي العليا. وجاهد في سبيلك فأن تؤيده وتنصره، وإن كان للملك والدنيا والتكاثر فأن تفعل به وتضع».. ـ وقد أثمرت تلك الجهود بخير ولكنه محدود.

حيث أجّل قازان دخول دمشق إلى حين. فأمن الناس وزال فزعهم. وأعلن الأمان وطيف في البلد.. لكن قازان طلب من الأهليين بعد ثمانية أيام تسليم السلاح والخيل والأموال.. وكثر عبث جنده فحرقوا المساجد وقتلوا وسبوا نساء المسلمين.. ـ فخرج ابن تيمية لمقابلته مرة ثانية فحجب عنه.. غير أن مسعاه قد استنقذ الأسرى بما فيهم الذميين...

وفي عام ٧٠٠هـ، سمع الناس أن التتار في طريقهم إلى الشام فرعب الأهالي.. فجلس ابن تيمية في اليوم الثامن من صفر عام ٧٠٠هـ ليتحدث إلى الناس. فكان حديثه.. أن قلب ظهر المجن للتتار، وأخذ يحرض على الجهاد ويحث على إنفاق المال في الذب عن المسلمين. وكانت له مساعي امتدت إلى الذهاب إلى السلطان ناصر الدين بمصر لاستنجاده كحاكم للشام ومصر يومها.. ـ تلك ملخص لبعض مواقف ابن تيمية مع التتار.. يعطينا صورة واضحة أن ابن تيمية رحمه الله كان عالماً وقائداً حربياً ورجلاً سياسياً في آن واحد... ـ وبعد هذا يطيب لنا أن نستمتع بقراءة جزء من مرثية قالها فيه الشيخ زين الدين أبو حفص عمر بن محمد بن أبي الفوارس بن علي بن الوردي.. وهو قوله:ـ

عثا في عرضه قوم سلاط
لهم في نثر جوهره التقاط

تقي الدين أحمد خير حبر
خُروق المعضلات به تخاط

توفي وهو مسجون فريد
وليس له إلى الدنيا انبساط

ولو حضروه حين قضى لألفوا
ملائكة النعيم به أحاطوا



قضى نحباً وليس له قرين

ولا لنظيره لف القماط

فتى في علمه أضحى فريداً

وحلّ المشكلات به يناط

وكان إلى التقى يدعو البرايا

بوعظ للقلوب هو السّياط

فيا للّه ما قد ضم لحد

ويا للّه ما غطى البلاط

○ ○ ○ ○ ○

السيوطي يختصر ويضيف.. واللحيدان يضيف فقط!!

كتب الشيخ الدكتور صالح اللحيدان يوماً في جريدة «اليوم» موضوعاً عنوانه: «قال السيوطي»، وكان هدفه من كتابته تلك إضافة شيء من عنده إلى ما كان قد أضافه جلال الدين السيوطي في كتابه «الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب»، وهو كما قال السيوطي: كتاب اختصر فيه كتاب «شفاء الغليل في ذم الصاحب والخليل» لابن مظفر.. وأضاف إليه بعض الأقوال الموافقة التي لم تكن في «شفاء الغليل»، وهو كتاب قيّم قرأته أكثر من مرة. وكان لي نية في الحديث عنه. وما زلت على نيتي إن شاء الله؛ لأن فيه حشداً من أقوال أهل الفكر والحكماء ومن لهم تجارب في الحياة الاجتماعية خاصة فيما يتعلق منها بمذموم الصداقة واختلال المخاللة.

فمن إضافات السيوطي رحمه الله قوله: قيل لبعض الحكماء ما أعمّ الأشياء نفعاً؟ قال: فقد الصديق الشرير... ـ وقوله: قال أبو الأسود الدؤلي: ما خلق الله أضرّ من الصاحب السوء.. ـ وقوله: قال حاتم الطائي: ما ظلم قلبي شيئاً كأذية الصديق؛ أأتمنه فيخونني.

أما الشيخ الدكتور صالح بن سعد اللحيدان فقد قال فيما كتبه: ـ ولقد نظرت فيما بين يدي فوجدتني أحتفظ بكلام جيد، قلت: أكتبه هنا لشبهه بما ذكره السيوطي...

الورقة الأولى: ـ في المأزق ينكشف لؤم الطباع.. وفي الفتنة تنكشف أصالة الرأي وفي المال تنكشف دعوى الورع. وفي الجاه ينكشف كرم الأصل، وفي الشدة ينكشف صدق الأخوة..



الورقة الثانية: ـ الإخوان ثلاثة: مخالب ومحاسب ومراغب. فالمخالب الذي ينال من معروفك ولا يكافئك.. والمحاسب الذي يقبلك بقدر ما يصيب منك. والمراغب الذي يرغب في مواصلتك بغير طمع.. ـ الورقة الثالثة: ـ عن عاصم بن عبيد الله قال: سمعت سالماً يحدث عن ابن عمر قال: كان رأس عمر على فخذي في مرضه الذي مات فيه... فقال لي: ضع رأسي على الأرض. فقلت: وما عليك كان على فخذي أم على الأرض؟ قال: ضعه على الأرض، قال: فوضعته على الأرض. فقال: ويلي وويل أمي إن لم يرحمني ربي..

الورقة الرابعة: ـ قال اللحيدان أنه من جعبته. وفيها قوله: ـ الموهبة؛ أصل لازم في الاستشارة سواء كانت قضائية أو سياسية أو إدارية أو اجتماعية. وقد تفيد التجربة في مجالات كثيرة كهذه المجالات لكن لا غنى عن الموهبة لأنها تبرع وتتجدد ويكون صاحبها جاداً غالباً.. ولهذا أرى المحافظة على الموهبة، بحمايتها ولا يكون ثمة خلط بين الموهوب والذكي، أو الموهوب والقادر، أو الموهوب والمجرب. وإلا تضائل الإنتاج. وتداخلت الأمور ونتج عن هذا إدراك خطأ الخلط بينها وبين غيرها.. ـ وهذه في الحقيقة متابعة مطلوبة من كل ذي فكر علمي وأدبي. فحيا الله اللحيدان عالم بالشرع والأدب.

أما نصيبي في ذلك فهو الإتيان بشواهد شعرية على الخليل المخل، والصديق المذموم: ـ منها قول عبد الله بن جعفر الحمدوني:

شرّ الأخلاء من ولّى قفاه إذا

كان المولّى وأعطى البشر معزولا

وقول الشيخ عبد الله السابوري:ـ

إذا رأى يوماً أخاه مبتلى

أسلمه من لؤمه إلى البلى



وقول أبي العلاء المعرّي:ـ

ومن يك ذا خليل غير سيف
يصادف في مودته اختلالا

وقول الشريف الرضي:ـ

بلوت وجربت الأخلاء مدة
فأكثر شيء في الصديق ملالُ

وأنعم منا في الحياة بهائم
وأثبت منا في التراب جبال

وقول أبي فراس الحمداني:ـ

أقلّب طرفي لا أرى غير صاحبٍ
يميل مع النعماء حيث تميل

وقول أبي العلاء المعرّي:

والخل في لفظة دليل
بأن في وده اختلالا

وقوله أيضاً:ـ

في الوحدة الراحة العظمى فآخ بها
قلباً وفي الكون بين الناس أثقالُ

○○○○○

الإبقاء على سرية الاسم من حسن أدب الشاعر!!

يحلو الحديث، وينطلق القلم عندما يكون الموضوع له علاقة بالغزل والتغزل خاصة إذا كان الغزل مقيداً بالأخلاقيات ومبادئ الآداب..

وبما أن أخلاقيات الغزل وآدابه كثيرة. فإن الذي يهمنا منها في هذا الموضوع هو انتهاج بعض الشعراء مبدأ الإبقاء على سرية الاسم وعدم ذكره في التشبيب بصاحبه، وهذا يعد من حسن ذات الشاعر وسمو أدبه وكرم أخلاقه.. بل إن عدم ذكر من يتغزل بها في ثنايا قصائده ربما كان مدخلاً لتقوى العلاقة به، وترتفع درجة الثقة التي تكون عادة منطلق الجرأة على مبادلة أساليب العشق العذري البريء الذي يأخذ في كثير من الأحيان طابع الصداقة الأدبية.. ويجنب الطرفين المزالق المشينة.. ويرتقي بهم عن المنحدرات الرديئة.

وإذا كان لا بد من إيراد شاهد على التزام بعض الشعراء بعدم البوح بالاسم المشبب بصاحبه.. وأن يكون نصاً شعرياً ذا مستوى أدبي. فإن أقرب ما أتناوله في هذا الموضوع، هو قصيدة الشاعر عمر فروخ التي جعل عنوانها: «فلانة». وأستهلها بقوله:ـ

سألوا: ما الذي أعاد إليك الشـ
ـعر كالسحر ناشراً ألوانهْ

ومنها قوله:ـ

قلت: تلك التي إذا ما تراءت
نسيَ القلب قربها أشجانهْ

طلعة تملأ العيون جمالاً
وجلالاً وقامةٌ فتّانهْ

يُقْبِلُ الشوق في غلالة ورد
ويروح الصبا على غصن بانه

فهي عون الهوى تدير على القلـ
ـب هموماً كالمزنة الهتّانه

ومنها قوله:ـ

بي من سالف التقى وازع الد
ين ومن نشأتي عليه ضمانه

وصفاء مرفرف فوق بيتي
لست أرضى أن أخدش اطمئنانه

ويختم القصيدة بقوله:ـ

ثم قالوا ما في البرية شخص
مُشْبهٌ من ذكرتَ إلّا «فلانهْ»

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ نحواً من خمسة عشر بيتاً، وهي موجودة في ديوان الشاعر الذي أسماه «فجر وشفق».

○○○○○

ليست معارضات ـ ليل الصب ـ نيفاً وأربعين.

بل نيفاً ومئتين!!

وكما أنه من الصعب إن لم يكن من المستحيل أن يقف المرء على ساحل المحيط ثم يقول: لقد أحطت بعلم ما حواه هذا المحيط. فإنه من الصعب أن يقول صاحب الفكر: أنا العالم بكل شيء.. إلّا أن يكون قد غاب عنه آخر الآية ٧٦ من سورة يوسف: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾. ولهذا فإنه يجدر بالناقد أن يحذر ركوب موجة الغرور، وأن لا يتصوّر نفسه عندما يسلط مجهره على عمل شخص ما من أجل نقده.. أنه العَالِم الذي لا يعلو أحدٌ بعلمه عليه. فإن ذلك مما يجعل نقده موضع انتقاد يصل إلى نقض آرائه وتبديدها بالأدلة وسياق الأمثلة الملموسة التي تجعله في موقع المعترف بجهله وضحالة علمه.. ـ والذي يتتبع أساليب بعض النقاد يلاحظ في بعضها معنى الشمولية فيما ينفون أو يثبتون من وجهة نظرهم.. ويسمع أحياناً نغمة القطع أن قولهم ما بعده قول.. ـ ولو أنهم حين ذاك لجأوا في أحكامهم إلى التبعيض لما عرضوا نقدهم للانتقاد.

قرأت بحثاً مطبوعاً عام ١٤٠٠هـ، عنوانه: «المعارضات في الشعر العربي»[١]. وقد أعجبت باختيار مؤلفه له وطريقة عرضه حيث أفاد القارئ بتاريخ نشوء المعارضات في الشعر العربي. ووقفاته الجميلة عند بعض القصائد التي أدت شهرتها إلى معارضتها... ـ قال في مقدمة البحث: ولما كانت المعارضات فناً لم يُلَمّ شتاتها ولم يدرس تاريخ

(١) المؤلف هو الأستاذ الدكتور محمد بن حسين.

نشأتها. آثرت أن أخصها بهذا البحث. ويا ليت أديبنا الناقد قال: لم يُلَمْ شتاتها فيما أعلم - لتخلص من دعوى الإحاطة بالعلم بأن شتات المعارضات لم يلمه أحد قبله بينما هناك دراسات في فن المعارضات وحصر لبعضها قد سبق إليه.. - والذي يلفت النظر هو قوله عند استعراضه معارضات. «ليل الصب»، للشاعر أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري المقري الضرير القيرواني المتوفى بطنجة عام ٤٨٨هـ، أنها نيفت على ٤٠ معارضه.. أما مطلعها فهو:

يا ليل الصب متى غده
أيام الساعة موعده

قلت: لو أن الأديب الناقد قال: أنها عورضت بنيف وأربعين فيما أعلم.. لكان أفضل.. لأن الذي أعرفه أن قصيدة «ليل الصب» قد بلغت معارضاتها رقماً قياسياً لم تبلغه فيما أعلم أي قصيدة عربية قبلها أو بعدها - ولهذا اهتم محمد المرزوقي الجبلاني بجمع بعضها في مؤلف أسماه «ليل الصب ومعارضاتها» وذلك عام ١٣٩٦هـ، أودع فيه ١٨٨ قصيدة معارضة لليل الصب. ولما كان هذا الرقم ملفت النظر كان لي بعض المراقبة لما يستجد من معارضة فيما أطلع عليه من صحف وغيرها. فكانت الحصيلة حتى الآن ١٢ قصيدة ولا أشك في أن هناك ما ينوف عليها نشر في صحف لم أطلع عليها. وعلى هذا يصبح عدد القصائد المعارضة ٢٠٠، وإذا علمنا أن عدد أبيات ليل الصب هو ٩٩ بيتاً؛ فإن المعارضات قد زادت على أبياتها بـ «١٠١» معارضة.. - ويبقى أن أختم هذا الموضوع باقتطاف أبيات من آخر قصيدة عارض بها الشاعر هادي أبو عامرية «ليل الصب»، ونشرتها جريدة «الندوة» في عددها ١٠٢٧٥، الأحد ١٥/٤/١٤١٣هـ.

شفهت آمالي في رشأ
يدنو والخوف يشرّده

وغرير الحب يجن به
من بات سفاهاً يرصده

من كلمة تأبى في وسني
أبصحوي يصدق موعده

وشفيع منّي قام له
أعتقدَ الرأي ويفسده

لا يملك صب منطقه
ناهتك بعزم يعقده

راض بدلالك دون رضا
ما يرضى قلب توقده

وشفيعي دمع أسكبه
وسقام لست تفنده

فلكم ذرفت عيناي دماً
لم يوقظ عطفك مشهده

○ ○ ○ ○ ○

المواقف المستحسنة.. والمستقبحة من الشاعر!!

لا يُعاب الشاعر الذي يأتي بشعر ملون تسري فيه روح المرح، وترقص في جنباته عبارات التغزل، وتترد في أبياته نغمات أدب المداعبة. إذا كان ينسجه وأحوال قومه مستقرة وأمنهم مستتب وحريتهم مطلقة. . ـ ولكنه يستقبح منه إذا كان ينسجه في ظروف تلتهب فيها الفتن وتستعر العداوات في ساحات قومه، أو في موطن من مواطن من تربطه بهم انتماءات عقيدية ولغوية وقومية، لأنه إذا لم يصرف لسانه عن الغزل والتغني حين ذاك ويجعل منه سلاحاً يشهره في وجه أعدائهم، ويقف به موقف الأبطال في ميدان القتال. فهو شاعر فاقد الإحساس ومتبلد الشعور لا يؤثر في نفسه ما يُمنى به قومه من عداوات تلحق بهم الضرر والهزيمة، وتجعل منه أمة مستصغرة مغلوباً على أمرها باغتصاب حقوقها، وسلب حرياتها، ونهب خيراتها، وجرح كبريائها.

وإن لم يكن كذلك فهو متواطئ مع أعداء أبناء أمته. ومتهم في صدق مواطنته وسلامة عقيدته.

ولقد رسم الشاعر عبد الرحمٰن صالح العشماوي جانباً من رفض الشاعر الذي يتحسس آلام قومه. . قول القصيدة المرقصة التي تخلو من الأفكار التي تُدْرَجُ في عبارات تلهب المشاعر وتذكي النفوس. وذلك في قصيدة له عنوانها: «القصيدة الملتهبة»، وفيها مقت لصناعة قصاد الغزل أثناء حدوث الأزمات التي تلم بالناس ويكونون فيها أحوج إلى إثارة المشاعر وتظافر الجهود لمواجهة الأحداث. . يقول في مطلعها:ـ

جرب كغيرك لوّن الأشعارا
وأقم لشعرك في القلوب مزارا

وفيها يقول:ـ

والقوم يبغون القصيدة طفلة
لثغاء لا تستوعب الأفكارا

ومنها قوله:ـ

عصري محيط للجراح وإنني
أزمعت منذ طفولتي الإبحارا

سأظل أشعل في الطريق قصائدي
ليرى المشاة الشوك والأحجارا

سأظل أعزف لحني الباكي على
وتر الأسى. لن أرحم الأوتارا

حتى أرى فجر العقيدة ضاحكاً
طلقاً. وحتى أسمع الأطيارا

وهناك سوف أمدُّ ظل قصائدي
ولسوف أُجري تحته الأنهارا

قل للذين يشوهون قصائدي
حبي لكم جعل القصيدة ـ نارا ـ

وإذا عتب العشماوي على الذين يتغزلون وقت الأزمات، أو يصغون لسماع الغزل وأنغام الطرب ولا يشاركون في رسم الطريق المخرج من الأزمة. فحق له أن يعتب، ويزيد في العتب.

○○○○○

من الفوائد الأدبية في القرآن!!

وقراءة ما دون من بحوث في القرآن الكريم لا تملّ على الإطلاق.. لأنها متعة نفسية وأدبية علاوة على أنها عبادة وأسلوب لتعميق الإيمان في نفس القارئ.

وهذا الموضوع أصل به ما توقفت عنده في الموضوع الذي تقدم تحت عنوان: «الاشتغال بالبحث في القرآن عبادة ورياضة نفسية» من فوائد أدبية اهتم العلماء أثابهم الله بتدوينها وذلك كقولهم: ـ إن أكثر ما اجتمع في القرآن من الحروف المتحركة ـ متوالية ـ ثمانية أحرف من أحرف الآية الرابعة من سورة يوسف: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ ـ وإن في القرآن آية واحدة تجمع حروف الهجاء هي الآية ٢٩ من سورة الفتح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾.

قلت: وهناك آية أخرى تشتمل على جميع حروف الهجاء وهي الآية ١٥٤ من سورة آل عمران ونصها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾.

وإن في القرآن سورة في كل آية منها اسم الله تعالى؛ هي سورة المجادلة.

وإن فيه آية فيها ١٦ ميماً هي قوله تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾ [هود: ٤٨].

شعر في وصف القرآن:

كتاب اللّه قاموس المعاني
وكنز قد حوى أسمى المباني

نظام للحياة بخير نظم
بيان معجز بين البيان

تولّى حفظه رب قدير
ليبقى خالداً طول الزمان

بيان يعربيّ ذو نقاء
فصيح مفصح عف اللسان

له نغم شجيّ مستلذ
بلا إذن يمرّ إلى الجنان

فلا ملل على التكرار فيه
ولا سأم لتالٍ من حسان

تحدّى كل إنسيّ وجن
فلم يأتوا بآيٍ أو مثان

يظل مدى الزمان له تحدٍّ
ويبقى معجزاً في كل آن

والقصيدة أطول من ذلك، وهي للشاعر خير الدين وانلي. وقد ضمها ديوانه «ديوان النصر للإسلام».

الأبيات لابن الرومي وليست للمتنبي يا قبِّش!!

تعاودني بين الحين والآخر خاطرة الكتابة عن الصديق.. وأحياناً يجرني إلى الكتابة عن ذلك مناسبات تدور أحاديثها حول الصديق والصداقة. فلا أجد بداً من الاستجابة للخاطرة أو المناسبة.

ولأن الكتابة عن هذا الجانب الاجتماعي من الحياة يعد ذا أهمية. ولهذا فالنية عندي تتجه إلى تأليف كتاب ربما يكون من عدة أجزاء عن الصداقة والصديق.

واستجابة لخاطرة هذا الموضوع قررت أن أبحث في جانب من مذمومات الصداقة وذم الصديق، وبدأت أحضر شواهداً من الشعر على ما أراه أو أنقله من أقوال الحكماء وأهل الفكر في ذم الصديق، والمشورة باختبار صدق الصديق قبل مصادقته. فكان تحضيري من كتاب حديث ألفه الأستاذ أحمد قبِّش وسماه: «مجمع الحكم والأمثال»، وقد وجدته ينسب الأبيات التالية:ـ

عدوك من صديقك مستفادُ
فلا تستكثرن من الصحاب

فإن الداء أكثر ما تراه
يكون من الطعام أو الشراب

إذا انقلب الصديق غداً عدواً
مبيناً والأمور إلى انقلاب

ولو كان الكثير يطيبُ كانت
مصاحبةُ الكثير من الصواب

ولـكـن قـلـمـا اسـتـكـثـرت إلّا
سـقـطـت عـلـى ذئـاب فـي ثـيـاب

فـدع عـنـك الـكـثـيـر فـكـم كـثـيـر
يُـعـافُ وكـم قـلـيـل مـسـتـطـاب

إلى المتنبي. الأمر الذي استوقفني. بل صرفني عن نقل ما يمكن نقله من أقوال عن الصديق المذموم؛ حيث فاجأني بخلاف ما كنت أعرف أنها لابن الرومي وبزيادة بيت هو:

فـمـا الـلـجـج الـمـلاح بـمـرويـات
وتـلـقـى الـرِّيَّ فـي الـنـطـف الـعـذاب

فاتجهت للبحث في حقيقة الأبيات؛ لأنه أوجد عندي شكاً.. وبالرجوع إلى «ديواني ابن الرومي والمتنبي» وجدت أن صحة نسبه الأبيات لابن الرومي إذ هي مدونة في ديوانه، وليس لها وجود في ديوان المتنبي، ولا أعلم هل أحمد قبِّش نقل الأبيات من كتاب أدبي وقع صاحبه في خطأ نسبة الأبيات للمتنبي. أم أنه لم يلق للقائل بالاً بقدر ما كان يهمه موافقة الأبيات للباب الذي خصصه للصداقة والأصدقاء؟.

وعلى العموم فإني أرى أن الحديث قد طال. والمجال قد ضاق عن العودة إلى موضوع ذم الصديق.. وتأجيله إلى موضوع آخر أوفق وذلك من أجل العودة لأبي الحسن علي بن العباس بن جريج المعروف بابن الرومي. لنذكر شيئاً مما قاله في الصديق فهو أفضل ما أختم به هذا الموضوع يقول:ـ

عـرّج عـلـى ذكـر الـصـديـ
ـق وعـدِّ عـن ذكـر الـحـبـيـب

كـم مـكـثـرٍ لـي مـخـبـثٍ
ومـقـلٍّ قـولٍ لـي مـطـيـب

لغتان في قصيدة واحدة

من شعراء الفصحى من يدخل لغة عامية في بعض أبيات قصيدته.. إما بقصد جذب القارئ العامي لقراءة قصيدته وجعل تلك اللغة بمثابة الطعم له. أو أنه رأى شيوع بعض الكلمات العامية وتداولها على ألسنة الناس فاستحسن استخدامها لا عن جهل في اللغة أو ضحالة في المعرفة.. لكن قلم الناقد وإن تجاوز عنه بعض الشيء إلّا أنه يحاسبه على ذلك.

ومن شعراء العربية من يجيد أكثر من لغة فيتفاخر بذلك، ويصنع قصيدة من لغتين لتصبح كالقميص المرقع الذي بنائقه من لون وبدنه من لون وجيبه من لون وذيله من لون.. - وهذا الصنف من الشعراء متهم بالجهل بما في اللغة العربية من مرادفات جميلة ومعاني لا تصل إلى سموها أي لغة.

والذي أثار خاطرة هذا الموضوع هو تلك القصيدة التي نشرتها مجلة «منار الإسلام» في عددها الثالث، ربيع أول سنة ١٤١٣هـ، للشاعر عارف الشيخ تحت عنوان: «ولكم أنجلس» - أي مرحباً بالإنجليزية - وفيها يرى عارف أن اللغة الإنجليزية تقدمت على جميع اللغات وأنها هي لغة الصناعة والتكنلوجيا الحديثة. وهي لغة التسويق التجاري. وقد عبّر عن ذلك بكلمات إنجليزية مكتوبة بحروف عربية.. من تلك القصيدة قوله:-

مخطوطة بين اللغات تقدمي
تيهي دلالاً رغم كل اللوّم



فاليوم أنت على اللغات «كوينها»[1]
فتحية لك من شعوب «ولكم»

أنت التي أصبحت في الأسواق في
كل الأماكن لوثة المتكلم

أصبحت بالغة التخاطب في الورى
تاجاً على كل الرؤوس الأنعمي

إنا نتابع باهتمام ما كتب
ت وما صنعت فأنت أم تقدم

دانت لك الدنيا بكل لغاتها
وشعوبها نشوى بنغمة «وليم»[2]

في العرب كم من متقن لصناعة
وفخارنا بك فاعلمي ثم اعلمي

ترتاح أنفسنا لـ «ميد إن إنچلند»
من ملبس أو مشرب أو مطعم[3]

والقصيدة أطول من ذلك، وسأتناول جزءاً مما تبقى منها في موضوع آخر إن شاء الله.

○○○○○

(١) كوينها ـ Queen أي الملكة.
(٢) وليم شكسبير المراد به إعجاب العالم بالإنجليزية.
(٣) Made in England أي صنع في انجلترا.

في الأصدقاء ـ ألف كواحد، وواحد كألف ـ!!

قديماً قالوا: ـ «ملء فمك، ولا ملء بطنك» وهم يعنون بذلك نوعية الأكل.. مفضلين القليل المحتوى على جميع العناصر الغذائية. على الكثير الذي يملأ البطن وليس بذي قيمة غذائية يستفيد منها الجسم قوة وحيوية. وهذا المثل قد نطبقه مجازاً على أنواع الناس الذين نفكر في إقامة صداقات معهم فلا نأخذ بالكثرة وإنما بالنوعية المنتخبة للصداقة. ولا بأس من أن نجعل نصب أعيننا حين ذاك قولهم في تفاوت مواقف الرجال مع أصدقائهم: ـ «في الناس ألف كواحد. وواحد كألف».

ومن هذا المنطلق يكمن سر حيرة بعض الحكماء وأهل الفكر في كيفية اختيار الصديق إذا لم تدعوا الحاجة إلى الزج به في ميدان التجربة العملية التي تكشف بطبيعتها الصدق في محبة الصداقة.

والحقيقة إن الحديث في مجال الصداقة واختيار الصديق واسع بل بحر لا ساحل له؛ لأن الصّداقات كثيرة وذات أغراض مختلفة بل متنوعة والناس بطبيعتهم يكمل بعضهم بعضاً بالتعامل والمقايضة في شؤون الحياة.. ولهذا كان لوجود الصداقة أو قيامها فيما بين الناس ضرورة يقصد من ورائها تحقيق الثقة والصدق، والابتعاد عن الخداع والغش. ولكن لكون المنفعة الشخصية مقدمة على كل اعتبار لدى معظم الناس حصل تنبيهات إلى أنه ليس كل إنسان يصلح لأن يكون صديقاً. بل إنهم قللوا من يصدق في صداقته، ويؤثر صديقه على نفسه في المآزق والمواقف الصعبة التي لا ينظر فيها الناس إلّا إلى نفوسهم. إلّا

ما قل منهم، وهذا القليل هو ما يفتش عنه وتنشد صداقته.. ولكن أين هو وفي أي بلاد؟.

ولعل من أهم تلك التنبيهات ما جاء شعراً على ألسنة الشعراء. وذلك مثل قول الصاحب شرف الدين الأنصاري:

إذا رمت أمراً فاعتمد في بلوغه
على صاحب ذي حكمة وتجارب

ولا تتخذ فيما ينوبك مسعداً
سوى عزماتٍ كالنجوم الثواقب

ولا تغترر بالخل إن لاح بشرّه
فإن الأفاعي لينات الجوانب

ويقول أيضاً في موضع آخر:ـ

إذا الصديق اعتلت مودته
صحبته آيسا من العتب

فإن تمادى كويت قرحته
بالهجر. والكي آخر الطب

ويقول أبو فراس الحمداني:

إذا الخل لم يهجرك إلّا ملالة
فليس له إلا الفراق عقاب

بمن يثق الإنسان فيما ينوبه
ومن أين للحر الكريم صحاب

وقد صار هذا الناس إلا أقلهم
ذئاب على أجسادهن ثياب

«جواثا» في شعر الملحم!!

ولو أن كل أديب اهتم بالبحث عن تاريخ وحضارة مسقط رأسه وجمعه في كتيب؛ لأصبح لدينا معجم كبير يفوق في كمه وكيفية تلك المعاجم التي أكب على تأليفها شيوخ عصرنا آثابهم الله.. ـ لا لأنهم مقصرين في البحث والاستقصاء وإنما لكونهم يفضلون الاختصار في بعض المواقف ويكتفون بذكر المهم فقط... ـ أما الكاتب الذي يكتب عن مسقط رأسه. فإنه سيأتي على ذكر الموقع الجغرافي وطبيعة الأرض والنشاط الزراعي والتجاري والثقافي، وسوف لا ينسى ذكر الأعلام من أهلها سواء كانوا قضاة أو خطباء أو شعراء أو غيرهم، ممن كان لهم في ميدان الثقافة أثر وسوف يحرص على رصد أعمالهم، ووصف تقاليدهم وعاداتهم، وكل ما يمارسونه من مظاهر في أعيادهم ومناسباتهم. وسيكون له وقفة مع وصف مجالسهم وطرائف أخبارهم، وما أضافوه إلى قاموس الأمثال من حِكَم هي وليدة تجاربهم.

والذي أثار في نفسي طرح هذه الفكرة هو ذلك الموضوع الذي كتبه الأخ العزيز معالي الدكتور محمد عبد اللطيف الملحم في جريدة «اليوم» في عددها ٦٩٧٦، الثلاثاء ٢١ محرم ١٤١٣هـ، عن بلدته «جواثا» بالأحساء، وراح يسوق على عراقتها وأنها مدينة تاريخية شاهداً من معجم شيخنا حمد الجاسر.

لكنه والحق يقال قد وفى بعض ما عليه لـ «جواثا» إذ نظم فيها أشعاراً يستدل منها القارئ على أنها مدينة تاريخية قديمة، جاهلية، وأن أهلها أسلموا حينما وردهم كتاب من المصطفى ﷺ ووفدوا

عليه ﷺ بالمدينة المنورة فدعا لهم وبارك لهم في زادهم.

ورحب المصطفى بالوفد إذ قدموا
يا مرحباً بكم بالخير قد جانا

فإنكم خير أهل الشرق كلهم
ومثل وفدكم في الناس ما كانا

أسلمتموا بكتابٍ جاءكم وكفى
على قبولكم للحق برهانا

وبارك المصطفى في زادكم ودعا
ويسرُّ دعوة خير الخلق قد بانا

وقد استغرقت رحلة الوفد أثناء عودته من المدينة المنورة إلى «جواثا» بالأحساء مدة أسبوعين:

وفي «جواثاى» ثاني جمعة جمعت
بعد المدينة من واديك «أحسانا»

هذا إن لم يكن يقصد الشاعر الملحم بأنه لما فرضت صلاة الجمعة كفرض كفاية وأقيمت بالمدينة لأول مرة وصل الخبر مع الوفد العائد من المدينة؛ فأقيمت صلاة الجمعة من الأسبوع الثاني من فرضها في «جواثا»[1]، ولعل هذا هو الصحيح.. - وفي موضع آخر يذكر الملحم «جواثا»، ويشيد بها وبتاريخها المجيد الذي تعبق بشذاه الأعصر والقرون.

حيّوا «جواثا» وأمجاداً بها عبقت
فواحة تملأ الدنيا رياحينا

---

(١) وأول جمعة جمعها الرسول ﷺ كانت يوم الجمعة السادس من ربيع الأول من السنة الأولى للهجرة. وذلك في مسجد بني سالم بن عوف ببطن الوادي على مشارف المدينة المنوّرة.



بلابل المجد تشدو في مرابعنا
بكل لحن شجي الوقع تشجينا

وموكب الخلد يسري في مسيرتنا
يحثنا الأمل السامي ويحدونا

○○○○○

الرفاعي والفول!!

والحديث عن الفول كأكلة شعبية تؤكل بالخبز لدى غالبية شعوب الأرض ربما كان فيه متعة لبعض القراء. ولهذا سأصطحب الشاعر الرفاعي واسمه: سيد بن جامع بن هاشم بن مصطفى الرفاعي المتوفى سنة ١٩٥٩م، في قصيدة فكاهية له عنوانها: «الفول أكلي ما حييت»، ولا غَرْوَ بل لا عجب إذا أفرد الرفاعي قصيدة يصف فيها حبه للفول ـ أقول لا عجب في ذلك ـ لأنه مصري الجنسية والمصريون بصفة عامة من الشعوب التي تحب تناول الفول حباً كثيراً. بل ربما كانوا أشد شعوب العالم أو قل من أحرصهم وأحبهم لأكل الفول بالخبز.

ولا أريد أن أعلق تعليقاً فكاهياً طريفاً فالشاعر الرفاعي قد وفر عليّ ذلك. فهو صاحب تجربة ـ وصاحب التجربة يأتي بما هو أبلغ وأصدق من غيره في وصف ما كان يفعله.

يقول في مطلع قصيدته تلك:ـ

الفقر يملأ بالمذلة كاسي
إني سأشهر في الورى إفلاسي

وبعده بأبيات يأتي على ذكر الفول؛ فيقول:ـ

الفول أكلي ما حييت وإنني
متحرق شوقاً إلى القلقاس[1]

ثم بعد ذلك يجعل نفسه شبيهاً للحمار في حبه للفول ذلك

(١) القلقاس: البطاطا المسلوقة.

الحب الذي جعله يداوم على أكله مداومة تخلعت منها أضراسه.

قد كدت يا قومي أُصيّح منهقاً
وتخلعت من أكله أضراسي

ثم يظهر حبه كحب ثانوي لما يشتمل عليه سماط الأكل كلحم الرأس مثلاً؛ لكنه حب يحول دونه خلو الجيب من النقود.

البطن خالٍ - كالجيوب - وأشتهي
ما في المسامط من لحوم الراس

ثم يصف حالته مع الجوع وكيف أنه باع من أجل الحصول على الفول هدومه.

وإذا مشيت فإنني متهالك
وأكاد ألفظ جائعاً أنفاسي

وأمر بالحاتي فأهتف قائلاً:
كم ذا يكابد مفلس ويقاسي

قد بعتُ مهريَّ الهدوم وفي غد
سأبيع حتماً للعباد نحاسي

وإذا ذهبت لحفلة أشدو بلا
أجر كعبد الحي أو حواسي[1]

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ١٤ بيتاً، وهي موجودة في ديوانه «ديوان هاشم الرفاعي».

○○○○○

---

(١) وعبد الحي وحواس مغنيان بمصر آنذاك.

هجاء النفس والهزء بها!!

وهجاء النفس لا يصدر إلّا عن شخص يعاني من حالات نفسية وأزمات متنوعة تحدث ثورات غاضبة داخل كيان الإنسان فيطلق لسانه في ذم ذاته فضلاً عن غيره من الناس.

والحطيئة لمّا هجا نفسه.. سخر منه الناس، وصارت أبياته التي هجا بها نفسه شاهد تندر ومفاكهة في بعض المجالس.. وقد خفي عليهم أن الحطيئة أجلّ من أن يجعل نفسه موضع فكاهة للناس. ولهذا فإنني أخالف أولئك الذين يتندرون بهجائه لنفسه دون أن يلتمسوا سبباً لذلك.. ومع مخالفتي هذه أضع الحطيئة في مسار يبرئه من المرض النفسي فأقول: ـ إذا علمنا أن الحطيئة شاعر هجاء يقذع في هجائه. ويأتي بألفاظ بذيئة يحاسب عليها؛ فإنه يرى أن تخفيف الوطأة في محاسبته سيكون عن طريق هجائه لأمه ونفسه. فهو بذلك يدخل من باب ساسه عند مساءلته عن هجائه لبعض الناس. ليقول لسائله: ـ هذا طبعي وما جبلت عليه.. ألا تراني قد هجوت أمي، وهجوت نفسي بقولي:ـ

أبت شفتاي اليوم إلّا تكلما
بشر فما أدري لمن أنا قائله

أرى لي وجهاً شوّه اللّه خلقه
فقبح من وجه وقبح حامله

أما الهزء بالنفس.. فإن كثيراً من الشعراء يهزؤون بأنفسهم في حالات يكون للهزء والتندر فيها مجال واستحسان.. لكنهم يهزؤون بها

في حالات يكون للشؤم فيها سلطان قوي على صاحبها.. وفي مواقف يكون لصوت البؤس والحرمان صدى متردد في أذنه.. ولكل أقرب شاهد على ذلك قول أحد المتشائمين من الحياة. وهو أبو العلاء المعري الذي هزأ بنفسه بهذا الأسلوب:-

لو أن بنيّ أفضلُ أهل عصري
لما آثرتُ أن أحظى بنسْلِ

فكيف. وقد علمتُ بأن مثلي
خسيسٌ لا يجيءُ بغير فسْلِ

وبهذا القول:-

جسم يذمُّ النفس وهي تذمه
في مجمل من أمرها ومُفَصِّل

وبهذا القول:-

وقد صدئت نفسي بجسمي ولُبْسِهِ
فهل تصطفيها ميتتي بصقال

وبهذا القول:-

عرفتُكِ جيداً يا أم دفر
وما أن زلتِ ظالمةً فزولي

دعيتُ أبا العلاء وذاك مينٌ
ولكن الصحيح أبو النزولي

○○○○○

الافتخار بحميد الخصال!!

إن الإنسان الذي قد اتخذ الخلق القويم طريقاً يشق به حياته ويمضي من خلاله إلى ما تقرره إرادته.. ويجعل منه رمز فخار لذاته. هو الذي لا يخشى لسان قادح أو مغرض وفاضح، لأن عمله وسلوكياته تلجم ألسن البذاة. وتكبت بذاءتهم في نفوسهم بفعل طبيعي يمتد من ذلك الطريق الأخلاقي الذي اختاره سمةً وواقعاً لشخصه، ومنهاجاً لحياته.

وإذا كانت الأخلاق الفاضلة، تقف بطباعها وصفاتها سياجاً منيعاً يقي صاحبها من المكائد. فإنها تمنحه في نفس الوقت قوة يتكئ عليها حينما يقام للمفاخرة منبراً وتعرض في ميدان القيل والقال، لأن الافتخار إذا لم يكن له قاعدة وسند يدعمه، وواقع ملموس يحميه من التلفيقات والتهم.. تجاسر عليه أهل التزوير والتكذيب تجاسراً ينطوي على محاولة ضعضعة تلك القوة التي يتكئ عليها.

ويبقى أن أشير هنا إلى أن هذا الموضوع لم يكن مجرد وليد خاطرة عبرت بمخيلتي، وإنما هو نتاج قراءة لقصيدة للشاعر: عمر فروخ عنوانها: «حسب المبتلى»، والتي أظهر فيها افتخاراً بسلوكياته ونظام حياته الذي لا يعرف اللهو فيه حتى في شبابه. الأمر الذي دفع عنه كل ريبة يمكن أن يعيَّر بها:ـ

فمن كان في لَهْوَيْه أفنى شبابه
فإني لمَّا أنتفع بشبابي
وإني ما أحدثْتُ في الدهر ريبة
يعيّرني قومي بها وصحابي



والسبب في ذلك أنه قد تربى على التقوى:-

فوالله ما رُبيتُ إلّا على التقى
ولا طويت إلّا عليه ثيابي

ذريني فما في الدهر فضل لنائل
إذا اتّصلت أيدي الرجال بعاب

وأقطع كفّي إن بغت وأردُّها
إذا ابتغت الدنيا بغير كساب

ومن جملة ما يفتخر به من الخصال: منع نفسه أن تؤمل في نيل لذة مخالفة لسلوكياته وأخلاقياته الحميدة:-

وأمنع نفسي أن تؤمل لذة
وترجع عن لذّاتها بعتاب

لعمرك ما خاللت إلا مُمنّعاً
صديقي ولا فارقت غير معاب

ولكن كلاب في المدينة أُولعتْ
بنهشي وحسب المبتلى بكلاب

وهذه القصيدة موجودة في ديوان الشاعر «فجر وشفق».

○○○○○

استعابة رثاء الزوجة لزوجها
والزوج لزوجه من مخلفات الجاهلية!!

والتستر على رثاء الزوجة وعدم إظهار الحزن على موتها كان من عادات الجاهلية التي لا ترى للمرأة حقاً، وأن موتها وحياتها سواء. وما هذه العادات إلا ثمرة من ثمار انتزاع الرحمة والرأفة من قلوبهم، وأسلوب يمليه الاستعلاء والطغيان والجبروت.

ولقد كان لذلك التستر جذور خفية بقيت حتى القرن الثاني من الهجرة في نفوس بعض الشعراء حيث تستشفي بعض الغضاضة مع إظهار الحزن على الزوجة في مراثي بعض الشعراء لزوجاتهم... ـ ولأني قد تطرقت لهذا الموضوع في عدة موضوعات هي متفرقة في أجزاء هذا الكتاب فإنني أدع الحديث عن التستر على الحزن على موت الزوجة، لأستعرض شيئاً من أشعار الشعراء المتأخرين الذين رفضوا تلك العادات الجاهلية.

وصرحوا برثاء زوجاتهم وفاءً لهن وتحسراً على فراقهن. وإظهاراً لما كنّ قد قدّمنه من حسن تبعل ولطافة معاشرة استحققين عليها المديح المغلف بثياب الرثاء.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الرثاء ليس مقصوراً على الرجال لأزواجهم. بل إن هناك زوجات رثين أزواجهن ونثرن دمع الحزن في قصائد رثائية مثيرة.

من أولئك اللائي رثين أزواجهن.. سهية زوجة شداد العبسي التي رثت شداداً عندما مات بقولها:ـ



جفاني الكرى وأنا في الغسق
وساعدني الدمع لما اندفق

لفقد همام مضى وقضى
وقد زاد منّي عليه القلق

فمن بعد شداد يحمي الحريم
إذا الحرب قامت وسال العرق

ومن يردع الخيل يوم الوغى
ومن يطعن الخصم وسط الحدق

ومن يكرم الضيف في أرضه
ومن للمنادي إذا ما زعق

لقد صرت من بعده في ضنى
وقلبي لأجل الفراق احترق

أما رثاء الرجال لأزواجهم فقد أخذ مساحة لا بأس بها من دواوين الشعر. بل إن بعض الشعراء قد أفرد ديواناً خاصاً لرثاء زوجته.. ومنهم الشاعر عزيز أباظة الذي جمع في ديوانه «أنّات حائر» مراثيه في زوجته. وقد أشار في إحدى قصائده الرثائية تلك.. إلى أنه سيحج عن زوجته وفاءً لها. وذلك بقوله:ـ

لئن حقق اللّه الأماني لم أبت
بأم القرى إلّا وأنت رفيق

يؤدي جليل الفرض عنك موفق
آمين على العهد الوثيق وثيق

○○○○○

مع ابن تيمية في سجونه الثلاثة!!

لما ذاع صيت ابن تيمية رحمه الله. انصب عليه حسد أنصاف العلماء والمغرضين الذين بذّهم بعلمه، والمبتدعة الذين غرقوا في بحر علمه، مدعي العلم الذين أظهر جهلهم. والمجادلين الذين أظهر بطلان حججهم بفتاواه الدامغة؛ فوشوا به إلى الحكام، ورموه بالكفر فزج به في سجن القاهرة. ثم في سجن الإسكندرية الذي أخرجه منه السلطان الناصر محمد بن قلاوون. لكن أعداءه أخذوا في اختلاق الأكاذيب ضده والتفنن في عرض الوشاية به حتى أعيد إلى السجن مرة أخرى في سجن الإسكندرية. وكان يسجن معه أحياناً أخواه.. شرف الدين عبد الله... وزين الدين عبد الرحمٰن وفي اليوم الثامن من شوال عام ٧٠٩هـ، أخرجه السلطان الناصر ثم توجه من مصر إلى دمشق فكان وصوله إليها في ١/ ١٠/ ٧١٢هـ، بعد غياب دام سبع سنوات وسبع جمع قضى معظمها في سجن القاهرة والإسكندرية... ـ والجدير بالذِّكرِ هنا أن شيخ الإسلام ابن تيمية قد كان له دور في مواجهة التتار بقيادة قازان. وقد أشرت إلى ذلك في موضوع تقدم تحت عنوان: «ابن تيمية وقازان».

أما الحديث عن سجنه الذي مات فيه. فسببه أنه كان له رأي في الطلاق موافق لما جاء في الكتاب والسنة. لكن أصحاب الوشاية الذين يلاحقونه في كل مكان لم يتورعوا في الطعن فيما أفتى به في الطلاق. بل حرفوا ما أفتى به.. ولأن لهم نفوذاً يصل إلى تحريك يد الدولة ضده.. عقد له جلس بدار السعادة بدمشق في يوم ٢٢/ ٧/ ٧٢٠هـ، حضره النائب والقضاة وجماعة من المفتيين وعاودوه في الإفتاء. وعاتبوه على ذلك. وفي يوم الاثنين بعد العصر ٦/ ٧/ ٧٢٠هـ، ورد أمر السلطان

بسجنه في قلعة دمشق.. فكان قوله رحمه الله وهو في طريقه إلى القلعة: - إني كنت منتظراً ذلك.

وقد مضى عليه في سجن القلعة سنتان وثلاثة أشهر وأيام. مرض خلالها مرضه الذي مات فيه رحمة الله عليه وعلينا وعلى أئمة المسلمين..

وبعد موته تسابق الشعراء في رثائه. ومن ذلك هذه الأبيات التي أقتطفها من قصيدة للإمام زين الدين أبي حفص عمر بن محمد بن أبي الفوارس بن علي بن الوردي الشافعي:

همو حسدوه لما لم ينالوا
مناقبه فقد فسقوا وشاطوا

وكانوا عن طرائقه كسالى
ولكن في أذاه لهم نشاط

وحبس الدر في الأصداف فخر
وعند الشيخ بالسجن اغتباط

بآل الهاشمي له اقتداء
فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا

بنو تيمية كانوا فبانوا
نجوم العلم أدركها انهباط

ولكن يا ندامة حابسيه
فشك الشرك كان به يماط

ألم يك فيكمُ رجل رشيد
يرى سجن الإمام فيستشاط

إمام لا ولاية كان يرجو
ولا وقف عليه ولا رباط

والقصيدة أطول من ذلك بكثير.

صورة من الشموخ في الارتجال والمعارضة!!

والخبر الذي يتعلق بشموخ الأدب في بلادنا يثلج الصدر، ويطرب النفس.

وحينما نقرأ أن منتدى من منتدياتنا الأدبية قد استقطب رجال الفكر والقلم والأدب وهيأ لهم منبره ليتجارَوْا في تقديم أعمالهم الأدبية.. فإن الثقة تزداد بأن هناك اتجاهاً حقيقياً لتوسيع قاعدة الأدب في بلادنا.

أما قياس الشموخ فيأتي من عدة زوايا ذات عناوين مختلفة وأسماء متعددة المواهب.. وارتجال الشعر ومعارضته يعد واحداً من ذلك التعدد في المواهب والقدرات الفكرية واستحضار الذهن الأدبي في المواقف الأدبية.

قال الأخ محمد بن عبد الله الحميد في موضوع نشره في جريدة «الندوة» السعودية العدد ١٠٢٨٢، الأحد ٢٢ ربيع الثاني عام ١٤١٣هـ، إن سمو الأمير الشاعر خالد الفيصل آل سعود قد عقد جلسة مفتوحة في منتزه «الجُرّه» بجوار قرية «تمنية» التي تبعد عن مدينة أبها بـ ٣٣ ميلاً.. فكان للشعراء فيها دور متميز.. وكان أحد الفرسان البارزين في تلك الجلسة الشاعر محمد هاشم رشيد رئيس النادي الأدبي بالمدينة المنورة الذي قال عنه الحميد.. أنه شارك بقصائد لم يسبق له أن ترنم بها منبرياً، وجشمها بأبيات مرتجلة، منها قوله:ـ

يا «جُرّة» الأحباب يا أمنيه

سما إليها الشوق في (تمنيه)



يا غيمة خضراء منهلة
على الروابي الشم والأوديه

ويا فراديس الهوى والرؤى
والأمنيات الحلوة المغريه

ما أنت إلّا لوحة غردت
بها مغاني الحسن في أغنيه

والأبيات أطول من ذلك، وقد اكتفيت بذلك منها لأنقل شيئاً من الأبيات التي عارضها بها الشاعر محمد بن عبد الحميد، والتي منها قوله:ـ

يا بلبل الإلهام والأغنية
أبدعت ما كان لنا أمنيه

أشعلت بالإبداع صيف الندى
صباحه المشرق والأمسيه

أطربت سُمّارك والمعجبين
بسامر المعزف في تمنيه

أتحفتنا هذا القصيد الدفين
ما ينبغي واللّه أن تخفيه

والأبيات أكثر من ذلك فهي تبلغ نحواً من ١٢ بيتاً.

فحيا اللّه نشاط منتدياتنا، وأسر نوادينا، وقوى من عزائم أدبائنا ومفكرينا.

مديح الحجناء والسؤال عن: أيهما أبلغ..

المادحون. أم المادحات؟!!

وقبل أن أورد مدح الحجناء للمهدي أرى أن نقف قليلاً لنمعن النظر في لهجة مديح النساء ونرى مدى تأثيره في نفس الممدوح. ونطرح سؤالاً فحواه.. هل أذن الممدوح تكون مصغية لما يرد إليها من المادحات إصغاءً أكثر من إصغائها للمادحين؟. والجواب على ذلك تتصدره: «نعم»، ويعقبها التعليل بأن إصغاء أذن الممدوح للمادحات إنما هو وليد ملل وسأم من سماع المادحين وتكرار أساليب مدائحهم.

أما المادحات فعلى ما يبدو لي أنهن لا يلجأن إلى المدح إلّا لأمرين أحدهما يكون ممزوجاً بطلب الانتصار من ظالم مستضعف.. - والآخر يكون مبطناً باستجداء حركته الفاقة وعدم وجود قوامين عليهن.. وذلك مثل قول الحجناء بنت الشاعر نصيب الحبشي مولى المهدي؛ في مديحها المهدي:-

أمـيـر الـمـؤمـنـيـن ألا تـرانـا
خـنـافـس بـيـنـنـا جُـعْـلٌ كـبـيـرُ

أمـيـر الـمـؤمـنـيـن ألا تـرانـا
كـأنـا مـن سـواد الـلـيـل قـيـرُ

أمـيـر الـمـؤمـنـيـن ألا تـرانـا
فـقـيـرات ووالـدنـا فـقـيـرُ

أضرَّ بنا شقاء الجدِّ منه
فليس يميرنا فيمن يميرُ

وأحواض الخليفة مترعات
لها عرفٌ ومعروف كبيرُ

أمير المؤمنين وأنت غيث
يعم الناس وابله غزير

يُعاشُ بفضل جودك بعد موت
إذا عالوا وينجبرُ الكبير

فعم بجودك المرجو نساء
ضعافاً لا تسير ولا تطير

وملاحظتي على هذه الأبيات أنها لو ما سخرت من نفسها ومن أخواتها ووصفت والدها بالجعل ـ وهن الجنافس ـ لكان أفضل. حتى وإن كانت قد رأت في ذلك ما يستطرفه المهدي ويزيد من استدرار جوده.

أما المادحون فإن الكثير منهم ينظر إلى الصلة الجزيلة والهبة الكبيرة. ولم تدفعه إلى ذلك فاقة أو ضائقة زمان.. ولهذا نجدهم يتفنون في أساليب المبالغة ويختارون لمدائحهم ذا الجود، وصاحب الكرم.

وإذا صادف وجود مادح قد دفعته الحاجة والفاقة فإنه يلاقي مزاحمة شديدة عند أبواب الكرماء من قبل الشعراء المتكسبين الذين يلهثون وراء رفع رصيد تجارتهم، ليس إلّا.

○ ○ ○ ○ ○

حَيٌّ... حَيْثُ

وإلمام الشاعر الذي ينظم قصيدة في مدح الرسول ﷺ بسيرته العطرة وبما فيها من معجزات باهرات يمده بمادة تجعله يسهب في نظمه إسهاباً لا يمله القارئ؛ لأنه يتنقل في السيرة من معجزة إلى أخرى، ولا ينتهي مهما أعطي من بلاغة فوصف أخلاقه ﷺ والإحاطة بآدابه بصفة عامة ـ أي قبل نبوته وبعدها ـ فوق ما يحصى.

أما المديح بصفة عامة سواء كان نثراً أو شعراً فإنه مهما حاول القلم تسطيره، أو حصر ما قد تم تسجيله من ثناء عليه، وبلغ أسفاراً فإن ذلك لن يوفيه حقه فصلّى الله عليه وعلى آله وسلم.

أما ما دوّن من سيرته ﷺ فإن القارئ يجد فيه حلاوة وطراوة كما يجد فيما امتدح به من النظم متعة روحية وفكرية تجعله يتصور ذلك المجتمع النبوي الذي يشبه هالة من الضياء الذي أضاء الحنادس، وجعل من ليل الجاهلية نهاراً ساطعاً.

ولقد أبدع الشعراء الإسلاميون. بل غير الإسلاميين في مديحه ﷺ. . وإبداعهم ما هو إلا ترجمة حقيقية للواقع، وليس وصفاً خيالياً تغلفه الفصاحة وصيغ المبالغة كما أسلفت.

وبعد: لقد اشتقنا إلى الاستمتاع بقراءة أبيات من إحدى المدائح التي أشرت إلى كثرتها. وأنه لا يمكن لأي جامع الإحاطة بها. . ـ أما الأبيات التي اخترتها كخاتمة لهذا لموضوع فهي من قصيدة همزية طويلة جداً ليوسف بن إسماعيل النبهاني. وقد وقع اختياري عليها؛ لأنها أبيات متوالية مبدوءة بـ «حيٍّ. وحيث». وهي:ـ

حَيّ عني سَلْعاً وحَيّ العوالي
حبذا حبذا هناكَ العلاءُ

حَيّ عنّي العقيق حيَّ قُباءً
أين منّى العقيقُ أين قباء

حيّ عني البقيع والمسـ
ـجد حيث الأنوارُ حيث البهاءُ

حيثُ روح الأرواح حيث جنان الـ
ـخلد حيث النعيم والنعماء

حيث كل الخيرات حيث جميع الـ
ـبرّ حيث السنا وحيث السناء

حيث بحر اللّه المحيط بكل الـ
ـفضل كلُّ الورّادِ منه رواء

حيث رَبْعُ الحبيب يعلوه من نو
رٍ قبابٌ أقلُّها الخضراء

حيث يثوي محمد سيد الخلـ
ـق وفي بابه الورى فقراءُ

○ ○ ○ ○ ○

قصيدة ذات كلمات حروفها مفردة!!

وبعض الشعراء يشبه في بعض صنعته أو قل تصنعه بمن ينتقل بين أشجار الخميلة، ويقطف من ثمارها ما كان متشابهاً في اللون والحجم.. ولو لم يكن من الصعوبة بمكان لجعل حصيلة ما يقطفه من الخميلة متماثلاً حتى في الرائحة والطعم. ليظهر أن ما جمعه إنما هو عن قدرة في اقتطاف ما تشابه من الثمار.. وليتحدى من يجني ثماراً متشابهة مثل جنيه.

ونحن عندما نفحص هذا الجانب عند بعض الشعراء نجد أنهم تركوا أثراً أدبياً متميزاً بجهدهم الفكري وحسهم الأدبي... فالمقامات مثلاً تأخذ صفة التميز عن الكتابة العادية.. ـ والالتزام في الشعر كما فعل أبو العلاء المعري يأخذ طابعاً غير ما كان معتاداً في قافية الشعر. إضافة إلى ما يحدث منهم من تكلف يظهر في بعض أعمالهم كالمقامة الرقطاء ـ أي التي يسير بها كاتبها على نظام معين من انتقاء الكلمات، وذلك كأن يجعل كلمة منقوطة تليها كلمة مهملة ـ أي ليست منقطة ـ ثم يليها كلمة منقطة. وهكذا مع سلامة بناء الموضوع الذي يتناوله... ـ والالتزام في الشعر. وذلك كأن يكتب الشاعر القصيدة فيجعل أول البيت الأول مثلاً ألفاً ويختار قافية يسير عليها في بقية أبيات القصيدة إلّا أنه يجعل بداية البيت الثاني ـ باءاً ـ وبداية الثالث ـ تاء ـ وهكذا حتى ينتهي الحروف الهجائية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنني قد رصدت كل ما وقع تحت يدي من هذا الأدب المتميز.. وأودعته في كتاب أسميته «الأدب المرتب»

وكانت حصيلته ثلاثة أجزاء.. ـ ولأن قصيدة الشاعر محمد شهاب الدين بن السيد إسماعيل المصري التي جعل حروف كلماتها مفردة لم أعثر عليها أثناء تأليفي للأدب المرتب آنف الذكر. فضّلتُ أن أثبت هنا أبياتاً منها كشاهد على تفنن بعض الشعراء في إظهار مقدرتهم اللغوية.

يقول المصري:ـ

راح. دن. أردت. أم ذوب. ورد
رق. إذ. دار. دون. آس. وورد

رب روض أراك دوح. أراك
دون أوراق. وردّه. راق. وردى

إن ذوي. زاره. وزان. رواه
درّ ودق. وردّه. أي ردّ

دم. وداداً. وزر ودع. زور. واســـــن
وادن إذ. ذاع. زُورُه. وارع ودى

وإذا زرت. زورةً دون. روع
واش. وأرأف. وزد. وزك واد

وأدر. إن أردت. درّ. راح
وإذا رام ذاك. أورده. دردى

وادّرع. درع آل داود. واردع
أن واش. وزد أذاه. ورد

ذاق واش. أذاك. إذ زرت. داري
ذوق ذلّ. أردى ردى ذات واد.

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ نحواً من أربعة وعشرين بيتاً، وهي موجودة في ديوانه.

الماجن والمتماجن أشبه بمروج المخدر ومتعاطيه!!

والمتماجن. والمجون. كلاهما عند ذوي الألباب مستقبح وقبيح. . ـ أما الماجن فإنه لا يبخل عليه أحد من الناس بالدعاء بالخزي. ويغض عنه الطرف أهل الدين والنُّهَى. بل إنهم يرمونه بنظرات كلها مقت وازدراء من فعله؛ لأنهم يدركون أنه في المجتمع يشبه الوخزة في ثمرة التفاح التي ما تلبث إلَّا والفسا قد عمها. . . ـ وإذا جاز لنا أن نسوق أكثر من تشبيه له قلنا: ـ إن الماجن في المجتمع أشبه ما يكون بالثلمة في حصن المدينة التي يأتي من خلالها كل متسلل غرضه التخريب والإفساد.

وقد يقول قائل: كيف نعرف الماجن من المتماجن؟. والجواب: إن الماجن هو الذي يفعل المجون ويمارس المحرمات بأسلوب ينافي الشرف، والأخلاق. . ـ أما المتماجن فهو الذي يكون قوله أكثر من فعله، وهذا يكون أشد خطراً على مجتمعه فهو أشبه ما يكون بمروج المخدرات لا كمتعاطيها؛ لأن متعاطيها مقتصر على تدمير نفسه. . أما المتماجن الذي يصوغ الحديث عن المجون في نكتة كلامية، ويضع الفعل المحرم في نادرة قصصية لا تنفر أذن السامع منها لحسن الصياغة اللفظية. بل ربما طلب إليه المزيد من سياق مثل تلك النادرة التي غلفها بالمجون لتصبح عند السامع من الناحية الكلامية شيئاً مألوفاً يتحول شيئاً فشيئاً إلى أن يكون مفتاحاً للدخول إلى المجون. . وخنجراً تقتل به الفضيلة.

والنقاد الذين قد اهتموا بدراسة أعمال بعض الشعراء. نجدهم يصفون بعض الشعراء بالمجون. فيقولون: الشاعر الماجن فلان. وقد يخففون ذلك الوصف. ويبعدون المعنى الشمولي. فيقولون عند الوقوف على بعض قصائد بعض الشعراء: ومن مجونياته.

ـ وأجدها مناسبة أعرض فيها أبياتاً من قصيدة للشاعر سيد بن جامع بن هاشم بن مصطفى الرفاعي ـ المشهور: بهاشم الرفاعي ـ كخاتمة لهذا الموضوع إذ فيها إشارات تؤهلها بعض الشيء للاستشهاد بها على استقباح المجون الكلامي فضلاً عن المجون الفعلي الذي يأباه الشرف، وترفضه الأخلاق، ويتبرأ منه الأدب.. يقول الرفاعي:

لا تمدّي لصيده أحبوله
من تشبّهٍ ومقلة مكحولة

إنه ههنا أخ وزميل
أنت أخت له وأنت زميلة

نحن في منهل العلوم ولسنا
في مباراة فتنة مصقولة

فعلام الشفاه ترمي بنار
خلّفت تحتها رماد الفضيلة

وفتاكِ الذي جلستِ إليه
جلسات قصيرة وطويلة

تافه في الشباب حين نراه
لا نرى فيه ذرة من رجولة

من يظن المجون خفّة ظل
فهو يبدى خلاعة مرذولة

يطلق النكتة الخسيفة من فيه
ويزجي العبارة المعسولة

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ١٥ بيتاً، وموجودة في ديوان «هاشم الرفاعي».

نماذج شعرية من رثاء الزوجة الوفية!!

يقول الشريف الرضي واسمه أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين الملقب بذي المناقب. يرتقي نسبه إلى موسى الكاظم فإلى الحسين بن علي؛ ولهذا لقب بالشريف الرضي الموسوي[1].

على أن غرس آمن الدهر بعدما

رمى فادح الأيام في الغصن الرطبِ

ذوى قبل أن تذوي الغصون وعهده

قريب بأيام الدبيلة والخصبِ

كفى أسفاً للقلب ما عشتِ أنني

بكفي على عيني حنو من التربِ

وفي هذه الأبيات المتقدمة تشبيه حي لعوامل المحبة التي استقرت في قلبه لزوجته بل فيها تصوير حقيقي لعظم ما مني به من فاجعة موتها.. فكأنما هو، وهي.. بصاحب الجنة التي غار ماؤها فأصابها العطش فجفت أوراقها، وذوت أغصانها، ويبست ثمارها، وهو يرى بعينه، ولا يستطيع فعل شيء يدفع به عنها الظمأ الذي أماتها. سوى تقليب كفيه على ما أنفقه فيها.

---

(١) لقد ولد الشريف الرضي ببغداد عام ٣٥٩هـ، وتوفي بها يوم الأحد ٦/١/ ٤٠٦هـ، وله ديوان شعر مكوّن من جزئين. وشعره جيد جداً.. أما الأبيات التي ذكرتها له آنفاً فهي من جملة أبيات قوامها ثمانية أبيات، آخرها قوله:ـ
خلا منك طرفي وامتلى منك خاطري كأنكَ من عيني نقلتَ إلى قلبي

ونموذج آخر من رثاء الزوجات نجده عند الشاعر محمد الأزهري المحامي الذي رثى زوجته زينب بقصيدة تعد من أجود ما قيل من مراثي في الزوجات. حيث توفر له فيها الأسلوب الرثائي الصادق الذي أظهر فيه وجه الحسرة على فرط موتها، ورسم فيه صورة ترحمية عليها وتعبير صادق عن محبته لها.. كما تجلت فيه مشاعر الحزن على اختطاف الموت لها وهي ما زالت في عهد الصبا.. ثم ما وسعه إلا أن يثني عليها ثناءً ينطوي على ذكر شيء من فضائلها. ويدعو لها بالرحمة وأن يمطر المزن قبرها الذي ثوت فيه.. ـ يقول من تلك القصيدة الجميلة في سبكها.. التفجعية في معناها:

عليك سلام اللّه ما غبتِ زينب
فما كان عهدي أن يطول التغيب

لقد كنت مملوء الفؤاد بأنسها
ولم أدر أن البين يوماً يشعب

تعجلها ريب المنون على الصبا
وليس لها مما قضى اللّه مهرب

فضائلها شتى ومن كان مثلها
يعزّ علينا أن تموت ويصعب

سقى قبرها صوب من المزن واكف
ويرحمها الرحمان ما ضاء كوكب

ooooo

كلّ يحبّذ مهنته..
ومهنة الشعر لا يمكن التخلي عنها!!

ومن الناس من إذا أحب مهنة وبرع فيها عززها بالدعاية. وبسط أمر اكتسابها، وأظهر فوائدها وبيّن محاسنها، ودعا إلى الاشتغال بها.. بل ربما جدّ وأخلص في تحبيذها حتى ليحصل على عدد كبير يجانسه فيها.. ـ وهذه الطريقة تدخل بصاحبها في مفهوم أدب المناصحة في تحديد المهنة.

ـ ولا أظن أحداً لا يرى هذا الرأي.. لكن الغريب في الأمر أنه إذا ضم شخصين متجانسين في المهنة مجال مرتبط بمسؤولية واحدة. فإنه يكون بينهما تنافر وشبه عداء.. ـ وحكيم العوام يقول في هذا: «المقدى يبغض المقدى».

ونبتعد عن هذا النمط السلوكي في دائرة التجانس قليلاً لنتجه إلى وصف الارتياح لوجود التجانس في المهنة البعيدة عن رابطة المصلحة... ـ فالشاعر يرتاح مثلاً لوجود الشعراء ويُسرّ لكثرتهم. وكذلك العالم والأديب والمزارع والعامل والتاجر. وكل صاحب مهنة حرفية كانت أو غير حرفية.

والذي تجدر الإشارة إليه في هذا الموضوع هو التحول من مهنة إلى أخرى. وما يصحبه من تحوّل إلى البحث عن مجانس في المهنة الجديدة. وهذا النوع لا يسلم في الغالب من الوقوع في بعض الحرج خاصة إذا كان قد طلق مهنته الأولى نهائياً وفضل قطع علاقته بمن كان يجانسه فيها.. فإن كانت المهنة التي تحول إليها أرقى من التي تركها رمي بالكبرياء. وإن كانت أقل انتقص في همته.. لكن الذي يرغب عن مهنته الأولى رغبة مصحوبة بإعلان يوضح الفارق الذي حمله على

الانتقال من المهنة الأولى إلى الأخيرة حيث يجد فيها ارتقاء بشخصه، وتقديم خدمة أجل لمجتمعه.

والشاهد على ذلك ما جاء في قول الحافظ ابن حجر الذي أشاد فيه إلى انتقاله من مهنة الشعر وصناعته إلى البحث العلمي والتفسير والقضاء، وإصلاح شؤون الناس. وذلك بقوله في قصيدة له بهذا الشأن:-

نعم كان لي ميل إلى الشعر برهة
وأبكار فكري ما لهن بعول

فشعّب مني فكرتي عبء منصب
تحملته في كاهليّ ثقيل

وفصل قضايا في تفاصيل أمرها
فصول وكم عند الخصوم فصول

ومجلس إملاء وخطبة جمعة
ودرس وتعليل له ودليل

حديث وتفسير وفقه قوامها
عقول تعاني فهمها ونقول

لمستنبطات الفكر مستنبطاتها
تزور فإن لم أضبطنّ تزول

وطالب إسماع وفتيا وحاجة
وطالب علم في البحوث سؤول

وكلهم يرجو نجاز أموره
ويصخب إن أرجأته ويصول

وإذا كان لا بد من تعليق بسيط على ذلك فإن ابن حجر قد أخبر بما هو عليه من حال بأسلوب شعري، وهذا يعني أن الشعر مهنة لا يمكن التخلي عنها.



من سوء الأدب
أن يكون الرجل منتظراً مجيئه للوليمة!!

والأدب في حد ذاته ليس صفة موقوفة على جنس أو نوع من أنواع التعامل.. ولا هو ميزة معينة لأساليب حياتية يمكن حصرها.. بل. ولا هو صفة لحركة أو منطق أو سلوك فعلي معين وإنما هو يشمل في حد ذاته وبمفهومه العام جميع نواحي الحياة الإنسانية.. ـ ولهذا فإنه لا بدّ أن يكون له سمة أو مسحة على كل حركة فعلية أو عملية أو لفظية. وبمعنى آخر فإن الأدب لا بدّ أن يكون مصاحباً لكل شيء يفعله الإنسان.

وإذا ما عري جانب من جوانب تصرف بعض الناس من مسحة الأدب؛ فإنه معرض للانتقاد بحسب أهمية ذلك الجانب الذي افتقد فيه طابع الأدب.

وحيث أن الخاطرة التي حملتني على تسطير هذه الاستهلالة، كانت ناشئة عن ملاحظة لاحظتها على بعض الأشخاص الذين يحاولون أن يجعلوا أنفسهم في عداد الخاصة بتأخرهم بعض الوقت عن تقديم مائدة الوليمة التي كانوا قد دعوا إليها. وذلك رغبة منهم في أن تؤخر المائدة عن وقت تقديمها انتظاراً لمجيئهم. وليفرضوا بتلك الطريقة العارية من الأدب أهميتهم. وما علموا أنهم بهذا الأسلوب قد رُمُوا بسوء الأدب. وتعمدوا جرح شعور الذين كانوا مدعوين للوليمة... ـ ويبقى أن أقول إن هذا الموضوع كان عالقاً في ذهني منذ وقت. ولتكرر الصورة المتعمدة من الذين يتأخرون بعض الوقت عن الحضور إلى الوليمة.. لكنني لم أجد شاهداً من الشعر على ذلك.. ولما وجدت أن الشاعر السعودي عمر عبد

ربه الذي كان هو الآخر قد رأى في الشخص الذي تؤخر المائد انتظاراً لمجيئه مسحة من إساءة الأدب فسجلها في قصيدة جميلة نشرتها جريدة عكاظ في عددها ٩٥٨٨، الأربعاء ١٢١٣/٥/٣، عمدت إلى تدوين ملاحظتي تلك في هذه العجالة أملاً في أن يقرأها ذلك الشخص الذي يتعمد التأخر للأسباب التي أشرت إليها. يقول عمر عبد ربه:

ومن يدعوك في حفل لعرس
يُحدِّدُ للحضور له زمانا

وتبقى جالساً والوقت يمشي
وكل النّاس ينتظروا فلاناً

ووقت الأكل مرّ وكل شخص
طالع من هنا ولمن دعانا

وبعد حضور صاحبنا المفدى
يجيء الأكل يحمله فتانا

وقد صار الطعام بطول وقت
طعاماً عادياً ملا المكانا

ومنها قوله:ـ

ومن يعطيك وعداً يأت فيه
وتبقى أنت «ملطوعاً جِدانا»

ولا يخبرك عن عذر لهذا
ولا ينبئك حين الوقت حانا

ويشعر أنه لم يأت شيئاً
كأن جنابه ضبط الرطانا

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ اثنين وعشرين بيتاً، كلها تتسم بسهولة الألفاظ وبشيء من التندر.

الأحمق والجاهل والكذوب
لا يحققون زعامة في عشيرتهم!!

في حَيِّنا يتجاور أبناء عمومة.. وقد كنت أرقب سلوكياتهم فيما بينهم فكانت في بداية الأمر تكاد تأخذ تقديراً ممتازاً. فكدت أحسدهم على هذا التجاور وذلك السلوك.. ولكن ما هي إلّا سنيات أقل من السبع حتى شممت من بينهم رائحة الحسد، وقرأت على ملامحهم جفوة بعضهم بعضاً.. ثم علمت أن كلاً منهم يريد أن يكون زعيماً لهم. وإذا بأكبرهم سناً الذي يحسن بهم أن يستصغروا له قد ملأ إيهابه حمقاً وحسداً. وإنّ كبر سنّه قد أوغل به في الجهل وزاده من بذاءة اللسان وسوء التصرف ما لا يحتمل الزيادة... ـ لكنه مع هذه الصفات القبيحة يطمع أن يكون هو الزعيم.. ـ وقد أعجبني رفضهم لتنصيبه زعيماً لهم.

ثم أخبرني أحدهم أن هناك من لا يقل عنه في الطمع بالزعامة؛ ولأنه يتصف بالكذب ولا يشهد الصلاة في المسجد وناقل للنميمة قوبل تطلعه بالرفض المطلق. فراح يحاول إحداث فجوات بين أبناء عمومته جرياً على سياسة «فرق تسد»؛ فجعل كُلًا منهم يفتش عن مثالب الآخر إلا ما قل منهم... ـ هكذا آلت حالة أولئك الأقرباء وتبدلت سلوكياتهم الأدبية إلى معاداة وقطيعة، وتنافر وبغضاء؛ منها ما هو مستتر، ومنها ما هو ظاهر منتشر.

ـ ولما كنت أحسدهم على علاقة بعضهم ببعض عدت مستاءً لما آلت إليه حالتهم.. فرحت أسأل: أليس فيهم مؤهّلٌ يقوم برأب الصدع وجمع الشمل، وتخطئة المخطئ. وتصويب المصيب؟ فقيل لي: هو ذاك الذي صفته كذا وكذا. فذهبت إليه واستطلعت رأيه. ثم قلت له: أما

ترى أبناء عمومتك وما هم عليه من حال عدائية؟ قال: بلى. والله وقد حز في نفسي وأحزنني ذلك. ولكن كبيرهم قد شتمني وآذاني بألفاظ بذيئة لا تقبل سماعها أذن الأديب. والآخر كان يبني لي قصوراً من الكذب. والثالث الصغير لا يحترمني. بينما أنا الذي كنت أرفع من معنوياتهم في صمت وأبذل في محبتم كل ما أستطيع بذله.. - ثم قطع الكلام وقال: آه لو كنت شاعراً فأبوح بشيء من ذلك شعراً. فعلمت أن أمرهم ليس بسهل الحل. فقلت له: ما دام الأمر كذلك فهاك هذه الأبيات من قصيدة للشاعر عبد المحسن إبراهيم آل الشيخ مبارك. لعل فيها تسلية لك ببعض ما تريد التعبير عنه:

وظلم ذوي القربى عليّ كأنه
حراب بقلبي جرحها صار مؤلما

فإن نكثوا عهداً إليّ حفظته
فلا أنا ممن يخلف العهد محجما

فلا زلت أرعى ودهم غير أنني
أرى الود منهم إن قربت معتما

حلفت لهم باللّه صدقاً بأنني
أصون عهوداً بيننا لن تهدما

إذا سمعت أذناي واش يعيبهم
يراني له خصماً وفي الجد صارما

فإني عهدت النفس تدني محبهم
وتبعد من يبدي الإساءة ظالما

فلا عجباً إني عتبت ومنهم
شقيق أراه اليوم يبدى تهجما

فلا ليلة بَيَّتُّ حقداً بحقهم
ولكنهم قد جرعوني علقما

لغتان في قصيدة واحدة.. مرة أخرى!!

في موضوع تقدم في هذا الجزء تحت عنوان: «لغتان في قصيدة واحدة» كتبت عن الشاعر الذي يضمن قصيدته لغة غير صحيحة، أو لغة غير لغته.. وأشرت إلى موقف الناقد من هذه الطريقة التي يسلكها بعض شعراء العربية عند بناء بعض قصائده.. وأوردت جزءاً من قصيدة للشاعر عارف الشيخ.. وقد وعدت بأن أعود إلى بقية أبيات القصيدة لنرى جميعاً ماذا كان يهدف الشاعر عارف من حشر الكلمات الإنجليزية بحروف عربية في قصيدته تلك.. أهو يريد أن يلفت الأنظار إلى أن اللغة العربية والشعر العربي الفصيح يستوعب في ميزانه الكلمات الأجنبية.. وأنه في نفس الوقت يدق بشدة ناقوس الخطر الذي يحدق باللغة العربية بسبب عدم اهتمام أهلها بها. أم ماذا؟.. هذا ما سنتبيّنه من خلال بعض التعبيرات التي كان يخاطب بها اللغة الإنجليزية حيناً.. ويعطف الكلام حيناً آخر إلى لغة الضاد متساءلاً عن مصيرها، وطغيان اللغة الإنجليزية عليها.. وكأنما هو بذلك يحذر من أن تبتلعها اللغة الإنجليزية، أو تقلل من قيمتها عند أهلها.

- يقول الشاعر عارف الشيخ في بقية قصيدته تلك.. وهو يعني بقوله اللغة الإنجليزية:-

أصبحت أنت حقيقة «نو بروبلم»

وغدوتِ أنت أنت كل العالم[1]

(١) نو بروبلم No Problem: أي لا مانع أو لا مشكلة.

لـكـنـنـي أشـكـو وأرفـع لـلـذي
يـرعى احـتـفـال الـيـوم بـعـض تـظـلـم

مـاذا يـكـون مـصـيـر «ضـاد» قـد غـدت
«بـتـويـن» كـل تـأخـر وتـقـدم[1]

فالكل أمسى اليوم «اسبك انچلش»
أواه أبـيـن مـورثـي مـن «جـرهـم»[2]

مـاذا يـكـون مـصـيـر طـفـل لـم يـزل
في الـمـهـد يـرطـن رطـنـة كـالأعـجـمي

إنـي أراه بِـحَـمْـلِ كـتـب مـثـقـلا
وأراه يـقـرؤهـا بـدون تـفـهـم

أنـريـده «بُـك وَنْ» عـلـى مـا عـنـده
كـمـداً يـمـوت إذا هـو لـم يـرحـم[3]

يـا أهـل تـربـيـة «بـلـيـز» تـريَّـثـوا
لـمـزيـد تـفـكـيـر لـعـام قـادم[4]

من ذلك يتضح أن الشاعر كان يلوم رجال التربية على اهتمامهم بتدريس اللغة الإنجليزية للأطفال قبل اللغة العربية. ولعله أراد من تضمين العبارات الإنجليزية لفت النظر إلى وجهة نظره.

○ ○ ○ ○ ○

---

(١) بتوين Between: أي بين.
(٢) اسبيك انجلس Spesk English: أي تتكلم الإنجليزية.
(٣) بُك ون Book: أي الكتاب الأول.
(٤) بليز Please: أي من فضلكم. أو لو سمحتم.

الحب في شتى الحياة..
وليس موقوفاً تبادله بين الجنسين

والحب في مفهومه ليس مقصوراً على علاقة حياتية معينة أو هو معنى موقوف تبادله بين الجنسين فقط. وإنما هو معنى يشمل شؤون الحياة. ولذا قالوا في وصفه: ـ الحب كلمة جامعة تحمل في طياتها أسمى المعاني وأرق المشاعر، وأفضل المباني.

وقالوا أيضاً: الحب يعني الاهتمام، الإحساس، الأمان، السكينة بالرضى عن النفس أولاً ثم عن الآخرين.

وقالوا: الحب هو قدرتنا على العطاء والأخذ، وقدرتنا على تجاوز النسيان والتفوق على الانخذال الذي تضعه الأيام في خواطرنا وخفقاتنا.

وقالوا: الحب أجمل رباط مقدس بين المحبين.. وألطف بشارة سلام بين العاشقين.

وقالوا: الحب كحبة القمح إذا زرعت في أرض طيبة أثمرت وطابت النفوس بما تحمل من سنابل العطاء والخير، وإذا بذرت في أرض خبيثة أنبتت سنابل مرجحنة بالحقد والكراهية، والشر.

وقالوا: الحب طائر خفيف الظل. لطيف كالفل. يدخل القلوب بلا استئذان. سواء باللفظة أو الإشارة أو الإيحاء أو غير ذلك من وسائل الوجدان.

وقالوا: الحب لا يعرف بالأحباب وإنما يعرف الأحباب بالحب.



وقال روبرت هنتر: الحب أن تصبح سعادة شخص آخر أهم من سعادتك.

وقال الحكيم الفرنسي لارد شفوكو: الحب مثل النار لا يبقى إلّا بتحريكه الدائم وهو ينطفئ إذا توقف عنه الأمل والخوف.

ويرى المتنبي إن مقدار الحب لا بدّ أن يتحكم فيه العقل.. فالحب الذي يتصرف فيه العقل يكون له طعم خاص؛ أما الذي يصرّفه الجهل فهو وإن كان كثيراً يكون حباً فاسداً.

فإن قليل الحب بالعقل صالح

وإن كثير الحب بالجهل فاسد

ويصف ابن الدمينة الحب بلغة العشق والوَلَه فيقول:

هل الحب إلّا زفرة بعد زفرة

وحر على الأحشاء ليس له برد

ويقول عباس محمود العقاد:

لا تطلب الحب بين الناس تأخذه

بل فاطلب الحب تعطي منه ما تجد

أشقى البرية من لم يعنُه أحد

وليس من كان لا يُعَنى به أحد

ويقول بشار بن برد:

لا تمني أخاك في ملة الحب

بداءٍ دواؤه مفقود

ويقول ابن الدمينة في الحب:

فمن حبها أحببت من لا يحبني

وصانعتُ من قد كنت أبعده جهدي

ألا ربـمـا أهدى لي الشوق والجوى
على النأي منها ذكرة قلما تجدي

أما كثير عزة فيقول:

إن الــمــحــب إذا أحــب حــبــيــبــه
صــدق الــصــفــا وأنــجــز الــمــوعــودا

○ ○ ○ ○ ○

الحب من أوثق الروابط بين الجنسين!!

والروابط التي تربط الناس بعضهم ببعض لا حصر لها.. لكن الذي يأخذ الصفة الوثيقة منها هو ما كان مطعماً بالحب.. والدخول في معنى الحب ومفهومه يتطلب رحلة طويلة مع القلم. ولهذا أدع الكلام عن عمومياته بتعبيري الخاص لأنقل بعضاً مما قيل في الحب الرابط بين الجنسين. وذلك مثل قولهم:ـ

أول حب كان في العالم حب آدم لحواء وصار ذلك سنّة في ولده في المحبة بين الزوجين.

ويروى أن الأمير أبا العباس محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي كتب إلى جارية:

ماذا تقولين فيمن شفه سقم
من جهد حبك حتى صار حيرانا

فأجابته بقولها:ـ

إذا رأينا محباً قد أضرّ به
جهد الصبابة أوليناه إحسانا

وتقول مدام دوستايل: ـ الحب هو تاريخ المرأة، وليس إلا حادثاً في حياة الرجل.

ويقول بول جيرالدي: ـ الحب الأول: ابن الروح. والحب الثاني: ابن القلب. والحب الثالث: ابن الجسد. والمرأة تتعلم دائماً من الدرس الثاني.

ويقول سقراط: - لا تخشى عداوة الرجل.. وكن على حذر من حب المرأة.

ويقول جورج برناردشو: الحب يستأذن المرأة في أن يدخل قلبها. وأما مع الرجل فإنه يقتحم قلبه دون استئذان. وهذه مصيبتنا.

ويقول أتيان راي: - امتلاك الرجل للمرأة نهاية حبه.. وامتلاك المرأة للرجل بداية حبها.

ويقول الشاعر العربي:-

قالوا عهدناك ذا عز فقلت لهم
لا يعجب الناس من ذل المحبينا

لا تنكروا ذلة العشاق إنهم
مستعبدون برق الحب راضونا

ويقول جارلسون: - الحب يزيد من رقة الرجل، ويقلل من رقة المرأة.

ويقول فرانسيس بيكون: - من الصعب أن تحب وأن تكون عاقلاً في نفس الوقت. ويقول المتنبي:

الحب ما مَنع الكلام الألسنا
وألذ شكوى عاشق ما أعلنا

ومن المبالغة فيما يفعله الحب؛ قول مؤيد إبراهيم إيراني:

الحب روح الكون لولاه لما
عاشت به الأحياء بضع ثواني

ويقول البحتري:

قد جاءك الحبُّ بي عبداً بلا ثمن
إن خانك الناس لم يغدر ولم يخن

ما حلّ للحبِّ إن الحبَّ أعدمني
صبري. وحرّم أجفاني على الوسن

تبدي العيون مصداقية على ما بداخل النفس!!

والعين تمثل في لغتها المنبثقة عن نظراتها. ما يشبه العبارات المختصرة التي تعلق عادة على واجهات المحلات ليستدل منها على ما بداخل كل محل من أشياء مختلفة الأنواع والقيم.. ولهذا فإن علماء الفراسة، يقرأون طباع بعض الناس من خلال نظراتهم.

وهي ـ وأعني بذلك العيون ـ ربما وفرت على اللسان الشيء الكثير من التعامل اللفظي فهي بطبيعتها ترسل وتستقبل، وتأخذ وتعطي، وتَعِدُ وتفي.

أما العشاق فإنهم يرون فيها ما لايراه غيرهم من الكذب والصدق والمكر، والدهاء، والقبول والجحود. والإنكار، والإثبات، والموافقة، والرفض.. ـ وباختصار هي بينهم رمزٌ صادق التعبير، ولغة مفهومة العبارة.

ولعلي لا أكون مبالغاً إذا قلت أن العين قد تتلو على من يبادلها نظرة بنظرة قصة كاملة ـ يحسدها اللسان على تفصيلها ووضوح معانيها، وفنية صياغتها.

وبأسلوب آخر أستطيع القول بأن العين هي القناة الموصلة للقلب. بل هي النافذة التي يطل منها القلب أحياناً على الطبيعة فيميز من خلالها الأشياء الصامتة التي تعجز الأذن عن وصفها أو نقل صورتها الطبيعية.. ـ ومما تقدم ندرك أن هناك مسؤولية تقع على العين وهي المطالبة من داخل الجسم بنقل جميع صور الحياة التي تراها بصفة مستمرة.

وأهل الأدب يصفون العين من بين الأشياء المادية الملموسة ـ بالجوهرة ـ ويطالبون بالمحافظة عليها أشد المحافظة.

والعين في حد ذاتها ومن حيث موقعها من الجسم تمثل واجهة تنطق بجمال أو قبح صاحبها. ولهذا أكثر الشعراء من القول فيها وصفاً وفعلاً. من ذلك ما قاله البحتري:

حبيبي حبيب يكتم الناس أنه
لنا حين تلقانا العيون حبيبُ

يباعدني في الملتقى وفؤاده
وإن هو أبدى لي البعاد قريبُ

ويعرض عنّي والهوى منه مقبل
إذا خاف عينا أو أشار رقيبُ

فتنطق منا أعين حين نلتقي
وتخرس منا ألسن وقلوب

ويقول أحمد بن يحيى:ـ

من كان يزعم أن سيكتم حبه
حتى يشكك فيه فهو كذوب

الحب أغلب للفؤاد بقهره
من أن يُرى للستر فيه نصيب

وإذا بدا سرّ اللبيب فإنه
لم يبد إلّا والفتى مغلوب

إنّي لأبغض عاشقاً متستراً
لم تتهمه أعين وقلوب

ابن الزيات يجعل من يُتْمِ ولده منطلقاً لرثاء زوجته!!

وابن الزيات هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة وزر لثلاثة خلفاء من بني العباس وهم: المعتصم، والواثق، والمتوكل. ومات سنة ٢٣٣هـ، وسوف آتي على ذكر شيء من سيرته في موضوع لاحق إن شاء الله.

وإن الزيات واحد من الذين رثوا زوجاتهم رثاءً كله حزن ودمع وتوجع.. والحقيقة أنه إذا لم يُجد ابن الزيات وأمثاله ممن وهبوا فن الإنشاء والتعبير ورهافة الحس الشعري في ذلك؛ فمن الذي يرثي زوجة كزوجته التي عايشته. بل عاشرته معاشرة جعلته يتصور بوجودها ملكيّة الدنيا..

ولقد أحسن ابن الزيات صنعاً في إنشاء إحدى قصائده التي رثى بها زوجته حيث جعل من يُتْمِ ولده منطلقاً لرثاء زوجته؛ حيث قال:ـ

ألا من رأى الطفل المفارق أمه
بُعيد الكرى عيناه تنسكبان

رأى كل أم وابنها غير أمه
يبيتان تحت الليل ينتجيان

وبات وحيداً في الفراش تجُنّه
بلابل قلب دائم الخفقان

لكنه ما يلبث في هذه الاستهلالة الرثائية التي وصف فيها حالة ابنه الذي افتقد أمه وصار وحيداً في فراشه بينما الأطفال إلى جنب



أمهاتهم في مناجاة ومسامرة تحت جنح الليل.. حتى تصرف الكلام إلى ذاته فيأخذ في التعبير عما بداخله من الحزن على زوجته. إذ يقول:

وإن مكاناً في الثرى خُطّ لحده
لمن كان من قلبي بكل مكان

أحقُّ مكان بالزيارة والهوى
فهل أنتما إن عُجتُ منتظران

ثم يعطف الكلام متذرعاً في إبداء حزنه بعطفه على ابنه الذي ماتت أمه عنه وهو ابن ثمان سنوات:

فهبني عزمت الصبر عنها لأنني
جليد فمن بالصبر لابن ثمان

ضعيف القوى لا يطلب الأجر حسبة
ولا يأتسي بالناس في الحدثان

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ثمانية عشر بيتاً كما جاءت في ديوانه، وقد ختمها بقوله:ـ

ألا إن ميتاً لم أزره لعزّ ما
تضمّن منه في الثرى الكفنان

والحقيقة إن الذي لا يحزن لموت زوجته، ولا يحرك قلبه وجدا ولا تولّها، ولا تغمر نفسه مثقال خردلة من حب، ولا يبيت لفقدها بائساً منكسر البال. ما هو إلّا واحد من اثنين: ـ إما أن يكون معايشاً لها بالمجاملة، وكان يجعل الصبر سلاحه ضد سوء طبعها وسلاطة لسانها، وذميم تصرفها؛ فكان موتها راحة له وتوسعة عليه فحمد الله على ما أجراه من موتها.. ـ وإما أن يكون خشن الطباع بليد الشعور؛ جبار القلب كافراً بالحسنى وطيب المعاشرة.. ليس؛ إلّا.

ليس هذا كتابي الذي استعرته مني!!

والتحذير من إعارة الكتب يكاد يكون متواصلاً في مجتمع الأدباء والمثقفين وكل من له هواية في اقتناء الكتب.. ولكن الغفلة عن تذكره توقع بعضهم في ضياع كتبه بسبب إعارتها.

ـ أقول هذا حيث جرى لي مع أحدهم قصة ملخصها أن أحد الأصحاب طلب إليّ إعارته كتاباً كان موضوعه دراسة لحياة الشاعر العراقي معروف الرصافي. وبحث مستقصى فيه عن حالته الاجتماعية وسلوكياته النفسية بالإضافة إلى اشتماله على عدد كبير جداً من المراثي التي قالها فيه كبار الشعراء المعاصرين له. فأعرته إيّاه.. ـ ومضت الشهور والسنون والكتاب ما زال عند صاحبي. وحينما طلبت إليه إعادته قابلني بأعذار واهية كالبحث عنه؛ بين كتبه. لكنه فيما بعد صار يقابل إلحاحي بشيء من التشكيك في أنه أعاده إليّ. فأغلظت الأيمان بأنه لم يعده.. ثم أخذت بعد ذلك في الجد في مطالبته فما كان منه إلّا أن جاءني بكتيب عن الرصافي يحوي بضع صفحات فقط.. وقال: هذا كتابك عثرت عليه بين كتب مكتبتي.. ولما نظرت إليه استيقنت بأنه طمع في كتابي وأعطاني تلك النبذة التي ضاقت بها رفوف المكتبات بدلاً عنه.. وليته قال: هو بدل عنه بل استغفلني وقال: هذا كتابك.. فأخذت على مضض كمضض مستبدل الحصان بالحمار. وما مضت سنيات إلّا وأنا أقرأ قصيدة تحمل في معناها ما يماثل قصتي تلك. والقصيدة للشاعر والكاتب المعروف والوزير المشهور ابن الزيات. واسمه محمد بن عبد الملك بن أبان؛ وقد أشار فيها إلى أنه قد أعار بعض أصدقائه كتاباً، وبعد فترة ردّ إليه نسخة مكانه، أو بدلاً عنه بالأصح. فقال في ذلك:ـ

إني نظرتُ. ولا صواب لعاقل
فيما يَهُمُّ به إذا لم ينظرِ

فإذا كتابك قد تخيّر خطه
وإذا كتابي ليس بالمتخير

وإذا رسومٌ في كتابك لم تدع
شكا لمعتنف ولا لمفكر

نقط وأشكال تبين كأنها
نَدْبَ الخدوش تلوح بين الأسطر

تنبيك عن رفع الكلام وحفظه
والنصب منه لحاله أو مصدر

وتريك ما يُعبابه فبعيده
كقريبه ومقدم كمؤخر

وإذا كتاب أخيك من ذا كله
عار فبئس لبايع ولمشترى

فاقبض كتاب أخيك غير منافس
فيه وخل له كتابك واعذر

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ عشرة أبيات قد ضمها ديوانه.

○ ○ ○ ○ ○

«شتان ما بين الجواهر والخزف»!!

أعد الشاعر العلامة عبد الرحمٰن بن عبيد الله بن محسن بن علوي السقاف العلوي الحضرمي المولود بقرية ـ علمبد ـ في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب سنة ١٢٩٩هـ، والمتوفى في الخامس والعشرين من ربيع الثاني عام ١٣٧٥هـ. . أقول أعد مقارنة بين القدامى والمعاصرين فتبين له منها أن هناك فرقاً شاسعاً بينهم من حيث التزام القدامى بالواقعية، والرضا بما يستحقه كل منهم من مكانة في مجتمعه بينما رأى أن المعاصر يعطي نفسه في كثير من الأحيان والمناسبات حجماً أكبر مما هي عليه؛ بل يحملها ما يجعله عرضة للانتقاد من أهل الفكر والمعتدلين الذين اتخذوا من الواقعية مسلكاً تميزوا به بين مجتمعهم.

وهذه المقارنة جعلها الشاعر عبد الرحمٰن السقاف في قصيدة استهلها بقوله:ـ

أرى الجهل قد مدّ الرواق على الخلفْ
ولا داء مثل الجهل يفضي إلى التلفْ

وأعجب شيء أنهم في عيونهم
كبارٌ وقد باعوا السيادة والشرفْ

وموضع انتقاد المعاصرين عند السقاف أنهم يدّعون أنهم قد وصلوا في علم الآداب رتب سلفهم. وهم بذلك الادعاء يريدون التستر على عيوبهم. ولكن ما أبعد الفرق بين الجوهر والخزف. أو قل ما بين الثرى والثريا.



وأكبر من هذا أنهم سوّلت لهم
سفاهتهم أن يدّعوا رُتبة السلفْ

يريدون بالتمويه ستر عَوَارهم
وشتان ما بين الجواهر والخزف

ووجه المقارنة يأتي في قوله:ـ

مضى أهلنا بالزهد والجدِّ والتقى
ورحنا مع الإهمال واللهو والترف

وفي قوله:ـ

وساروا على نهج القناعة سيرة النـ
ـبي فبدّلنا القناعة بالسرف

والقصيدة طويلة نوعاً ما إذ تبلغ نحواً من خمسة وعشرين بيتاً، وهي من ضمن القصائد التي ضمها ديوانه، وكلها سياق أدلة على أن الأدب والأديب المعاصر أقل مستوى من الأدب والأديب القديم لا من حيث الأصالة الأدبية. وإنما من حيث تركيبة نفس الأديب التي جعلته يبدع في سلوكياته الأدبية وعلمه وثقافته.. وقد ختم تلك القصيدة النقدية الرفيعة المستوى بقوله:ـ

فقد مات في أيامنا الصدق واختفى الـ
ـصواب وزاد الحمق والمين والصلفْ

وأذوت رياض الصالحين وإنما
غياض الدعاوى بيننا ظلُّها وَرَفْ

○ ○ ○ ○ ○

من الفوائد الأدبية في القرآن.. مرة أخرى!!

قبل هذا الموضوع كتبت تحت عنوان: «من الفوائد الأدبية في القرآن»، وأشرت إلى اجتهاد العلماء رحمهم الله في البحث عن تلك الفوائد وإبرازها لنا كمعلومة ينطوي عليها سر القرآن الكريم.

وفي هذا الموضوع أعود لأنقل شيئاً من تلك الفوائد الأدبية التي لا يلحظها إلّا من له صلة وثيقة وفهم واسع بمعرفة القرآن العظيم.. فمن ذلك مثلاً قولهم: ـ وليس في القرآن حاء بعد حاء إلّا في موضعين: الأول في سورة البقرة آية ٢٣٥، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَـٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ والثاني في سورة الكهف آية ٦٠، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾. وقالوا: ليس في القرآن كاف بعدها كاف في كلمة واحدة إلّا في موضعين: الأول في سورة البقرة آية ٢٠٠، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ...﴾ الآية. والثاني في سورة المدثر آية ٤٢: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾. وقالوا: إن عدد كلمات القرآن الكريم ٧٧٤٣٩ كله وقيل: ٧٧٤٣٧، وقيل: ٧٧٢٧٧، وقيل: غير ذلك... ـ وقالوا: عدد حروفه ٣٢٣٠١٥ حرفاً، وقيل: ٣٢١٠٠٠، وقيل: ٣٤٠٧٤٠ حرفاً.

وقد علق السيوطي على ذلك فقال: والاشتغال باستيعاب ذلك مما لا طائل فيه. والحقيقة أن اشتغالهم بذلك أدب وجدوا فيه متعة روحية وذهنية أثمرت بفوائد ومعلومات تبصر القارئ وتثقّفه.

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، فإنني أذكر أن علماء اللغة

رحمهم الله قد جدّوا في البحث عن الحروف المتنافرة التي لا يرتبط بعضها ببعض مهما كانت الحال. وإن ارتبطت فإنه لا معنى للكلمة التي ترتبط فيها، وذلك مثل قولهم: الزّاي لا تأتي بعد الظاء إطلاقاً.. وقولهم: العين لا تقترن بالحاء في كلمة على الإطلاق، وإن اقترنت قسراً أصبحت بدون معنى.

شعر يمجد القرآن الكريم:-

هو الفرقان لا يأتيه شين
هو التبيان بان عن التداني

له في كل علم معجزات
يحار العقل فيها إذ تعاني

تنزّه أن يكون نتاج فكر
ففكر الخلق محدود المعاني

ولكن الكتاب كلام ربّ
تعالى عن زمان أو مكان

إليه الأمر مرجعه جميعاً
ويبقى وجهه والخلق فان

فجدِّد للكتاب العهد والزم
حدود اللّه تحيا في أمان

وعند اللّه للفقراء أجر
وللمتدارس بلا توان

ومن يعرض عن القرآن حكماً
وتشريعاً يباعد عن جنان

والقصيدة أطول من ذلك وهي إحدى قصائد خير الدين وانلي.

شيء من المدائح النثرية والشعرية في خير البرية!!

إن أحلى كلام يسطره الكاتب أو يلفظه لسان الناطق هو امتداح سيد الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ﷺ. وأفضل ذكر وأجلّه بعد ذكر الله هو ذكره عند بداية الدعاء وختمه.

أما الصلاة عليه في كل وقت وحين فهو حق له علينا وطمع بأن يصلي الله علينا بكل واحدة عشراً؛ حيث صح عنه ﷺ أنه قال: «من صلّى عليّ صلاة؛ صلّى الله عليه بها عشراً».

والحقيقة أن في كل ما كتب من مدائح نثرية أو شعرية فيه ما يطرب الروح ويذكي الحس الإيماني في الإنسان المسلم.

فمن النثر قول عمرو بن بحر الجاحظ؛ المتوفى ٢٥٥هـ، في بلاغة الرسول وبيانه: «هذا هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة وتنزه عن التكلف. استعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق عن ميراث حكمة ولم يتكلم إلّا بكلام قد حفّ بالعصمة وشدّ بالتأييد، ويسر بالتوفيق.

وهو الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين الإفهام وقلة عدد الكلام، وهو مع استغنائه عن عاداته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته لم تسقط له كلمة، ولا زلّت له قدم ولا بارت له حُجّةٌ ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب. بل نبذ الخطب الطوال بالكلام القصير، ولا يتلمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتّج إلّا بالصدق، ولا يطلب الفلج

إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز ولا يبطئ ولا يعجل ولا يشهب ولا يحصر؛ ثم لم يسمع الناس قط بكلام أعم نفعاً ولا أصدق لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً ولا أفصح عن معناه، ولا أبين عن فحواه من كلامه ﷺ.

ومن المدائح النثرية المتعلقة بفصاحته وبلاغته وبيانه ﷺ قول مصطفى صادق الرافعي المتوفى سنة ١٣٥٦هـ: «ولا نعلم أن هذه الفصاحة كانت له ﷺ إلّا توفيقاً من الله، وتوفيقاً إذ ابتعث للعرب وهم قوم يقادون بألسنتهم ولهم المقامات المشهورة في البيان والفصاحة. ثم مختلفون في ذلك على تفاوت ما بين طبقاتهم في اللغات، وعلى اختلاف مواطنهم. فمنهم الفصيح والأفصح، ومنهم المضطرب والجافي. ومنهم ذو اللوثة، والخالص في منطقه إلى ما كان من اشتراك اللغات بينهم. وتخصص بعض القبائل بأوضاع وصيغ مقصورة عليهم لا يساهمهم فيها غيرهم من العرب إلّا من خالطهم أو دنا منهم دنو المأخذ؛ فكان ﷺ يعلم كل ذلك على حقه كأنما تكاشفه أوضاع اللغة بأسرارها تبادره بحقائقها فيخاطب كل قوم بلحنهم وعلى مذهبهم؛ ثم لا يكون إلّا أفصحهم خطاباً وأسدهم لفظاً وأبينهم عبارة. ولم يعرف ذلك لغيره من العرب». ـ وقول الرافعي أطول من ذلك.

أما امتداحه شعراً؛ فهذه أبيات من قصيدة للشاعر عبد الرحمٰن بن عبيد الله السقاف المولود سنة ١٢٩٩هـ، والمتوفى سنة ١٣٧٥هـ.

يا صاحب الآي التي قد أوضحت
طرق السعادة والهدى إيضاحا

خلق أرق من النسيم وخِلقة
بجمالها قد أعيت المدّاحا



نطق الجماد بصدقه والجذع من

ألم النوى ملأ البقاع نواحا

وبنفثه عذُبَ الأجاج وكفه

تجدي وتارات تسيل قراحا

وكلامه أحلى من السّلوى به

راضى النفوس النافرات جماحا

وحديثه نعم الدواء براحه

نسلو إذا عز اللقاء كفاحا

ولنا الأسانيد العلى روى ال

راوون عنه مسانداً وصحاحا

ومديحه قوت القلوب وروحه

بمجيئها ذهب العنا وانزاحا

○ ○ ○ ○ ○

الذهول عند الموقف المفاجئ!!

ومن الناس من إذا أصيب بمصيبة مفاجئة وقف مذهولاً لا يعرف كيف يتصرف. ولا ماذا يقول.. وهذا النوع من الناس هو الذي يضطرب عنده ضابط الإدراك ومقياس التوازن النفسي..

وقد يمتد هذا الوصف ليشمل حالة غير مفاجأة لمصيبة ويصور واقع المرء عندما تباغته فرحة اللقاء بأعز حبيب له. أو يحصل على شيء كان متعذراً حصوله عليه فيقف مبهوتاً قد يتعذر عليه النطق والتعبير عن مفاجأة المشهد.

أذكر أن أعمى فقيراً لا يملك شيئاً جاء إلى أحدهم عندما أقبل الشتاء يشكو إليه خوفه من الشتاء وبرده فحزم له حزمة كبيرة من الحطب، وأعطاه شيئاً من البر والتمر. فوقف ذلك الفقير رافعاً يديه إلى السماء يريد أن يدعو لذلك المحسن إليه فلم يجد من شدة فرحته بالحطب والتمر والبر ما يدعو به فقال بلهجة عامية «هذي أذني لك»، وحلّق على أذنه وهو تعبير عن أنك قد ملكتني فافتدني بإذني كيفما شئت ثم أعقب ذلك بقوله: «ما في الكلام فايده» أي أنني لم أجد من فاضل الدعاء وجيده وأحسنه ما أدعو به لك: فقد غاب عني كل شيء وسكوتي هو أبلغ من الدعاء الدارج الذي يدعى به لأشخاص عاديين الذين لم يفعلوا فعلك. ولم يتكرموا على فقير مثلي كتكرمك عليّ.

فإذا كانت هذه الصورة تظهر عند المفاجأة بالهبة من كريم إلى مستحق!! فما بالنا بالذهول عند المصيبة المفاجئة!! إنها تسكت بل



تجعل من المفوّه عيّاً ربما لا يستطيع أن يستجمع سؤلاً يقول: ـ كيف حدث هذا؟.

سئل الشاعر أحمد شوقي.. لماذا لم يرث والده برثاء يزخر بأسلوبه الشعري الذي ترقص في جنباته الفصاحة وقوة التعبير. فأجاب إجابة فيها شيء من عدم الاستطاعة على رثاء والده رثاء يليق به؛ لأن التعبير يصغر ويتضاءل أمام الموقف.. يقول في إجابته تلك:ـ

سألوني لم لمْ أرث أبي
ورثاء الأب دين أي دين

أيها اللّوام ما أظلمكم
أين لي العقل الذي يسعد أين؟

يا أبي ما أنت في ذا أول
كل نفس للمنايا فرض عين

هلكت قبلك ناس وقرى
ونعى الناعون خير الثقلين

غاية المرء وإن طال المدى
آخذ يأخذه بالأصغرين

وطبيب يتولى عاجزاً
نافضاً من طبه خفي حنين

إن للموت يداً إن ضربت
أو شكت تصدع شمل الفرقدين

تنفذ الجو على عقبانه
وتلاقي الليث بين الجبلين

○○○○○

المرأة شاركت في بناء الأدب بطريقة مباشرة!!

ولا أقول إن المرأة قد شاطرت الرجل بطريقة غير مباشرة في بناء الأدب. فأصبح لها في الأدب وجود ولمسات فنية بيدها الخفية. وإنما هي قد قامت فعلاً بالمشاركة في بناء صرح الأدب القائم الآن. وقد واصلت أختها المعاصرة ذلك الوجود وذلك البناء مواصلة تحمد عليه.

وهذا لا يعني أن الرجل قد أهمل جانب المرأة أثناء وضع قاعدة الكيان الأدبي.. بل قد منحها مساحة كبيرة من أعماله وأدبه. وساعدها على التنقل في آفاق الأدب بكل حرية.. وأعطاها الشيء من نتاجه الفكري ولا غرو في ذلك. فهي منه بمثابة الحس الذي يستلهم منه صناعته الأدبية. بل هي هاجس من أهم هواجسه التي تمنحه التجليات. وتثير في نفسه الحفيظة الأدبية التي يبدع في تسجيلها ويتباهى بصياغة التعبير عنها.

وهي بالنسبة للشعراء - وأعني بذلك المرأة - وخاصة منهم شاعر الغزل تمثل الجناحين اللذين يحلق بهما في سماء الأدب. ويطير بهما من ناحية إلى أخرى. ومن ركن إلى آخر بعزيمة يزيدها التخيل تولهاً. ويمدها الواقع بقوة تعبيرية يُظْهر فيها ما يخالج نفسه من شوق يولد فيه المعاناة. وعشق تمخض وما زال يتمخض عنه أدب المغازلة الذي شكل بواقعه رافداً يمد بحيرة الأدب بمائه العذب.

وإذا بحثنا في جانب من أدب المرأة وجدنا فيه ميزة تقل نسبة وجودها في أدب الرجل. والسبب في ذلك أن أدب المرأة وعاء للرقة واللطافة.. وأن البعد عن اللفظ البذيء الذي لا يتورع الرجل عن دسه في أعماله الهجائية أو الساخرة من طبعها وخلقها.

وأعود إلى التأكيد على أن المرأة فاعلة رئيسي في وجود بعض أدب الرجل وخاصة الجانب الغزلي منه كما أسلفت. . - وبعد فإنه من الأحسن أن نستمتع بشيء من ذلك الجانب الذي كانت المرأة سبباً في وجوده. فأعرض أبياتاً غزلية من قصيدة للشاعر شهاب الدين الأعزازي. . ويقال أنه قد ادّعاها ٧٠ شاعراً:

صَاحَ في العاشقين بالكنانهْ
رَشَاءٌ في الجنون منه كنانهْ

بدويٌّ بدت طلائع لخطيب
ه فكانت فتّاكةً فتّانهْ

ردّ منا القلوب منكسرات
عندما راح كاسراً أجفانه

وغزانا بقامة وبعين
تلك سيافة وذي طعّانه

وأرانا وقد تبسم برقاً
فأريناه ديمةً هتانه

فهو يقضي على النفوس ولم تقـ
ـض من الوصل في هواه لبانه

سافر الوجه عن محاسن بدر
مائس القد عن معاطف بانه

لست أدري أراكة هزّ من أعـ
ـطافه الهيف أم لوى خيزرانه

والقصيدة طويلة اختار منها صاحب «نفح الأزهار في منتخبات الأشعار» عدداً من الأبيات.

الغزل خطوة أولى في رحلة الشعر!!

والغزل يعد مفتاحاً شعرياً يدخل به الشاعر واحة الشعر بكل بساطة إذا كان مهيئاً نفسه ومستعداً للتجوال فيها والتعرف على أنواع أشجارها ونباتاتها المختلفة.

وعند هذا الحد من التعريف بواحة الشعر وإن لم يكن كافياً. يحسن القول بأن الذي يقدم على دخولها إما أن يجيد اقتطاف ثمار الشعر منها فيصبح شاعراً. وإما أن تتداخل في عينه ألوان الثمار فيسيء الاختيار ويجمع ثماراً فجةً مُرَّةَ المذاق.. ـ تنكرها الأذن وترفضها صفحات الأدب فيبوء بجهد فاشل وعمل مرفوض.

وإذا ما صرفنا النظر عن الشعراء القدامى أو الذين فطروا على قول الشعر من المتأخرين وامتهنوه صنعة ووسيلة تكسب.. وألقيناه على أولئك الذين تدرجوا في سلم الشعر. وجدنا أن معظمهم. أو قل جملتهم قد كان الغزل عندهم الخطوة الأولى في رحلة الشعر التي أصبحوا فيما بعد خبراء في مجاهلها بفعل تعشقها والثبات على المضي فيها.. حتى أفضت بهم تلك الرحلة إلى أجواء واسعة يختارون منها ما يشاءون مخلفين بعض الغزل والتغزل أو كله خلفهم. فلا يعيرونه أدنى التفاتة حيث تخلصوا منه تخلص الفرخ من تريكته.

أما الشعراء القدامى فإنهم لم يدعوا الغزل والتغزل. بل لازموه ملازمة الظل لصاحبه.. كيف لا ونحن لا نكاد نقرأ قصيدة من قصائدهم إلّا ونجدها مصدرة بأبيات غزلية رقيقة.. ـ وفي المعلقات أصدق دليل على ذلك ـ وقد اقتفى أثرهم في ذلك شعراء أحقاباً من

الزمان ثم أخذ في التضاؤل حتى كاد في عصرنا هذا يكون افتتاح القصائد بالغزل معدوماً. بل ربما كان موضع نقد يعزى للتقليد. . . ويبقى أن نعرض نموذجاً لاقتفاء أثر القدامى في استهلال القصائد بالغزل ـ فهذا مثلاً الشاعر علاء الدين بن مليك الحموي المتوفى سنة ٩١٧هـ، يستفتح قصيدته النونية التي امتدح بها رسول الهدى وخير البرية بأبيات غزلية منها قوله:ـ

فؤادٌ بذكر العامرية مغرم
وصبّ هواه في الضلوع مخيمُ

وبرق سرى وهناً بأكناف بارق
أم الثغر من ليلى غداً يتبسم

تراءت فكلي ناظر لجمالها
ومالت وكلي في هواها متيم

لئن ملت يوماً عن هواها لغيرها
فلا صدق الواشي بما كان يزعم

ولم آنس إذ ودّعتها ومدامعي
عقود غدت في جيدها تتنظّم

وسارت وقد أومت لنحوي بطرفها
وصارت بأطراف البنان تسلم

وقالت ربيع بيننا الحلّ ملتقى
فقلت لها بل ملتقانا المحرم

وبانت على عيس لها وترحلت
وعندي المقيمان الأسى والتندم

○○○○○



الشعر في مدح الشعر!!

ومهما كتب الكاتب عن الشعر وطبيعته. وعن الشعراء والتزامهم له. فإنه لا ينتهي إلى نقطة يتحتم الوقوف عندها، ولا يمكن تجاوزها، لأن الشعر بحر لا ساحل له. من حيث تدفقه أمام رؤى الشاعر أما طبيعته وتأثيره في النفس فتأتي عن طريق ما يشتمل عليه من فصاحة وبلاغة وبيان.

والمشركون أخزاهم الله يوم يبعث عباده. لما أرادوا أن يكذبوا ما جاء به رسول الهدى من آيات بينات. قالوا: إنّ ما جئتَ به شعر. وهذا القول فيه دلالة على أن في الشعر ما يبهر العقل.. ولكن شتان ما بين هذا وذاك. بل إن كلمة ـ شتان ـ لا تكفي لذلك؛ لأنه ليس هناك مقاييس تقوم عليها أدنى مقارنة بين الشعر، والقرآن.

أما الحديث عن الشعر من حيث هو ديوان العرب، فإن فيه إطواباً وتهذيباً واستمتاعاً وثقافةً وعلماً وأدباً.

وقلّما الكاتب المتذوق للشعر يتدفق سحراً حينما يأخذ في وصفه وجمال تركيبه وعذوبة بلاغته، ولعلي أستدرك هنا فأقيد لفظة ـ الشعر ـ فأقول: إن الشعر الذي أعنيه هو الشعر العمودي المقفى، لأنه في عصرنا هذا قد مدّ ما يعرف بالشعر الحر عنقه في تطاول على الشعر الأصيل حيث وجد من يربت على أكتاف أصحابه تربيتا ينم عن الإعجاب به، مع الأسف الشديد.

أما إذا كان الحديث عن الشعر بقلم شاعر وبأسلوب شعري أيضاً ـ أي أنه شعر يمتدح شعراً ـ فإن ذلك يكون غاية في الوصف وتجديد



القيمة والفاعلية للشعر. وهذا هو ما حصل من الشاعر السعودي علي زين العابدين الذي وصف الشعر بشعر جعله في صيغة إجابة عن استفهام عن واقع الشعر ومعناه وصفته وتأثيره. وذلك بقوله:ـ

الشعر تعبير القلوب ورجعُها
يحيى الموات ويسعد الأحياءَ

لولاه ما وضع الملحن لحنه
كلّا.. ولا سمع الأنام غناء

الشعر في هذي الحياة ربيعها
لولاه ما رأت الحياة هناء

الشعر أزهار.. يصوغ عبيرها
فيعطر الآفاق والأجواء

الشعر ريُّ الظامئين وبلسم
للموجعين.. فكم شفت أدواء

الشعر منتجع النفوس ومرتع
تَغْشاه تنشدُ في رُباهُ صفاء

من رام للنفس الحزينة بُرْءها
فليقصد الأشعارَ والشعراء

الشعر فلسفة وحكمة عالم
تُذكي العقول وتخلقُ الحكماء

○○○○○

من طرائف تراثنا الأدبي!!

والفكر العربي الذي خلف لنا تراثاً أدبياً نفخر به. لم يكن متخلفاً من الناحية الفكاهية عن الآداب الأخرى. بل أتى بما هو أسمى وأذكى وأظرف منها.. وأبدع فيما أتى به في ذلك إبداعاً ترك أثراً يدل دلالة تامة على سلامة ذوقه وفنية صياغته للطرفة وسياقه للنادرة بأسلوب عربي ساحر.

والباحث عن الطرفة والنادرة في الأدب العربي يجد أن كتب التراث قد غصت بكل ما هو مستظرف ومستطرف من نوادر الحكايات وظريف الأخبار التي منها ما يضحك ويدخل السرور على النفس.

ومما هو مستظرف ومستطرف من الحكايات هذه الحكاية التي اشتملت على محاورات شعرية يستدل منها على ظرافة وذكاء المتحاورين. وهي كما يلي:ـ

اجتمع غلام وصبية عند فقيه. فكتب الغلام على لوح الصبية هذه الأبيات:

ماذا تقولين فيمن شفّه سقم
من فرط حبك حتى صار حيرانا

يشكو الصبابة من وجد ومن ألم
لا يستطيع لما في القلب كتمانا

فكتبت الصبية تحته:

إذا رأينا محباً قد أضرّ به
حال الصبابة أوليناه إحسانا



ويبلغ القصد منا في محبته
وصلا وهان علينا كل ما كانا

ففطن الشيخ إليهما وأخذ اللوح وكتب:

صلي محبك لا تخشي معاتبة
إن المحب غدا في الحب حيرانا

أما الفقيه فلا تخشي مهابته
فإنه قد بلي بالعشق أزمانا

فدخل والد الصبية ورأى اللوح فكتب تحته:

لا فرق اللّه طول الدهر بينكما
وظل واشيكما حيران تعبانا

أما الفقيه فلا واللّه ما نظرت
عيناي ـ أرذل ـ منه قط إنسانا

وسواء كانت هذه المحاورة واقعية ذات أصل في الخبر أو من نسج خيال شاعر أراد مداعبة أحد الفقهاء. فهي من الناحية الأدبية تعد فكاهة تدخل من زاوية الظرافة والطرافة في الأدب.

○○○○○

من الشعر السَّجْعي!!

وما القارئ في كتب السلف إلّا كالرائد الذي يستطلع معالم الأرض، فكلما تمادى في السير استبان معلماً جديداً. وشاهد تضاريساً مختلفة في شكلها عما كان يعرفه. فما يلبث إلّا وهو ملم بشواهد معلمية لا حصر لها.

ووصف القارئ بتلك الصفة المتقدمة ليس بدعاً بل هو ترجمة لواقع حاله.. والدليل على ذلك أننا كلما قرأنا كتاباً أدبياً وجدنا فيه إشارة إلى أنه قد أخذ من كتاب سابق له فيضطرنا إلى البحث عنه وقراءته فتطول بنا الرحلة القرائية.. ولكن دونما ملل أو سأم. وإنما سياحة تدخل السرور على النفس.

وإذا ما عرجنا أثناء رحلتنا القرائية تلك على دواوين الشعر رأينا فيها من الأساليب الشعرية ما يشد العزيمة على مواصلة القراءة.. ـ أقول هذا حيث كان لي تجربة مع قراءة الشعر.. وقد وصفت الكثير منها في موضوعات سابقة دعت المناسبة إلى ذكرها حين قراءتها.. ـ أما في هذا الموضوع فقد استوقفتني قصيدة جميلة للشاعر علي مروة بن حسين مروة المقيم في حداثا في قرى جبل عامل بلبنان والمتوفى سنة ١٢٨٠هـ، وقد نظمها في مدح أحمد بك الناصيف عام ١٢٤٤هـ، بأسلوب سجعي تحكم في تفعيلاته وأوزانه تحكماً يندر وجوده في نظم الشعر.. من تلك القصيدة السجعية. ما يصف به منزلاً على شاطئ وادٍ في ناحيتهم بقوله:

غزلانه سنحت ورقاؤه صدحت

أنهاره طفحت بالبارد الشبم



قامت دعائمه هبّت نسائمه
باتت حمائمه في أحسن النظم

شطت مطارحه طابت روائحه
تشدو صوادحه في صوتها الرخم

الوحش ساكنه والطير قاطنه
أمست معاطنه مألوفة الرحم

سناؤه نظر في وسطه نهر
حصباؤه درر يغنيك عن إرم

من كل ناجية الخدّين ناعمة
الجدين ناهدة النهدين في هضم

زج حواجبها سود ذوائبها
بيض ترائبها في حمرة العنم

وقبل أن يختم الشاعر على مروة هذا السجع الشعري الجميل بثلاثة أبيات ذكر أبناء الناصيف بقوله:

أبناء ناصيف حقاً ليس يجهلهم
إلا حليف عمى عن واضح اللقم

والحقيقة أن مثل هذا النظم السجعي يعتبر مستظرفاً في ميدان الشعر. وتحسن الإشارة إليه كمعلم متميز في ذلك الميدان.

ooooo

مراجعة النفس عند الخطوة الأولى يضمن عدم تماديها فيما هو منكر!!

إن عطف النفس عن شيء بلغت فيه شأوها لأمر فيه ما فيه من التغيير القسري. خاصة إذا كان عامل العطف خارجياً ولم يكن من ذات صاحبها ـ وسواء كان عطفها عن المعالي وإليها فكلاهما يعد تغييراً وقسراً. . ـ أما إذا لعب في ضمير صاحبها عامل حب التغيير. وتمكن من أخذ دوره في العمل على استبدال ما كان مألوفاً ومقبولاً بما هو جديد مجهول فذلك ما يؤذن بالشقاء في غالب الأحيان ـ لكنه شقاء تعقبه راحة إن كان في طلب العلا. وإن كان في عكس ذلك فهو شقاء يعقبه بؤس وخيبة وسوء حال.

أما إذا كان هناك عامل خارجي اسمه الحقد والحسد والكراهية. وكان يُجِدّ في عمله ويزيد من نشاطه على حمل النفس على عطفها عما كانت تألفه وتحبه من صفات حميدة وخلال محمودة فذلك ما تجب مقاومته. وأخذ الحيطة من غدره. لأن النفس تعشق في كثير من الأحيان الوقوف على المواقف المتذبذبة. ولها سوابق في الأمر بالسوء والطعن في العلاقة التي تربط صاحبها بالآخرين سواء كانوا أقرباء أو بعيدين.

أما الدافع إلى تحبير هذه الاستهلالة البسيطة، فهو الحث على الأخذ بمبادأة النفس ومراجعتها عند الخطوة الأولى حتى لا يستلزم عطفها عندما تتمادى فيما هو منكر إلى جهد ومنازعة تُخَلّفُ في الجسم إرهاقاً. وأعصاباً متوترة. ومزاجاً مضطرباً. ووسوسة تدمر الفكر وتضعضع الإرادة وتقتل الهمة.

وكم خاطب الشعراء أنفسهم وألقوا باللائمة عليها حينما وجدوا أنهم قد وقفوا في مواقف كانت قد حببتها إليهم.. ومن أولئك الشعراء الشاعر السعودي محمود بن سعود الحليبي الذي يقول من قصيدة طويلة له عنوانها: «أراك تشتعلين»:ـ

يا نفسُ يا من صافحت كفّ الهوى
بـيـدٍ تـصـارع كـي تـعـود بـثـارهـا

فـلأي شـيء تـثـأريـن.. لـنـزوة
كـان الـذي تـقـلـيـن مـن خُـطـارهـا

ولأي شـيء تـحـقـديـن لـهـفـوة
نـزل الـكـريـم لـلـحـظـة فـي دارهـا

قـولـي ومـن ذا تـحـسـديـن.. أو ردة
كـم كـنـت تـسـتـافـيـن مـن أعـطـارهـا

خبـثـت دمـاهـا حـيـن مـات وفـاؤهـا
نـفـس يـقـيـم الـود فـي أسـفـارهـا

آه عـلـى عـمـري الـقـصـيـر ربـابـةً
الـحـزن يـرتـع فـي جـنـىٰ أوتـارهـا

يـشـجـي أحـاسـيـسي تـمـلـقُ خـائـن
ويـدوس مـحـبـوب عـلـى أزهـارهـا

ويـشـل عـاطـفـتـي تـنـكـر صـاحـب
لـخـلـيـلـه حـسـداً لـه أوكـارِهـا

○○○○○

ثورة على حداثية الشعر. والجهل بالنقد

واللغة العربية في حد ذاتها تعد مسرحاً عظيماً له زوايا مختلفة وآفاق متباعدة تبتلع لغات العالم ابتلاع الكائن الحي لما يقدم له.

والتغاضي عن أي يد تحاول نقب سدها المنيع يعد تخاذلاً وتقصيراً في حقها. بل ربما حسب تواطوءاً مع من يريد الإساءة إليها.. ـ وقد يتساءل أحدهم فيقول: وهل هناك من يحاول تشويه كيانها والعبث بمنعتها.. والجواب من واقع حاله حداثيوا عصرنا يأتي.. بنعم.. حيث تمتد منهم يد يقال لها: الشعر الحر. تحاول في حركة واهية إحداث نقب في سدها العظيم.

لكن الذي يطمئن النفس ويريح البال. أن عين الرقيب منتبهة لذلك العبث. وقد بادرت إلى كشف نواياه وتعرية أهدافه التي أهمها هدم اللغة العربية.. ـ وعين الرقيب توصي في عصرنا هذا بالثورة على الجهل بالنقد. وترى أن يكون الناقد على بصيرة من الأمر حتى يكون نقده سيفاً صارماً يستله على الذين جعلوا عشقهم للغات الأخرى وآدابها سلماً مهزوزاً يتسلقون منه إلى حمى اللغة العربية بدعوى التجديد والتحديث الذي يحاولون من خلاله بتر أي صلة بالماضي وعدم وصله بالأدب المعاصر مدّعين بأن هذا مسايرة للتطور الزمني وأن التراث الأدبي ما هو إلّا مخلفات يجب أن يطوي مع أصحابه الذين طواهم دولاب الزمن.

ولقد وقف الشاعر كريم خلف النويميس مدافعاً عن اللغة العربية ومهاجماً شعراء الحداثة وأنصار الشعر الحر. ومطالباً الناقد باستلال



قلمه والوقوف إلى جانبه في تلك القضية التي أخذت أبعاداً يخشى من تمكنها في ميدان أدبنا العربي.. وذلك في قصيدته «رسالة إلى النابغة» والتي فيها يستصرخ النابغة وأضرابه للحيلولة دون أن يمد الشعر الحر عنقه ويقوى كيانه.. ـ من تلك القصيدة قوله:

يا نابغ العرب أضحى النقد مهزلة
ضحية بين أنياب الثعابين

ومنها قوله:ـ

إن الحداثة في الأشعار قاطبة
كشوكة بين أزهار البساتين

فكرُ العروبة صاف ليس يقنعه
مقياسُ منحرف في الفكر مأمون

والنقدُ ما لم يكن كالشمس متضحاً
برهانُه فهو من هذر المجانين

لو كنت حيّا ثبت الصدق بينهمُ
ما أصبح النقدُ مختل الموازين

ظنوا سوى لغة القرآن داعمة
للفكر.. تالله هذا رأي مفتون

هل كان يرطن حسان وهل لعبت
طماطم الغرب في فكر ابن خلدون

والقصيدة طويلة نسبياً، فهي تبلغ ٢١ بيتاً ختمها بقوله:

نقد الأصيل سبيل لا اعوجاج به
وللحداثة طرق كالعراجين

الجندي وموقفه من المؤامرة على لغة القرآن!!

في العدد ١٠٣٠٧، يوم الأحد ٢١/٥/١٤١٣هـ من جريدة «الندوة» كتب الأستاذ أنور الجندي موضوعاً تحت عنوان: «المؤامرة على اللغة العربية» وقد أثار فيه المؤامرة التي تحاك ضد اللغة العربية.. والتي منها الدعوة إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية. ومعارضة مفاهيم النحو... وقد أشار إلى أن من مؤسسي تلك المؤامرة المبشر الإنجليزي وليم ويلكولس الذي دعا في خطابه المشهور عام ١٨٨٣م، بنادي الأزبكية بالقاهرة إلى نشر اللغة العامية والتأليف بها.. والتي منها قوله: إن السر في عدم الاختراع عند المصريين هو التمسك باللغة العربية الفصحى ـ كما أشار إلى أن تلك المؤامرة مرتبطة في نفس الوقت بما أعلنه اللورد ـ دو فرين ـ في تقريره الذي صنعه عام ١٨٨٢م بعد الاحتلال البريطاني لمصر حين دعا إلى معارضة لغة القرآن. وتشجيع لهجة مصر العامية.. ومما جاء في ذلك التقرير قوله: ـ إن أمل التقدم ضعيف في مصر طالما أن العامة تتعلم اللغة الفصحى.

والذي يؤسف له أن هؤلاء المتآمرين على اللغة وجدوا مناصرين لهم من العرب في مصر أمثال عبد العزيز فهمي باشا. ولطفي السيد وطه حسين الذي كان له رأي في تبديل الخط العربي وقواعد النحو باسم تطوير اللغة ـ والهدف في الحقيقة هو تخريب اللغة لا تطويرها ـ لتصبح قراءة القرآن والتراث العربي الإسلامي متعذرة على غير المتخصصين. لكنهمُ الحمد لله قوبلوا بالرفض الممزوج بالشتم والتقبيح.

ـ ثم كانت هناك محاولة بأن تكون هناك لغة وسطى ـ أي لا هي

عامية ولا هي فصحى ـ ولكنها تنزل درجة عن الفصحى لتنفصل عن بيان القرآن ولتكون طريقاً إلى شمول العامية... وقد تزعم هذه الفكرة الخبيثة ودعا إليها فريد أبو حديد، وتوفيق الحكيم، وأمين خولي،. لكنها والحمد لله كشفت خططهم التي يرمون من ورائها إلى تدمير لغتنا.. ومن النبهاء الذين فضحوهم وردوا مكائدهم الدكتور محمد محمد حسين والدكتور علي الغناني الذي قال: ـ وهذه الخطة التي يقصد بها هدم اللغة العربية هي ما يحلم بها سعيد عقل، وأنيس فريحة، ولويس عوض، وسلامة موسى، والخوري مارون غصن.. ـ وإذا كان لا بد من تعليق بسيط على هذا الموضوع، فأكثر ما نقوله: ـ إن الذين يؤيدون الأقوال والأفعال التي يقصد بها هدم اللغة العربية أو يدعون إلى ذلك إنما هم أعداء للإسلام لأنهم يحاولون جعل القرآن شيئاً مستحيل الفهم ليكون بالتالي تراثاً معطلة قراءته. ومحفوظاً في دور الآثار والمتاحف.

ومن الذين وقفوا ممجدين للغة العربية ومنافحين أعداءها الشاعر محمد البزم حيث قال في أحد مقاطع قصيدة طويلة له:ـ

أم اللغات وما لانت لنازلة
ولا استكانت لشدات المغيرينا

عاذتْ وعذتم بها منكم بشامخة
عند الفراقد تُعيي المستبيحينا

زانت حماكم وزنتم من مطارفها
فراح كوكبها بالسعد مقرونا

تخير الحسن منها كل ناحية
فكيفما اعترضتْ لاحت تحاسينا

طافت قديماً على الأجيال تُرشفُهم
من فاتن الحسن أكواباً أفانينا

فصرعتْهم سُكارى من سلافتها
شتى التهاويل مبذولاً ومخزوناً

دبّتْ دبيب الحُميَّا من مفاصلهم
فطأطأوا لحُماها العرانينا

ما رام داهٍ له كيداً ومارسها
إلّا انثنى من هواها في المحبينا

ＯＯＯＯＯ

موت بعض الزوجات نعمة!!

في المجالس الشعبية المعاصرة سمعت أحدهم يروي أن رجلاً تزوج بامرأة فأذاقته ألوان العذاب النفسي وحولت داره إلى جحيم لا يطاق.. فهي تسلقه بلسان حاد حينما تحدثه مع رفع يديها في وجهه كلما دخل عليها البيت.. لكنه كان يظن أن النساء كلهن كزوجته تلك.. وإنه لو بث شكواه وشرح حالته معها لاعتبرت شكواه من باب البوح بالأسرار الزوجية التي يجب على الرجل كتمانها والحرص على سريتها.. وإن الرجال كلهم يعايشون زوجاتهم بالمجاملة والصبر على أذاهن.

وشاء الله أن تمرض وتموت ويتزوج من امرأة كانت له جنة ونعيماً دنيوياً لا يعادله نعيم، فأخذ يسبح في بحر الندم على الزمن الذي قضاه في شقاء مع تلك الزوجة السيئة الخلق، لكنه تنفس الصعداء، ثم أراد أن يظهر للناس ولو من باب التندر والتفكه أنه كان يعيش في جحيم مع زوجته التي ماتت، وإنه الآن في جنة ونعيم مع زوجته الحالية. فخرج إلى المبيعة، وهناك وجد حمل حطب على ظهر جمل فاشتراه من صاحبه بثمن وقدر...؟ بعد أن اشترط عليه أن يدفع به جمله إلى مكان خارج البلدة.. ثم التفت إلى من حوله من الناس وقال لهم: أتدرون ماذا سأفعل بهذا الحطب؟ قالوا: لا.. قال: سأذهب به إلى المقبرة واجعله على قبر زوجتي واشعل فيه النار لأتشفى منها ولو هي في قبرها. فضحكوا ضحكاً مبطناً بفهم ما تنم عنه الطرفة من معنى لإقامة الفارق بين النساء.

ـ قلت: ولو أن هذا الرجل الذي لم تدم بلواه بزوجته القديمة كان شاعراً لجاء بشعر بديع لا تقل حماسته الأدبية، وحرارة معناه عن قول ذلك الشاعر الذي توفيت زوجته فشكر الله وحمده على موتها بقصيدة، منها قوله:

اللّه فرّج كربي
من بعد ما اشتد خطبي

وضقت ذرعاً بنفسي
ضيقاً كأصعب صعب

لحكمة منه كانت
فما لها قط منبي

ومنها قوله:ـ

ماتت فلانة زوجي
ومات ضيقي وكربي

ومات غمي وهمي
ومات قحطي وجدبي

ومات أسرى وقهري
ومات شتمي وضربي

ومات طعني بقومي
وسب أهلي وصحبي

ومات كل بلاء
لقيت منها وحرب

○○○○○

شعور ابن تيمية رحمه الله في سجنه الأخير!!

إن متتبع أخبار شيخ الإسلام ابن تيمية لا يصل إلى نقطة نهاية لها. وذلك لما له من مواقف بطولية.. وآراء يخفى صوابها على غيره ممن يدعي العلم.. ونظرات ثاقبة تدل على عمق العقيدة في نفسه.. - ولهذا نجده قد لاقى من جراء ذلك حساداً ومغرضين لا يتورعون في تبديل أقواله وتحريف فتاواه بقصد النيل منه والتقليل من قيمته العلمية التي بذهم بها.

وفي موضوع تقدم تحت عنوان: «ابن تيمية في سجونه الثلاثة» ذكرت السجون التي أودع فيها والأزمنة التي قضاها بها. مع شيء من ذكر بعض المكائد التي كان يكيلها له أعداؤه، وكانت السبب في سجنه.

وفي هذا الموضوع أنقل شيئاً بسيطاً عن شعوره وهو في سجنه الأخير - سجن القلعة بدمشق - والمتمثلة في أقواله وهو داخل السجن. والتي منها قوله: - أنا حبسي خلوة - وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة، وكان يقول في مجلسه في القلعة: لو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً. ما عدل عندي شكر هذه النعمة. أو قال: ما جزيتهم على ما تسبّبوا إليّ فيه من الخير.. - وكان يقول في سجوده وهو محبوس: - اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ما شاء الله.

قال العلامة ابن القيم الجوزية الذي كان هو الآخر محبوساً معه في القلعة: قال لي ابن تيمية مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه. والمأسور من أسره هواه.

وقيل: ابن تيمية لما دخل القلعة نظر إليها، وقال: «فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب».



ومن كلامه رحمه الله: ـ أنا جنتي وبستاني في صدري أين رحت فهي معي لا تفارقني. !! ـ وقد وجد في القلعة شعراً ابتهالياً بخط يده منه: ـ

أنا الفقير إلى رب السماوات
أنا المسكين في مجموع حالاتي

أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتي
والخير إن جاءنا من عنده يأتي

لا أستطيع لنفسي جلب منفعة
ولا عن النفس في دفع المضرات

وليس لي دونه مولى يدبرني
ولا شفيع إلى رب البريات

ولست أملك شيئاً دونه أبداً
ولا شريك أنا في بعض ذراتي

ولا ظهير له كيما أعاونه
كما يكون لأرباب الولايات

والفقر لي وصف ذات لازم أبداً
كما الغنى أبداً وصف له ذاتي

وهذه الحال حال الخلق أجمعهم
وكلهم عنده عبد له آتي

○○○○○

سلْ... في عناقيد الضياء!!

وعلى مدى ١٤ قرناً ونيفاً من الزمان. ومدائح خير البرية محمد بن عبد الله ﷺ. تترى من كل ناثر وناظم فيأتي آخرها كأولها من حيث الجدة والحماسة وصدق الصفة... والحقيقة أنه لا غرابة في ذلك.. بل الغرابة في أنه على طول هذا المدى الزمني لم يؤت على ذكر كل معجزاته ﷺ. ـ ولهذا فإن المتعة الروحية كل المتعة في قراءة سيرته ﷺ أو مدائحه الشعرية التي تعمق الإيمان في النفس وتضيء الطريق للسالك.

ووالله لو أردت أن أشبه ما كتب من بحوث في أسرار معجزاته ﷺ وما نظم في امتداحه من قصائد لقلت: أنها أشبه بثمار أشجار الفواكه ذات الطعم الحلو والرائحة الطيبة.. وهي بحق عناقيد وعذوق تستطيب رؤيتها العين ويتلذذ بطعمها الفم وهي غذاء روحي لرحلة إيمانية.

وحينما أقول إن مدائح النبي ﷺ.. تترى فإن لهذا القول ما يؤيده.. ومن مؤيداته أن الشاعر السعودي عبد الرحمٰن صالح العشماوي قد نظم قصيدة عنوانها: «عناقيد الضياء» أعدها حتى يومي هذا ٣٠/٦/ ١٤١٣هـ، أحدث المدائح النبوية تاريخياً حيث نظمها في أول هذا العام ١٤١٣هـ، فجاءت وكأنها في أسلوبها الشعري الجميل تصف حدثاً جرى بالأمس القريب. ولم يفصل بينه وبين قائلها ١٤ قرناً من الزمان.

ولأن القصيدة طويلة جدّاً حيث تبلغ نحواً من ثلاثة وثمانين بيتاً فقد اخترت منها أبياتاً ليست هي أقوى ما فيها، ولا أجمل، ولا أبلغ، وإنما لأنها جاءت بالتوالي مستهلة بـ «سلّ» وهو فعل أمر موجه بطبيعة الحال ومن واقع الأسلوب الذي جاءت به لمن تجاهل سيرة سيد



المرسلين نبينا محمد ﷺ. وتعامى عما فيها من معجزات باهرات. يقول العشماوي في تلك الأبيات من تلك القصيدة:ـ

إنـي أقـول لـمـن يـخـادع نـفـسـه
ويـعـيـش تـحـت سـنـابـك الأوزار

سلْ أيـهـا الـمـخـدوع طـيـبـة عـنـدمـا
بـلـغـت مـداهـا نـاقـة الـمـخـتـار

سلْ صـوتـهـا لـمـا تـعـالـى هـاتـفـاً
وشـدا بـألـف قـصـيـدة اسـتـبـشـار

سلْ عن حنين الجذع في محرابه
وعن الحصى في لحظة استغفار

سلْ صحبه الصديق وهو أنيسه
فـي دربـه ورفـيـقـه فـي الـغـار

سلْ حـمـزة الأسـد الـهـصـور فـعـنـده
خـبـر عـن الـجـنـات والأنـهـار

ويمضي في استهلال ثمانية أبيات بـ «سل» ثم بعدها يقول:

سل كـل مـن رفـعـوا شـعـار عـقـيـدة
وبـهـا اغـتـنـوا عـن رفـع كـل شـعـار

سلهم عن الحب الصحيح ووصفه
فـلـسـوف تـسـمـع صـادق الأخـبـار

○○○○○

تغيير قواعد اللغة العربية يعد عدواناً عليها!!

لا شيء أبلغ من الحديث عن اللغة العربية.. ولا شيء أمتع من الدفاع عنها، لأنها تستحق ذلك وأكثر من ذلك، لا لأنها لغتنا، وإنما لأنها لا ترفض التفنن في الأسلوب.. ولا تضيق من التعمق في البحث العلمي والأدبي.. ولا تأبى ترجمة اللغات إليها فهي تستوعب وتهذب أي لغة تتحول إلى لسانها.. - ولهذا وبحكم أنها وعاء القرآن العظيم فقد فرضت على كل مسلم يقرأ حرفاً من القرآن الدفاع عنها والوقوف في وجه أعدائها ومن يحاول إذابتها في اللهجات العامية المحلية لتصبح في يوم من الأيام صعبة التعلم ولتكون تراثاً أدبياً فقط.. - وفي موضوع تقدم أشدت بمجهودات الأستاذ الكريم أنور الجندي التي كشف فيها عن نوايا أولئك الذين طعنوا في اللغة العربية ووصفوها بالجمود وبينما هي أجل وأشرف مما قالوه عنها.

وقد كان تعليق الأستاذ أنور الذي ذيّل به ذلك الموضوع الذي جعل عنوانه «المؤامرة على لغة القرآن» طافحاً بالغيرة على اللغة وفيه تعنيف لبعض العرب الذين جعلوا من عربيتهم همزة وصل لهدم اللغة. يقول في ذلك التعليق مشيراً إلى بعض الآراء الخبيثة التي تؤيد الرأي القائل بتغيير قواعد اللغة العربية صرفاً ونحواً ليدخلوها في معمعة اللهجات القطرية الحالية حتى تذوب وتضمحل فيها.. يقول:
- وما يزال يتردد على ألسنة بعض من يتولون أمر اللغة بأن اللغة العربية لغتنا ونحن أصحابها، ولنا حق التصرف فيها، هو قول باطل وغير صحيح ومردود.. ويرده واقع التاريخ ومنطق البحث العلمي وربما كان قولاً صحيحاً بالنسبة للغات الأوروبية.. أما بالنسبة للغة

العربية فإنه أمر جد مختلف. ذلك أن اللغة العربية منذ أن نزل التنزيل بها فقد أعطاها أبعاداً تختلف.. وواقعاً خاصاً.. - فاللغة العربية منذ ارتبطت بالقرآن الكريم أصبحت ليست لغة أمة هي العرب فحسب، بل هي لغة فكر وعقيدة ودين وثقافة للمسلمين جميعاً الذين يبلغ تعدادهم الآن أكثر من ١٠٠٠ مليون نسمة.. ومن هنا فإن ارتباطها بالقرآن هو وحده الذي حماها من أن تتحول لهجاتها إلى لغات مستقلة. وأن يقرأ تراثها بقاموس. وسيظل الترابط بين المسلمين ولغة الضاد الفصحى لغة القرآن قائماً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أما دور الشعر في المنافحة عن اللغة العربية فهو لا يقل عن النثر في شدة تأثيره وقوة معارضته.. - من ذلك قول الشاعر محمد البزم من قصيدة طويلة له:-

فهي الحديد لآبي الضيم في غضب
وهي النسيمُ لرب البثِّ محزوناً

كم كفكفت من أعاصير الخطوب بها
هوجاء شادت لشاديها الأواوينا

لكنها.. وَيدُ الأقدار تكلؤها
زادتْ بأرضكمُ عزاً وتمكينا[1]

آوت إلى كنف القرآن يحرسها
وحلّ منها بأكناف الحفيينا

معارض من ضياء الحق أحكمها
فتلا وحوكا بنان العبقرينا

---

(١) يعني أرض مصر؛ لأن القصيد ملقاه في مصر.

وحاطت الشعر من وهن ومن خطل
وراح منها بأطواق المباهينا
ما أودع الشعر ربُّ الشعر معجزة
إلّا ليُسهر أجفان المحاكينا
دع الفساكيل تقضي الدهر مجهدة
بأرجل النمل في أثر المجلينا[1]

○ ○ ○ ○ ○

(١) الفسكل من يأتي آخراً في السباق.

ابن الزيات صار وزيراً لثلاثة خلفاء.
وصنع تنوراً لتعذيب الناس فصار ثاني معذّب به!!!

ذكرتُ في موضوع تقدم عنوانه: «إن الزيات يجعل من يتم ولده منطلقاً لرثاء زوجته» شيئاً يسيراً عن حياته. ووعدت أن أعود إلى الحديث عنه. وها أنذا أعود فأقول: لعل أهم ما ينشده القارئ هو معرفة كيفية وصول ابن الزيات إلى الوزارة التي استمرت له مع ثلاثة خلفاء عباسيين هم المعتصم، وابنيه الواثق والمتوكل.. لقد ذكر ابن خلكان نقلاً عما ذكره ميمون أن ابن الزيات كان بارعاً في النحو. وكان في أول أمره من جملة الكتّاب.. فورد على المعتصم كتاب من بعض عمّاله فقرأه الوزير أحمد بن شاذي البصري عليه.. وكان في الكتَاب ذكر الكلأ فقال المعتصم: ما الكلأ؟ فقال الوزير أحمد: لا أعلم!! فقال المعتصم: خليفة أميّ ووزير عاميّ!! فقال: أبصروا من بالباب من الكتاب فوجد ابن الزيات، فأدخلوه عليه فقال له: ما الكلأ؟ فقال: الكلأ العشب على الإطلاق. فإن كان رطباً فهو الخلا فإذا يبس فهو الحشيش وشرع في تقسيم أنواع النبات. فعلم المعتصم فضله فاستوزره وحكمه وبسط يده. ولما مات المعتصم قام بالأمر لولده الواثق ـ هارون ـ وأقامه. وزيراً له بعد ما كان متسخطاً عليه وحالفاً أن سينكبه إذا صار الأمر إليه. فكفّر عن يمينه وقال: عن المال والفدية عن اليمين عوض.. وليس عن الملك وابن الزيات عوض.. ـ ولما مات الواثق قام الأمر لأخيه المتوكل الذي كان قد توعده.. لكن المتوكل استوزره ليطمئنه وبعد ٤٠ يوماً قبض عليه واستصفى أمواله. وذلك بوشاية من القاضي أحمد بن أبي دؤاد. فلم يجد من جميع أملاكه

وصناعه وذخائره إلّا ما قيمته مائة ألف دينار. فقال للقاضي: ـ أطمعتني في باطل وحملتني على شخص لم أجد عنه عوضاً.

وكان ابن الزيات قد صنع تنوراً من الخشب فيه مسامير أطرافها إلى داخل التنور تمنع من يكون فيه من الحركة ليعذب فيه من يطالبه... ويقال: أنه هو أول من عمل ذلك. وعذب فيه ابن أسباط المصري.. ولما أراد المتوكل قتله أدخله في ذلك التنور وقال: أجرينا فيك حكمك في الناس فاجلس فيه فمات بعد ثلاث وذلك سنة ٢٣٣هـ، وقيل: أنه كتب في التنور بفحمة:ـ

من له عهد بنوم
يرشد الصب إليه
رحم اللّه رحيماً
دلّ عينيّ عليه

ويقال: إنه لما جعل في التنور قال له خادمه: يا سيدي قد صرت إلى ما صرت إليه وليس لك حامد. فقال: وما نفع البرامكة صنعهم؟ فقال: ذكرك لهم هذه الساعة. فقال: صدقت!!

أما هجاء ابن الزيات للقاضي أحمد بن أبي دؤاد الذي ذكر أنه وشى به عند المتوكل، فمنه قوله:ـ

ما باله وابنه لم
يُزوّجا عربيهْ
ولا أبوه على ما
بهم من العصبيه
لكنهم حين صاروا
إلى الأمور السنيه

قد أبعدوا في التمنيّ
وأرغبوا في العطيه

فلا جزى اللّه عجلاً
والعُصْبَة الدلفيه

خيراً ولا ترك اللّـ
ـه فيهم من بقيه

وإذا كان لا بد من تعليق على التنور الذي صنعه ابن الزيات وأدخل فيه حتى مات، فإن أقرب شيء إلى ذلك المثل القائل: «من حفر بئراً لأخيه.. وقع فيه» أو ما معناه.

○○○○○

خواطر صرصرية!!

ويكون لبعض الشعراء المرموقين الذين يتصفون بالحكمة. بعض التجليات التي يأتون فيها برحيق الحكمة التي يحسن بنا الأخذ بها.. بل يجب علينا العمل بها.

ومن الشعراء الذين عرفوا بركوب الحكمة الشاعر الصرصري. واسمه يحيى بن يوسف الصرصري المتوفى سنة ٦٥٦هـ، الذي أطلق عنان لسانه في رصد تجلياته الشعرية. فاصطاد من الحكمة ما فيه التوجيه السديد الذي لا يستغني عن الأخذ به في مجال الحكمة في الدعوة إلى عفة النظر. يقول:ـ

واكفف لحاظك بالتقوى إذا طمحت
لـمـنـظـر مـنـه تـبـدو آفـة الـفـتـن

ثم يوصى بأن لا يُسْمِعَ المرء أذنه فاحشاً. وأن يكف بصره عن رؤية الفاحشة ذاتها؛ لأن القلب إذا تجاذبته الأذن والعين تحرك ومال بصاحبه إلى حيث تسمع الأذن وتبصر العين. يقول:

ولا تـعـر فـاحـشـاً سـمـعـاً ولا بـصـراً
فـآفـة الـقـلـب بـيـن الـعـيـن والأذن

وبعد هذا البيت بأبيات حذّر فيها من الدنيا والاغترار بها. ينتقل إلى التوجيه في اختيار الصاحب الصالح الموافق. ويحذر من صحبة الجاهل ويوصي بالابتعاد عنه بقدر المستطاع وإن حصلت الصحبة فإنه يرى أن تكون المداراة هي أساس التعامل ومدار التفاهم حتى يتم التفرق والتباين:ـ



ولا تصاحب رفيقاً جاهلاً أبداً
فإنه من يصاحب جاهلاً يهن

وإن بليت بمن لا ترضى صحبته
فدار واصبر وإن تقدر فعنه بن

ثم يعرج بعد ذلك على الحسود فيرى أن من الحكمة عدم كشف الأسرار له لأنه غير مؤتمن:

ولا تكاشف على الأسرار ذا حسد
إن الحسود عليها غير مؤتمن

ويرى أن للسفر حالة تتميز عن حالة الإقامة في معاملة الرفيق. فيوصِي بأن يكون المرء في السفر ذا خلق جميل حتى لا يكون عدم حسن الخلق عوناً على مشقة السفر:ـ

والْقَ الرفاق إذا ما كنت في سفر
بكل خلق جميل رائق حسن

فإنما حسن أخلاق الفتى شرف
لحسن أخلاقه كالروح في البدن

ثم يسدي النصح في أسلوب تتجلى فيه صورة النهي عن مقارنة صاحب البخل والشحيح. في قوله:

ولا تقارن ولا تصحب أخا بخل
فالبخل والشح مقرونان في قرن

ويبقى أن نقول: ـ ما أشد حاجتنا إلى مثل هذا التوجيه الحكيم.. وإن قال قائل: هذه أمور نعرفها من زاوية الأدب. ومن باب دفع الضرر عن النفس.. فسنوجز الرد عليه في قولنا.. إن في مراجعة ما نعرفه استذكاراً.. ـ وقديماً قالوا: في الإعادة إفادة.



لو علمتْ لما قدمت!!

من الطيور ما يهاجر من موطن إلى آخر بحثاً عن الدفء حينما يصيبه القر في موطنه الأصلي أو البحث عن الجو المعتدل عندما يفاجئه الصيف بشدة هاجرته ولفح حره.. أو تكون هجرته بسبب القحط والتصحر الذي يحل بموطنه فيبحث عن مناطق ذات ماء وخضرة وإن بعدت عليه الشقة وطالت المسافة.. - وربما ولكن هذا احتمال ضعيف في نظري، أنه يكون عاشقاً الهجرة والتنقل من منطقة إلى أخرى بدافع حب السياحة والاستطلاع.

والطائر المهاجر الذي يقدم إلينا في منطقتنا هذه لا يستقبل مع الأسف بالترحيب وإشعاره بالأمان وتهيئة الجو الملائم له حتى يستقر ويتخذ من بلادنا مقراً دائماً، يجلب إليه أبناء جنسه من الطيور.. وإنما يستقبل بفوهة البندقية، فإما أن يكون ضحية أو أن يصاب بالذعر فيعود أدراجه هارباً من الجحيم أو قل من منطقة الموت المرصود له.

فيا أيها القوم. تدبروا الأمر جيداً واجعلوا من بلادنا واحة أمن وأمان لكل طائر قادم إليها واجعلوا منها دار سعادة ورخاء لطيور وحيوانات بيئتها.

يا قومنا.. لقد اشتكى الضب من مطاردتكم له وقتله قتلاً جماعياً بعد ما فرّ الوعل، والظبي، والريم، والغزال، الذي كان لا يقبل بديلاً بطويق وأحقافه وشعابه ووهاده. وانقطعت آثاره بالهروب كما أسلفت وبالقتل بالبندقية. وأصبح لا يعرف إلا باسمه ورسمه.

يا قومنا: إن حماية البيئة بما فيها من حيوانات وطيور مسؤولية

عظيمة تقع على كل فرد منا.. ثم أليست أسواقنا مليئة باللحمان المختلفة الأنواع والأجناس. وأنها جميعها تسدُّ مسدّ لحم الغزال أو الحبارى والأرنب والضب. أم هي العداوة للحياة في بيئتنا؟.

وعن هجرة الطيور التي تواجه بما أسلفته كان للشاعر السعودي سعد العوفي رأي خاطب به الطيور بقوله من قصيدة طويلة نسبياً:ـ

لم يترك الإنسان سربك هادئاً
يمضي إلى هدف له ميعاد

لكن بتوقيت يُعَدّ فصوله
يلقاك منه لحتفك استعداد

من كل قناص تُحاكُ وسيلة
ومواسم لحضورها يعتاد

هذا يصيدك بالشباك وآخر
نار مصوبة لها إيقاد

إن رحت أو أقبلت يقبع كامنا
في ظل كل شجيرة صياد

يتفاخرون بما حوته سلالهم
ولديك مما في السلال حداد

هذا مئين حظه وزميله
ألاف حين يناقش التعداد

قالوا حلال.. قلت عند ضرورة
أو لا. فهذا يا لبيب فساد

ooooo

المقلاع.. صفته وطبيعة عمله!!!

والمقلاع الذي نعرفه في ناحيتنا في منطقة سدير الواقعة في قلب نجد في المملكة العربية السعودية. هو عبارة عن خيوط مغزولة من الصوف ومحيوكة حياكة جيدة.. وهو في حجمه لا يتجاوز حجم كف الإنسان. وشكله مستطيل. وله عروتان يربط بها خيطان قويان متساويان في الطول لا يتجاوز كل منهما المتر.. ويثبت أحدهما في سبابة اليد. والآخر يطبق عليه بقوة بين الإبهام والسبابة. ثم يوضع فيه حجراً في حجم البيضة الصغيرة أو عدد من الحصباء ثم يأخذ المرء في التلويح به بصفة دورانية وبأقصى سرعة ممكنة. ثم يفلت الخيط الذي كان بين الإبهام والسبابة فتنطلق الحصاة كالقذيفة مصوّبة نحو الهدف الذي يراد إصابته.. والمهرة ممن يستخدمون المقلاع قل أن يخطئوا الهدف.. ـ أما طبيعة عمله فقد كنا نستخدمه بوضع الحصباء الصغيرة جداً فيه لطرد العصافير وغيرها من الطيور التي تخرب الثمار وتعبث بها.

والمقلاع أصبح في الآونة الأخيرة من الأشياء التراثية التي يجهل عملها وكيفية صنعها كثير من الناس في عصرنا هذا. لكنه قبل سنوات قرر أطفال فلسطين المحتلة الذين لا يملكون سلاحاً يواجهون به أعداءهم ومغتصبي وطنهم ـ يهود ـ استخدام المقلاع سلاحاً يقاومون به عدوهم الشرس فكان بمثابة البندقية في أيديهم.. فأحدث في جنود يهود المحتلين رعباً وهلعاً حيث ثبت لهم صادق فعله في رؤوسهم وصدورهم.

ولهذا العمل المقلاعي المجيد وقف بعض الشعراء مباركاً السواعد

الفلسطينية التي أجادت استخدامه أيما إجادة. . - ومن أولئك الشعراء. الشاعر السعودي إبراهيم مفتاح الذي وجه قصيدة إلى طفل «المقلاع»، من تلك القصيدة قوله:

تغدو على كفّه الأحجار مورقة
ترائبا بنداء الأرض ترضعه

طفل تراكمت الآلام في فمه
وأتخمت بصرير القيد أذرعه

ألفت رجولته الحضن الذي انسكبت
أناته في حناياها تجمعه

قالت له: بورك العصيان وارتجلت
من حزنها دمعة حزن تودعه

رشّت بقبلتها أنفاس جبهته
وزغردت حينما باست مدامعه

فراح يهمس للقلاع لعبته
وراح يعدو كأن اللهو يدفعه

تراكم الذعر في الخوذات فانحسرت
عن الرؤوس لذعر حان مصرعه

وعربدت في حنايا الطفل أعيرة
ما أعظم الطفل صدراً حين يشرعه

والقصيدة أطول من ذلك بكثير. فهي تبلغ نحواً من خمسة عشر بيتاً تقريباً. وكان فيها تصويراً واقعياً لما يمارسه الطفل الفلسطيني من دفاع عن نفسه بمقلاعه.

○○○○○

الشاعر البحتري له في النساء رأي!!

وكثيراً ما تكون النساء من حيث طبيعتهن. وما يقمن به من أدوار في ربط الأسر بعضها ببعض. وتوثيق وشائج العلاقات الرحمية بين الناس. موضع خلاف ومثار جدل بين أهل الفكر من الرجال.

والذي له اهتمام بمعرفة آراء أهل الفكر فيما لطبيعة النساء من أدوار في الحياة الاجتماعية يجد أن أهل الفكر منقسمون على أنفسهم إلى قسمين فيما يرونه من رأي في دور النساء في حياة الناس. . ـ فقسم يبدي محاسنهن وما لهن من فاعلية في الحياة التعاطفية التي تقوم عن طريق الزيجات في إقامة العلاقات وما إلى ذلك مما لطبيعتهن قدرة على صنعه. . ـ وقسم يتناسى هذا الدور الذي يعتبر من أهم ما في الحياة الاجتماعية بصفة عامة. ويأخذ في عدّ مساوئهن عدّاً يدخلهن به في جملة صناع المشكلات للرجال.

وإذا تجاوزت ذكر نماذج من القسم الأول؛ لأنه يمثل نسبة كبيرة جداً من آراء السواد الأعظم لواقعيته. . فإن ذكر نموذج من القسم الثاني يكون أولى وذلك لندرته واستظرافه. . وليكن النموذج من الشعر وليكن الشاعر البحتري وليكن الموضوع من قصيدته التي عزّى بها أبا نهشل محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسي عن ابنته وطلب إليه أن لا يحزن عليها لأنها ليست ابناً ينازل الأعداء بالسيف:ـ

أتبكي من لا ينازل بالسيـ
ف مشيحاً ولا يهزُّ اللواءَ

ويقول في موضع آخر من القصيدة: إن البنات لسن من زينة الحياة التي ذكرها الله.



لسن من زينة الحياة كعدّ الـ
لّـه منها الأموال والأبناءَ

وهو يرى أن لفظة ـ البنين ـ التي جاءت في قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ خاصة بالذكور وأن الإناث يقال لهن ـ بنات ـ ولسن بنيناً. وقد وقف أصحاب المعاجم عند هذا المعنى وأطالوا الوقوف عليه.

ثم ينتقل إلى موضوع فيه تذكير بأنهن يلدن في الغالب من يكون عدواً. ويُوَرّثن المال الأقاصي من الناس.

قد ولدن الأعداء قِدْماً وورّثـ
ن التلاد الأقاصِيَ البُعَدَاءَ

ويمضي في التذكير بأن الحزن لم يكن عليهن فيما تقدم من العهود. ويسوق مثلاً على ذلك بنبيّ الله يعقوب الذي ما حزن إلّا على يوسف.

وعلى غيرهن أُحْزِن يعقو
بُ وقد جاءهُ بنوه عشاءَ

ويستمر في ذكر ما يجلبنه من هموم فيذكر قصة شعيب مع نبي الله موسى.

وشعيب من أجلهن رأى الوحـ
ـدة ضعفاً فاستأجر الأنبياءَ

ويمضي في ذكرهن خاتماً تلك القصيدة بقوله:ـ

واستنزل الشيطان آدم في الجـ
ـنة لما أغرى به حواءَ

وتلفّتْ إلى القبائل فانظر
أمهات ينسبن أم آباءَ

ولعمري ما العجز عندي إلّا
أن تبيت الرجال تبكي النساءَ

من الهجاء ما يكون مُبَطَّناً بالتندر والفكاهة!!

ويأخذ بعض الشعراء حينما يشرعون في هجاء خصومهم جانباً من السخرية. وطرفاً من الفكاهة اللاذعة التي تكون مستساغة من الناحية الأدبية استساغة يقبل الناس معها على قراءة القصيدة. حيث لا يجد التأفف إلى ألفاظها سبيلاً.. وبالتالي لا يكون هناك مبرر لعدم قراءتها من جميع فئات الناس على اختلاف مشاربهم في القراءة والثقافة..

ـ والهجاء ربما يكون خاضعاً في أسلوبه وألفاظه لشخصية المهجو.. إذ أن هناك أشخاصاً اعتباريّين لهم كيانهم في المجتمع. وذوي قدرة على الانتقام ممن يهجوهم هجاء مقذعاً. فيقف الشاعر موقف الحذر من سوء العاقبة فيتجنب اللفظ المؤذي ويبتعد عما يقع في صميم المهجو حتى وإن كانت مثالبه معروفة ومشتهرة بين الناس، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن بعض الشعراء يلتزم الأسلوب الأدبي فيما يقوله من هجاء فيبتعد عن الإقذاع وساقط الألفاظ ابتعاداً يجعله سمة من سمات شعره ومنهجاً يتميز به عمن سواه من الشعراء..

أما الذي يكون بؤرة للألفاظ المقذعة والعبارات الساقطة من المهجوين فهو ذلك الذي لا يُهابُ إن أقبل. ولا يُعَابُ إن أدبر كما يقولون. بل إن ما يهجا به يقال على مسمع منه دونما خوف أو خشية أو وجل.

أما عن الهجاء المبطن بالتندر والفكاهة. والذي تدب فيه روح الحذر من المهجو والخوف من سطوته. فإن دواوين الشعراء الحكماء مليئة به. ولنأخذ على سبيل المثال لا الحصر أبياتاً من قصيدة البحتري التي



امتدح فيها المعتز واسمه: المعتز أبو عبد الله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد وأمه رومية سماها المتوكّل قبيحة لتفوقها في الجمال. وقد ولد المعتز سنة ٢٣١هـ، وكان أبوه قد جعله وليّ عهده بعد المنتصر فلم تتم له الولاية لأن المنتصر أرغمه على خلع نفسه. ولما مات المنتصر وَوَلِيَ المستعين حبس المعتز وأخاه المؤيد حتى كانت الفتنة بين قواد المستعين فأخرج المعتز وبويع وتم له الأمر بعد خلع المستعين في ٢٥٢/١/٤هـ، ولم يزل والياً إلى أن خلع في ٢٥٥/٧/٢٧هـ.

وفي القصيدة نفسها هجاء المستعين. واسمه: المستعين أبو العباس أحمد بن محمد بن الرشيد وأمه اسمها مخارق وكانت ولادته سنة ٢٢٠هـ وولى الخلافة بعد المنتصر كما أسلفت يوم الأحد ٥ ربيع الآخر سنة ٢٤٨هـ إلى أن خلع يوم الجمعة ٢٥٢/١/٤هـ وفيه يقول البحتري من تلك القصيدة:

متى أمل الدّيّاكُ أن تُصْطفى له
عُرى التاج أو تثنى عليه عصائبه

فكيف ادّعى حَقَّ الخلافة غاصب
حوى دونه إرثَ النبيِّ أقاربه

بكى المنبرالشرقي إذ خار فوقه
على الناس ثوْرٌ قد تدلّتْ غباغبه

ثقيل على جنب الشريد مُراقب
لشخص الخوان يَبْتَدِي فيواثبه

إذا ما احتشى من حاضر الزاد لم يُبَلْ
أضاء شهاب الملك أم كلّ ثاقبه

إذا بكر الفرّاش ينثو حديثه
تضاءل مُطريه وأطنب عائبه

تخطى إلى الأمر الذي ليس أهله
فطوراً ينازيه وطوراً يشاغبه

فكيف رأيت الحق قرّ قراره
وكيف رأيت الظلم آلت عواقبه؟

○○○○○

هل نتعايش مع إسرائيل بالإجبار أم بالرضا؟!

والمسلمون من العرب ومن غير العرب لا يقبلون بأي حال من الأحوال مسألة التعايش مع إسرائيل كدولة معادية في قلب الأمة العربية والإسلامية من حيث الموقع الجغرافي القائم الآن... ـ لكنهم يقبلون بالتعايش مع يهود كجماعات وأفراد تتكفل الدول الإسلامية بحمايتهم كما أوصى بذلك ديننا الحنيف.. ـ ولكن ولما هي عليه حال المسلمين والعرب جميعاً من ضعف فإن المفاهيم السياسية والقوى الضاغطة والاعتبارات التي توجدها تكنولوجيا صناعة الأسلحة الفتاكة ومعدات الحرب المدمرة قد تسللت إلى ذلك الرفض وجعلته في منعطف يشير إلى أمرين لا ثالث لهما: ـ إما القبول الصوري غير الاعتقادي بالتعايش مع إسرائيل حتى لا يكون المسلمون كبش فداء لإسرائيل أو ثفالة رحى تدير قطبها قوى طاغية تدلل إسرائيل وتطيل من أظفارها.. وإما فرض القبول على المسلمين بالطرق الإجبارية فرضاً ليس في الاستطاعة عصيانه أو الخروج عليه.. وهذا الأخير هو ما يلوح في أفق المباحثات التي تدور الآن ونحن في عام ١٤١٣هـ، في القاعات والأروقة السياسية في عواصم الدول المعادية للإسلام بصفة عامة كأمريكا وروسيا ودول أوروبا وغيرها.

والنظر إلى كيف أن إسرائيل أصبح لها كيان وقوة واعتبار دولي.. يخضع في جملته لفلسفات عقلية. ويقوم على معطيات تشير إلى أن لنا يداً في سبب وصول إسرائيل إلى هذا المستوى الذي هي عليه الآن من القوة ومن توثيق الصلات بالقوى المهيمنة.. وهذه اليد يترجم فعلها تفرقنا الذي لم نعد معه متمكنين من توظيف مواردنا كأمة عربية وإسلامية توظيفاً سياسياً واقتصادياً تحركه يد مسلحة أمينة قوية تحكم شرع الله وتدعو إلى

وحدة الدين والعقيدة... ولمّا لم يكن ذلك. وذلك بسبب الفرقة التي زرعها بيننا أعداء الإسلام. قامت دولة يهود على أرض فلسطين.

- وأما المنطق الفلسفي الشعري في هذه القضية التي هي أم القضايا، فقد جاء في الأبيات التي قالها الشاعر أحمد عبد السلام البقالي تحت عنوان: «قنابل إسرائيل» ونشرتها مجلة «المنهل» ٥ جمادى الآخرة عام ١٤١٣هـ، بهذا النص:-

يقولون عند اليهود قنابل
تبيد الورى وتذيب المنازل

فقلت قنابل من صنعنا
وفي صنعها نحن كنا الأوائل

خلافاتنا وشقاقاتنا
وفرقتنا هي تلك القنابل

ولو أن أمتنا اتحدت
لكنا انتصرنا ولو لم نقاتل

يرانا جميع الورى أمة
ولكننا شيع وقبائل

إذا لم يكن ذاك منا انتحارا
يصر على رفضه كل عاقل

فما هو في رأيكم يا رفاقي
وفي رأي أهل النهى والفضائل؟

وطالما أن الشاعر أحمد عبد السلام البقالي قد طلب الرأي في هذه القضية.. فقد ضمنت رأيي الخاص هذا البيت:

عود إلى ديننا عودة
ومن بعدها للطغاة نناضل

البندقية في وجه الطير القادم والمقيم!!

وهذه وقفة ثانية مع جزء من قصيدة الشاعر السعودي.. سعد العوفي والتي ضمنها حشداً من أحاسيسه تجاه قنص الطيور وإبادتها بشكل عشوائي أدى إلى انقراض العديد من أنواع الطيور المستوطنة... - أما الطيور المهاجرة والتي تقطع آلاف الأميال في رحلتها إلى منطقتنا فإنها بفعل القنص الجائر تلاقي حتفها. مما يجعل لسان حالها يندب سوء حظها.

والشاعر العوفي حينما يناجي الطيور القادمة والتي تنتهي في رحلتها إلى منطقتنا إنما يناجيها بأسلوب اعتذاري مما تلاقيه من الموت حال وصولها.. وهو بذلك - والمعني الشاعر العوفي - يطلق إشارة واضحة إلى القناصين الذين لايبقون ولا يذرون محلقاً يحلق في أجواء منطقتنا إلَّا عاجلوه بإطلاق النار عليه واصطياده لا عن حاجة إلى اللحوم. وإنما للتلذذ في غالب الأحيان بتصويب الرصاص نحوه. ولإشباع غريزة هواية الصيد، ليس، إلّا.

يقول العوفي في مطلع قصيدته التي سبق وأن أخذت جزءاً منها شاهداً لموضوع تقدم تحت عنوان: «لو علمت لما قدمت»:-

في كل عام رحلة ومعاد
ألديك شوق عارم يزداد

تتجولين وكيف شئت كتائبا
لخبيرها في طاعة تنقاد

ثم بعد هذا المطلع بأبيات يناجي الشاعر العوفي الطيور مناجاة



رقيقة ويحدثها عن مدى سروره برؤيتها في الجو. وعن عشقه وتلهفه لسماع تغريدها فجراً وضحى في كل ناحية وفي كل وقت يكون للطير فيه سجمه وإنشاد:

إني لـيـأسـرنـي جـمـالـك سـابـحـا
وعــروض أجــواء لــديــك تــجــاد

ويـشـوقـنـي الـتـغـريـد فـجـراً وضـحـى
أنّـى سـجـعـت يـروقـنـي إنـشـاد

ثم يتحول بعد ذلك إلى مشاطرتها الحزن على ما يصيبها من فجائع تصدر إليها من الصيادين:

وأحـسّ نـار الـحـزن بـيـن جـوانـحـي
فـي كـل فـاجـعـة بـهـا تـصـطـاد

ويـحـز فـي نـفـسـي ويـلـهـب خـاطـري
كـون الـجـمـال مـن الـوجـود يـبـاد

وتـبـاد أصـنـاف بـغـيـر جـريـرة
فـإذا قـضـى جـنـس فـلـيـس يـعـاد

ثم يختم القصيدة بتقديم الاعتذار للطيور. واصفاً الصيادين بالجهل بما يسيء ويضر بمصلحة البيئة:ـ

عـذراً إلـيـك إذا تـسـئ عـشـيـرتـي
جـهـلاً لأمـر فـي الـقـضـاء يـراد

○ ○ ○ ○ ○



طول مكث الشاعر في المستشفى
يولد مشاعراً يبوح بها شعراً

ما خطرت ببالي الكتابة عن شعور المريض حيال طول مكثه في المستشفى لا لشيء. وإنما لأن الكتابة عن ذلك لا تتجاوز القول بأنه يعاني من بعض انهزام الأمل في الشفاء السريع. فيسبب له مللاً وضجراً يحمله داخل نفسه مع شيء من التوقعات التي فيها ما ينافي بعض التطلعات التي تقوم على الجهد البدني والنفسي الذي يعاني من وهنه.. ـ أقول: ما خطرت ببالي لولا أني قرأت موضوعاً كتبه الدكتور السعودي عبد الرحمٰن محمد العيفان تحت عنوان: «أيام في مستشفى الملك خالد التخصصي للعيون» وذيله بقصيدة من نظمه كانت هي الحافز الرئيس لكتابة هذا الموضوع.. حيث ضمنها بعض المداعبات المتعلقة بتوجيهات الطبيب وإرشاداته المتصلة بتحديد نوعية الأكل. ودخل بها من حيث الصياغة والمعنى إلى زاوية الشعر الفكاهي، أو الشعر الضاحك.. ـ وقبل أن أعرض شيئاً من أبيات تلك القصيدة أرى أنه لا بدّ من ذكر الأسباب التي دعت إلى إنشائها:

ـ يقول الدكتور العيفان: ـ لقد حدث لي ما جعلني أضطر إلى دخول مستشفى الملك خالد للعيون حيث تتوفر فيه الخبرات والكفاءات السعودية التي هي على مستوى عال من التأهيل الطبي الدقيق الذي جعل للمستشفى شهرة عالمية في طب العيون يضاهي شهرة مستشفى ـ باركير ـ ببرشلونة بأسبانيا مما جعل المريض يطمئن إليه.. ـ وقد ذكر الدكتور العيفان فيمن ذكر من الأطباء السعوديين المهرة العاملين به

الطبيبة الاستشارية السعودية ـ هيلة الحسين ـ التي سأتناول الحديث عن الإعجاب بها في موضوع لاحق إن شاء الله ـ . . . ويذكر العيفان أنه كان المقرر زمنياً للعملية التي أجريت لعينه أربعة أيام إلى خمسة يبقاها في المستشفى. لكنه انتهى أسبوع وبدأ أسبوع آخر ولم يغادر المستشفى غير أنه أبلغ أن سبب تأخير خروجه كان لأمر عادي وسيزول قريباً. . ولكن ولكثرة السائلين من زواره عن وقت خروجه. توجه بسؤال إلى الطبيب المعالج. قال فيه بأسلوب شعري استهله بقوله :ـ

لقد كثر التساؤل عن علاجي
أهل هو سائر درب ازدواجي

يقابلني التساؤل كل وقت
بألفاظ تعكر من مزاجي

أطمئن سائليّ بحسن فأل
مجيباً دون فيض من لجاج

وبعد هذه الاستهلالة بأبيات ينتقل إلى ذكر ما سبب تأخير خروجه من المستشفى فيقول:

لقد ظهر التحسس بين أنفي
وبين العين حتى للحجاج

ولم يظهر لنا حتى اختبرنا
وأوقفنا دواء ـ الفلنماج[1]

وبعض الأكل أوقفناه حتى
تركنا الموز مع بيض الدجاج

---

(١) الفلنماج: دواء البنسلين نسبة إلى مكتشفه الاسكندر فلمنج العالم البريطاني.

وأتبعناهما الأسماك قسراً
وصار الأكل من خبز العجاجى[1]

وصنف آخر لا أشتهيه
يروّج في الدعاية باسم ماجى[2]

ooooo

---

(١) العجاجي: اسم صاحب المخبز.

(٢) الماجي: نوع من الشوربة يعرف باسم ماجي.

هيلة الاستشارية

يرتاح الخاطر وتنبسط الأسارير، وتطمئن النفس حينما يتأكد لنا خبر بأن سعودياً قد مهر في فن من الفنون بصفة عامة.. وأنه أبدع فيه إبداعاً نال به درجة الأستاذية وأصبح يؤخذ برأيه فيما أشكل فيه على غيره.

وهيلة الحسين السعودية الجنسية التي أصبحت استشارية في طب العيون بمستشفى الملك خالد للعيون هي نموذج حي من نماذج المهارات السعودية التي تصل إلى درجة الأستاذية في علم طب العيون.

والارتياح لهذا الخبر جعلني أفرد له هذا الموضوع رغم أنني أشرت إليه إشارة خفيفة في موضوع تقدم تحت عنوان: «طول مكث الشاعر في المستشفى يولد مشاعراً يبوح بها شعراً» وذلك أثناء الحديث فيه عن شعور المريض وهو على السرير وما يختلج في نفسه من توقعات لمستقبل حياته ومتطلباتها التي فيها ما يعتمد على الحركة الجسمية التي يعطلها المرض ويشل من نشاطها فيحصل البؤس لا قدر الله ذلك لكل مسلم.

وأعود إلى الاستشارية هيلة الحسين فأبارك لها همتها ونشاطها الذي بوأها هذه المكانة.. وأهيب في نفس الوقت بجميع بناتنا وأولادنا إلى المضي في تحقيق الطموحات والمبادرة بإنجازها في سني الشباب لتكون ثمرة من ثمار السعادة التي نرجو أن تستوطن بلادنا وتعم نفوسنا التي تعقد الأمل على شباب المستقبل بعد الله.

ولعله من باب المصادفة أن يكون اسم هيلة الحسين اسماً لأم الدكتور عبد الرحمٰن محمد العيفان الذي كان قد أجري له عملية في عينه بعد استشارة الأستاذة هيلة الحسين فأشاد بها في قصيدة جميلة

أوردتُ بعض أبياتها في الموضوع الذي تقدم هذا الموضوع وأشرت إلى عنوانه آنفاً من تلك القصيدة قوله:ـ

فيا من اسمها اسما لأمي
نطاستها تنير من الدياجي

ويرمز لاسمها حسبا بميٍّ
وتصريحاً بهيلة بابتهاجي

لعلك ترزقين لنا بحل
يريح الجلد من ألم الهياج(1)

لعلك توقفين لنا جراماً
وسينا مرفقين مع العجاج(2)

بضاعتي الكلام وكل عرض
يقدم ما يصير إلى رواج

سألت اللّه أن يجزيك خيراً
ويهديك أمينات الفجاج

وتزدادين من علم وتقوى
وسبق في دقيقات العلاج

وتنتزعين كم قصبات سبق
محطمة لأرقام الخواجي

---

(1) يشير إلى حساسية دبت في جلده بعد إجراء العملية.

(2) جيراما وسينا ـ أي جراماسين ـ وهو نوع من الأدوية، أما عن قوله: ـ ويرمز لاسمها حسباً بمي ـ فقد علق عليه بقوله: ـ مي اسم مكون من حرفين الميم والياء. وهذان الحرفان يقابلان بحساب الحروف الأبجدية ٥٠ للميم ٤٠، وللياء ١٠ وكذلك هيلة مجموع حروفها تقابل ٥٠ فهاؤها في أولها وآخرها ولكل واحد منها ٥ فيصيران ١٠، والياء ١٠، واللام لها ٣٠، فيكون المجموع ٥٠.

إلى من لف لف الخبيثين داروين. واستنهوفر!![1]

يا من لف لف داروين الإنجليزي ورأى رأيه القائل بأن الإنسان منحدر من سلالة القرود أو العكس لذلك. كما يقول وستنهوفر الألماني.. قف لحظة لندع فلسفة هذين الخبيثين ونلقي بنظرياتهما المفترضة افتراضاً لا علاقة له بالواقع في لجة التوهم الذي غرق فيه هذان الخبيثان. ونجلس على بساط الواقع، ونتكئ على ركن الحقيقة، ونأخذ في البحث عن أصل الإنسان الذي كرمه الله على سائر المخلوقات.

وننطلق من مفهوم النظرية المعروفة والمسلم بها بل من ناحية الواقع لخلق آدم عليه السلام الذي خلقه الله من طين ثم نفخ فيه من روحه فلما استوى أمر الملائكة بالسجود له وعلمه كل الأسماء. فكان له شرف العلم الذي توارثه أبناؤه من بعده. فهل القرد عالم أو مدرك؟ والجواب بالطبع: لا.. وعلى هذا فالمنطق الحقيقي يقول: لو أن القرد من نسلِ آدم لورث علمه أو بعضاً من علمه ـ أو لو أن آدم من سلالة القرد لورث عجمته واستحال فهمه للأشياء. وذلك وفقاً للنظريات التي نوافق على صحتها وهي واقع علم الوراثة. ولعل هذا القول المحقق لعلم الوراثة قد سبقنا به غيرنا من حيث قيامه في المخلوقات وكما يقال: ـ فرخ البط عوام ـ وجرو الذئب ذئب ـ وكل فرع يعود إلى أصله ـ وما ولدت البقرة خنزيراً

---

(١) هذا الموضوع له ارتباط بصفة عامة بوضوح تقدم في الجزء التاسع تحت عنوان: «القرد لم يكن أصلاً للإنسان. والإنسان لم يكن أصلاً للقرد.. يا أيها الخبيثان».



ولا الناقة زرافة وما تحولت الحنظلة إلى بطيخة وهي أشد ما تكون شبهاً بها. كل محتفظ بشكله وصفته التي خلقه الله عليها وسيظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ـ... لكنهم وأعني بذلك ـ داروين وأضرابه ـ حينما توغلوا في الفلسفة الوهمية التي لا ترتكز على حقيقة يؤيدها العقل ويسلم بها المنطق عمدوا إلى الخيال فجعلوا من تخيلاتهم نظريات انخدع بها كثير من أصحاب العقول الضعيفة.

أما الردود الرافضة لتلك النظريات الباطلة فليست بقليلة بل هي أكثر من أن تحصر والحمد لله، ومما جاء منها في أسلوب شعري ساخر فيه تهكم بتلك النظريات الفاسدة قول الشاعر إلياس فرحات الذي جعل القرد نفسه يرد عليهم ويرفض نظريتهم؛ بل جعله يخاطب ربه بأن شرار الناس كداروين واستنهوفر قد تدخلوا فيما لا يعنيهم وجاءوا بالأباطيل التي لا يقبلها العقل، وذلك بقوله:ـ

قد قام في الغرب مخلوق بلا ذنب
من نسل آدم أشباه الشياطين

من الذين إذا ثارت مطامعهم
تنسى البرية نيران البراكين

يقول إنا وهم فرعان بينهما
قربى يؤيدها قرب التكاوين

فبالأصالة عن نفسي أكذبه
وبالنيابة عن رهط السعادين

الناس يا مبدع الأكوان ما برحوا
والشر فطرتهم من عهد قايين

أعمالهم في الثرى تنبيك أن لهم
بعض القرابة مع بعض الثعابين





قالوا ارتقى جدهم عن جدنا وهم
أحط ما صنعت كفاك من طين
يكفي السعادين فخراً أنها عرفت
معنى السعادة عفواً دون تلقين

○○○○○

الشيء الممتلك بقوة العزيمة وصدق التفاؤل يكون غالياً!!

وإذا ما سأل أحدهم قائلاً: كيف أن بعض الناس يظهر اعتزازاً بأشيائه التي يمتلكها فإن الإجابة على ذلك قد تختلف بحسب اختلاف حالات الناس من الناحية المادية. إذ أن هناك أناساً لا يجدون في سبيل الحصول على أشيائهم نصباً ولا تعباً لأنها موروثة بطبيعتها أو لأنهم ولدوا وفي أفواههم ملاعق من ذهب فلا يكلفهم الحصول عليها نصب.. وهذا بخلاف من يكدح ويكد في سبيل الحصول عليها، وهذا النوع، أو هذه الفئة من الناس هي التي لأشيائها قيمة عندها، بل إنّ لحصولها عليها لذة وطعماً خاصاً.. وقد رأى بعضهم أن هذه اللذة ما هي إلّا من إفرازات الجهد الذي بذل من أجل امتلاكها فاستحال كيانها ومثولها أمامه إلى ذكرى تعود به إلى مواقف الجد والعمل المتواصل وتذكره بأنه كان مثابراً وعزوماً ومتفائلاً بالحصول على ما كان يطلبه ويسعى من أجل الحصول عليه حتى تحقق له ذلك الشيء وأصبح بحوزته كشيء من أشيائه التي يرى في الحفاظ عليها وإبقائها في حالة جيدة معنى سامياً لقوة الإرادة وعزيمة النفس.

ولو ابتعدنا قليلاً عن بعض خصوصيات الإنسان وحبه لممتلكاته. وأخذنا في الاتجاه نحو الوقوف على تفاؤله حينما يقرر السعي في سبيل إدراك غاية معنوية أو مادية نجد أنه لا بد أن تصطحب التفاؤل في كل انطلاقة له. وفي كل تحرك نحو أي جهة يقصدها أو غاية يرمي إليها.

ويبقى أن نقول للمتفائل: ـ إذا ما أحسست بملل أو سأم سيحول

دونك ودون الحصول على الشيء الذي تريد الحصول عليه فتذكر أقوال الحكماء والشعراء في ذلك واجعلها نصب عينك فإنها تطرد السأم والملل وتحث على المثابرة. وخذ بمثل قول الشاعر أحمد محمد أبو شلباية:

ومن طلب الزهور بغير شوك
فقد طلب المحال من الحياة

وقوله في صدق من التفاؤل والأخذ بالعزيمة في الوصول إلى الغاية:

فداو بطولها ما شئت مراً
ولا تعجز إزاء النازلات

أترضى عندما يصفو نسيم
وتغضب عند مر السافيات

حياتك كلها غزو وكر
وفاز من انتضى سيف الغزاة

ومن طلب الحياة بلا كفاح
تردى من أعالي الشاهقات

ألم تسمع لقول اللّه فامشوا
تنالوا الرزق من شتى الجهات

ألم تر هذه الأفلاك تجري
بأنجمها وكل الكائنات

وإن حياتها في الجري حتى
إذا وقفت تصير إلى ممات

○ ○ ○ ○ ○



الصولي سابق والقيرواني لاحق

وسبق أبي بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٣٣٥هـ، الذي أشرت إليه في العنوان يتجلى في قصيدته التي امتدح بها الراضي بالله سنة ٣٢٧هـ، والتي استهلها بقوله:ـ

متيم متلفه تلدده
بان لبين الهوى تجلده

لكنه لم يكتب لها الذيوع ولم تسر بها الركبان كما سارت بقصيدة أبي الحسن علي بن عبد الغني القيرواني المتوفى بطنجة سنة ٤٨٨هـ. والتي يقول في مطلعها:ـ

يا ليل الصب متى غده
أقيام الساعة موعده

وقد عرفت هذه القصيدة في الوسط الأدبي بـ«ليل الصب» واشتهرت شهرة واسعة. وتناولتها الأقلام بالشرح والتعليق. لكنه لم يشر إلى أنها معارضة لقصيدة الصولي الذي سبق القيرواني بـ «١٥٣» سنة كما هو واضح ذلك من تاريخ وفاتيهما المشار إليه آنفاً. والحقيقة أن هذا يعتبر عدم إنصاف للصولي.

ولقد تقدم في هذا الجزء بحث في معارضات «ليل الصب» التي هي في الحقيقة معارضة لقصيدة الصولي تحت عنوان: «ليست معارضات ـ ليل الصب ـ نيفاً وأربعين بل نيفاً ومئتين». وذكرت إحصائية بعدد القصائد التي عارضتها. وأوردت شاهداً على ذلك بِأَجَدِّها وأَحْدَثِها تاريخاً.

ـ ولا أعطي هنا تقريراً قاطعاً بأن الصولي هو أول من طرق هذه التفعيلة والقافية، وإنما أردت بذلك الإشارة إلى أن الصولي سابق الحصري في ذلك. ولكن كان لقصيدة الحصري حظاً وافراً جعل الكثير من الشعراء يتعشقونها ويعارضونها.

أما قصيدة الصولي فهي تقل عن قصيدة الحصري في مجموع أبياتها بـ «٤٤» بيتاً إذ أن مجموع أبيات قصيدة الصولي «٥١» بيتاً كلها مديح للراضي بالله العبيدي الفاطمي.

وبعد هذه الملاحظة البسيطة أرى أن نختمها بأبيات نقتطفها من قصيدة الصولي. وذلك مثل قوله:ـ

كفاية اللّه تستطيف به
تُنحِسُ أعداءه وتسعده

أوحده اللّه في فضائله
فهو من بدء الكمال أوجده

ويمضي في القصيدة على مثل هذه الوتيرة من المديح، فيقول:

إن قال قولاً وفّى به عجلاً
يهديه للرأي فيه أرشدُهُ

فكل وقت له شريطته
يصدر هذا ما ذاك يُورِدُهُ

قد يسمح اليوم بالمراد ولا
يشبهه في سماحه غدُهُ

وقد ختمها بقوله:ـ

فإنه أعلم الملوك بما
يفعل واللّه فيه يرشِدُهُ

مفاهيم العناوين ومدى تأثيرها!!

في عصرنا هذا جدّ البحث في دراسة أساليب الإثارة وجلب الانتباه إلى المؤلفات وإلى ما هو مكتوب في الصحف والمجلات. . . ـ وأخذ البحث جانباً من التخصص في كيفية اجتذاب القارئ باختيار العنوان المشوق له.

والقول في نجاح اختيار العنوان الملفت للنظر سواء كان لقصيدة أو بحث أو مؤلف. يحتاج إلى إلقاء نظرة وإرهاف سمع. . فالعنوان الصارخ مثلاً. . إما أن يكون إشارة تدعو إلى قراءة ما تحته، أو أن يكون صفارة إنذار تحذر من الاطلاع على ما كتب تحته. . . ـ أما العنوان الهادئ فهو مناد ينادي كل قارئ. . . ولكن الاختلاف يحصل في صفوف القراء إذ أن منهم من لا يحمله على القراءة إلّا العنوان الصارخ بينما منهم من لا يجره إلى القراءة إلّا العنوان الهادئ الذي يترجم واقعية ما كتب تحته بمفهوم بعيد عن الإثارة.

وهذا الاختلاف الحاصل في مفهوم العناوين ومدى تأثير العبارات المختارة لها. . ربما كان مجال أخذ ورد بين المختصين في فن الإثارة ولفت النظر والتشويق بالعبارات الرنانة المنبهة.

أما البعض الآخر من الموضوعات، فإنها تنهك بقراءتها الباحث عن عبارة صالحة لأن تكون عنواناً لها.

ولا أريد هنا أن أستعرض نماذجَ من العنوانات المثيرة. بل أريد أن أقف على عنوان واحد منها فقط وليكن «صرخة» وهو عنوان لقصيدة للشاعر السعودي يحيى توفيق. . ورغم أنه عنوان مثير ومزعج من حيث



مفهومه إلّا أنه يتفق وواقع القصيدة التي تصف حالة المسلمين في البوسنة والهرسك وما يتلقونه من إهانات من أعدائهم الصرب.. والحقيقة أنها صرخة يستصرخ بها الشاعر المسلمين ويستنفرهم لنجدة البوسنة والهرسك. إذ يقول في مطلعها:ـ

يبلى النهار وتعبق الأسرار
ولكل يوم قصة ومسارُ

وفيها يقول:ـ

المسلمون بكل أرض أصبحوا
أسرى وأخشى أن يطول إسارُ

عار علينا أن نعيش هواننا
فالعيش في حمأ المذلة عارُ

الصرب جاءوا واستباحوا أرضه
وتنمروا وعلى الصغار أغاروا

ذبح النعاج يذبحون صغارهم
في الصرب ذبح المسلمين فخارُ

كم قتّلوا أطفاله واستأسدوا
وكم استبيح حرائر أطهارُ

وفيها يقول:ـ

هذا زمان العهر يشقىٰ حُرّه
ويضيع بين رماده الأخيار

ويحلق الأوباش فوق سمائه
ويذل في قيعانه الأبرارُ

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ نحواً من ٣٣ بيتاً.



الشعر يكون أكثر استجابة
حينما يكون حديث الشاعر عنه!!

يسترسل الشعراء في الحديث عن الشعر. وتتميز القوافي بطواعيتها عندما تكون مطلوبة لإنشاء قصيدة عن الشعر.. وكأنما هي تظهر بذلك عنصرية وتحيزاً صارخاً نحو شيء من كيانها وجزء من ذاتها.. أو كأنما هي تقول: إن لم أسعف الشاعر وأرد إلى قلمه حينما يقرر قول شعر في الشعر فأنا متهمة بعدم الوفاء للنفس. أو بالتقاعس عن واجب من أكبر الواجبات... وهو اتهام دال على الحقيقة. بل مشير إليها بأصبع الصدق، والصراحة.. ـ وإزاء هذا الواقع الانتمائي من الكلمات الشاعرة نجد أن الشاعر حينما يستخدمها للتعبير عن الشعر تأتي في سلاسة وعذوبة مدفوعة بقوة تعبيرية ولفظية يستعذب قراءتها ويستطاب ترجيعها والترنم بها.

أما كيف أن الشعر ينقاد للشاعر إذا كان يقف إلى جانبه ويشيد بمكانته بين العلوم اللسانية. ويرى أنه من أقواها من حيث التأثير في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. إذ يظهر ذلك بوضوح في القصائد التي يتحدث فيها أصحابها عن الشعر ذاته وما له من دور في دعم القيادة وصمود السيادة.

وتبرز فنيّات الشعر وهندسته إذا ناجى شاعر به شاعراً آخر وكان موضوع النجوى دور الشعر وفاعليته في النفس والحياة والمجتمع.

وذلك مثل ما جاء في قصيدة الشاعر أحمد صالح الصالح التي وجهها للشاعر الدكتور عياد الثّبيتي، وأفرد فيها لموضوع الشعر عدداً من أبياتها التي قال فيها:ـ

يا شاعري: الشعر ينضح همنا
ونبثه الشكوى فلا يتضجر

الشعر نجوانا ونبض شعورنا
نفضي إليه بما نضن ونؤثر

الشعر ملحمة لسان فضيلة
صوت ينادي للجهاد ألا انفروا

فيه أحاديث البطولة والندى
يسري به السارون أنى أصحروا

للفاتحين به مقام مجاهد
في كل بيت ألف سيف يشهر

وقال فيها:ـ

اللّه: كم من بيت شعر خالد
خَلُدتْ به حكم وأشرق منبر

ومشت به الركبان في رأد الضحى
والمدلجون ترنموا وتدبروا

يا شاعري: رجع القوافي هزني
فطفقتُ في أحلى القوافي أبحر

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ٣٧ بيتاً فيها إشارات معاناة سراييفو، وفلسطين مما يقع لسكانهما من ظلم وبطش واستبداد.. وقد قرأتها في جريدة «الرياض» العدد ٨٩٤٢، الخميس ١٤١٣/٦/٢٣هـ.

○○○○○

التغلب على الخوف من الموت.. والطمع في السعادة في الدارين يتطلب إدارة وإرادة من النفس وصاحبها!!

والإنسان الذي يخلو بنفسه.. ولو برهة من الزمن لينقطع فيها عن التفكير في الحياة المادية وينصرف بكليته إلى التفكير في الحياة الروحية التي تصور مآلاً يبتعد به عما تخادعه به نفسه من طول الأمل الذي ربما عانقه وسوسة شيطانية تولد في نفسه اطمئناناً بأن الموت إنما كتب على غيره، وإنه سيحيا حياة سرمدية غير منقطعة.. لأدرك حقيقة تحمله على الاستعداد للرحيل وتجهيز زاد السفر الذي لا رجوع منه.. واختيار وسيلة الانتقال التي تتوفر فيها معطيات لتحصل السعادة البرزخية. وفي محطة النهاية الأبدية ثانياً وأخيراً.

أما اللسان الناطق بحقيقة أن الدنيا تسير بواقعها إلى نهاية اسمها الموت والأجل المحتوم وأن كل حي سيلاقيه ويصرعه بأي صورة كانت وفي أية حال كان هو.. ثم يخرج من الدنيا مكرها إلى معاد أبديّ لا رجعة منه. فإن صاحبه يعقد مع نفسه مؤتمراً ثنائياً بين كل حين وآخر يراجع فيه معها جميع جوانب الحياة، وينظر فيما هي مسؤولة عنه، وفيما يخصها من حياة صاحبها بصفة عامة. ويتفقد سلامة أحاسيس واتجاهات جميع الحواس التي يتبادل إدارتها هو ونفسه في كل يوم وليلة بل كل ساعة ولحظة.

وعلى هذا النمط الكفاحي من النفس وصاحبها، نجد أن الإنسان في هم وكبد مع الحياة لا من أجل أن يحيا فقط ولكن من أجل أن يسعد سعادة مستمرة تنتقل معه بلذتها إلى الدار الآخرة. ولهذا فهو



يخشى أن يفاجئه الموت قبل أن تسبح نفسه في فضاء السعادة.

ولقد صور الشاعر عبد الله العيسى السلامة في قصيدة له ما تعانيه النفس الطامعة في الحياة والسعادة معاً من نكد وهم وشقاء. يحتاج التغلب عليه إلى إدارة وإرادة يحكمها الشخص ونفسه معاً... ـ من تلك القصيدة التي جعل عنوانها: «ذئب الهم»، قوله:ـ

إني لأعجب من خلقي وتكويني
بستان فن أنا لا كالبساتين

القلب في داخلي فن وغفلته
فن ويقظته سر الأفانين

والموت في مهجتي ينمو على مهل
بين الضلوع. ويحبو في الشرايين

وجه بريء وروح جدّ طاهرة
لكن أظفاره أظفار تنين

يسري لهيباً فيسرى الذعر في خلدي
سماً فأصرخ منه كالمجانين

فتحتمي الروح بالرحمان باكية
طليقة من قيود الماء والطين

وتعلن التوبة البيضاء في جزع
ويسبح القلب في آيات ياسين

فينزوي الموت والذعر المميت إلى
حين فتنساهما نفسي إلى حين

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ خمسة عشر بيتاً.

الاستعمار كالنار!!

حينما يلجم القلم. وحينما تفرض الرقابة على الكلمة المعبرة عما يجيش في النفس. وحينما تبث آذان التجسس عمن يطالب بتطهير بلده من رجز الاستعمار وأدران طباعه الخبيثة. وحينما تشاد السجون وتهدم المدارس بسبب جبروته. وحينما تعطل المساجد وتقام الملاهي وتشغل بأنواع الدعارة. وحينما يصبح المواطن في وطنه بين النطع والسيف كما يقولون. وحينما تلتف حوله الثعابين الوافدة إلى بلاده. حينذاك يجد المواطن نفسه مضطراً إلى البحث عن وسيلة يعبر بها عما بداخله علّه يبث روح الانتقام في مجتمعه حتى لا يزرع فيه الحزن على ضياع مصالحه يأساً يزيد من نشاط المستعمر في تجهيل أمته وتغفيلها. ولكن ولعلمه إنه سيحاسب عن أي عبارة في إثارة واستنهاض صريح لأمته فإنه يلجأ إلى القول على ألسنة الحيوانات والطيور. فيجعل من الطير شاكياً لما يعانيه من الغربة وهو في بلده فيرثي حاله وحال أمته في رسائل شعرية متبادلة بين طيرين يشكو كل منهما قسوة الزمان وظلم الإنسان لكن هذا الأسلوب أصبح معروفاً في الوسط السياسي وفي مفهوم المستعمر البغيض. . . ـ وحيث أن الأمر يفرض التماس طريقة رمزية أخرى عمد الشعراء إلى وصف المستعمر بالفيضان المدمر وبالنار التي تأكل ما حولها. وبكلّ ما يأتي بالنكبات التي فيها وجه شبه لما يرتكبه المستعمر من أخطاء فظيعة بحق المواطن. فيأخذ مثلاً ـ والمعني بذلك الشاعر ـ في مناجاة النار التي تلتهم الرطب واليابس وتلحق الضرر بكل ما تصل إليه ألسنتها الملتهبة. وهو يقصد بذلك المستعمر الذي يضع يده على كل مصدر من مصادر خيرات البلاد التي وقعت تحت يده وفي قبضته اللعينة.

ومن الشعراء الذين وصفوا الاستعمار بالنار المهلكة الشاعر أحمد محمّد محجوب وذلك بقوله من قصيدة له ضمنها ديوانه «قلب وتجارب» حيث يقول فيها :ـ

شبت النار تحرق الزرع والنا
س ومأوى الغنيّ مأوى الفقير

وتُساوي ما بين قفر يباب
وجنان ذوات زهر نضير

وتدك حصوناً زعزعها الرعـ
ـب وتلوي بشامخات القصور

بدّدت شمل أمتي ولظاها
ذو شهيف ونوح ذئب عقور

وحصادُ السنين أضحى هشيما
بعثرته الرياح بين القبور

أتُرى يذكر الزمان غبيا
أشعل النار في وكور النسور

ويقول منها :ـ

أغنيات الشباب عادت شجوناً
ونداء الأذان غير جهير

ويختمها بقوله :ـ

لهب النار لا يُردُّ بماء
أطعموا النار من لظى وسعير

○○○○○

من الشعر ما يخرج بصاحبه من دائرة الأدب الإسلامي!

وبعض الشعراء يتجاوز الحدود حينما يسترسل في المديح أو التغزل فيخرج عن دائرة الأدب الإسلامي وتجنح به المغالاة في ذلك إلى الاستهانة ببعض شعائر الإسلام. وذلك كالإشارة إليها أو إقحامها في مواقع شعرية يرفضها التأدب مع الإسلام.

والذي يتتبع عثرات بعض الشعراء الناتجة عن عدم مبالاتهم بربط شعائر الإسلام بمن يتغزلون به أو يمتدحونه كذكر الصلاة والصوم والحج وغير ذلك في مواقع ينزه ذكرها فيه. ويجل عنه. يجد الكثير الذي ربما نافى انتمائهم إلى الإسلام... ـ ولكن لعل ذلك يكون لغواً منهم وليس بمعتقد. وأنه من باب الغفلة لا من طريق تعمد الاستخفاف بشعائر الإسلام وآدابه.

وإذا كان لا بد من تدليل على أن هناك شعراء خاضوا في هذا المجال. وحملتهم محاولة الإتيان بالجديد في أشعارهم على الجرأة في ربط تمام بعض شعائر الإسلام بمن تغزلوا فيهم أو امتدحوهم. فإن أقرب شاعر نراه يربط تمام الحج برؤية محبوبته هو ذو الرمة. حيث يقول في محبوبته خرقاء:

تمام الحج أن تقف المطايا

على خرقاء واضعة اللثام

قال الدكتور عبد القدوس أبو صالح. شارح ديوان ذي الرمة:
ـ وقد انتزع أحد الشعراء من بيت ذي الرمة هذين البيتين:

إذا الحجاج لم يقفوا بخرقا
فليس لحجهم عندي تمام
تمام الحج أن تقف المطايا
على خرقا وتقرئها السلام

وقيل هما لذي الرمة. والبيت الأول منهما فيه تلك العندية التي تخفف وطأة الربط العام بأن تمام الحج لا يحصل إلا بوقوف المطايا على خرقا. عنده هو فقط وليس هو معتقد عموم الناس.

وصورة أخرى يعرضها الشاعر العباسي الماجن الحسن بن هانئ ـ أبو نواس ـ ولكن ليس في الحج وإنما في الصلاة والصوم. حيث أعلن أنّ عصيانه لن يعذله في شرب الخمر. وصرح في قوله المحموم الذي أخرجه من دائرة الأدب الإسلامي بتفضيله شرب الخمر على الصلاة والصوم. بل ربما أفضى به ذلك التصريح إلى الكفر والمروق من الإسلام إن كان قوله موافقاً لفعله في قوله:ـ

عاذلي فيها أطعني
وأقلّ الآن لومي
واشرب الراح ودعني
من صلاة كل يوم
وإذا ما حان وقت
لصلاة أو لصوم
فارفع الصوم بشرب
وامزج الخمر بنوم
أبداً ما عِشْتَ خالف
دأب قوم بعد قوم

استنوق الجمل!!

وبعض الناس يحمل وجهين. أحدهما تَطَبُّعيّ. والآخر طبيعي. لكن الوجه التطبعيّ ما يلبث أن يلوذ بالفرار فينكشف عن الوجه الطبيعي القناع الذي تستر به التطبعي فترة من الزمن.

وهذا الصنف من الناس يجمع في نفسه طباعاً متضادة يغلب بعضها فيما بعد بعضه وتكون الغلبة للمتأصل في النفس.. فإن كان المتأصل سيئاً عاد عودة الجمل الذي استنوق وإن كان المتأصل حسناً صاحبته السعادة ومضى في الحياة مسروراً يردد أهازيج سعادته.

وإذا كان هناك ما يدعو إلى الالتفات إلى حالة الجمل الذي استنوق وتغير منه كل شيء حتى ملامحه وتصرفاته. وإلى الوقوف على معالجة النزول من القمة إلى الحضيض فإن الالتفاتة والوقوف يعنيان البحث عما يمنع من استنواق الجمل. وتغلّب السيء على الحسن. وهذا لا يحصل أو لا يتحقق إلّا بالاتفاق مع النفس على توحيد المبدأ أو السير على قاعدة ثابتة لا يمكن تغيرها بأي حال من الأحوال.. ولكن أي مبدأ؟ وأي قاعدة تسييرية يتفق عليها؟ ـ والجواب يكمن في أرض الاختيار في بداية الأمر لا بد أن يأتي نتيجة دراسة سِيَر الفضلاء ومناقب الحكماء. وحياة السعداء حتى تتوفر من أعمالهم أسس يتفق مع النفس عليها. وتتخذ منهجاً لحياة سليمة من التضاد وخالية من التناقض.

كنت أعرف زيداً من الناس متصفاً بالكرم وبالشهامة وحسن المروءة. ثم غرّب في البلاد وشرقت فيها فترة من الزمن. ثم التقينا فإذا

بي أرى زيداً غير زيد الذي كنت أعرفه. حيث تغير منه كل شيء فكل ما فيه من محاسن انقلبت إلى أضدادها.. فقلت في نفسي: والله أنه ما قيل هذا المثل: «استنوق الجمل» عبثاً. وإنما هو وليد حادثة فيها وجه شبه لما حصل لزيد من تغير.. ـ ولكون هذا الموقف مثيراً. قلت فيه شعراً خفيفاً جعلت الأولوية فيه للموضوع دون الاهتمام بمحسنات الشعر ووزنه وبلاغته:

قد كنتَ في ماض مضى
شهماً وتُدعى بالبطلْ

فما الذي تُرى.. جرى؟
وما الذي تُرى حصلْ؟

أصبحت ذا وجهين في
ما قد عملتَ من عملْ

وطبقوا عليك قو
لهم ـ استنوق الجملْ ـ

هل رحلة الجهل بدتْ
أم ذاك مسّ من خبلْ

ألا إن الحياة يا
هذا لها معنى أجل

فكيف صرت ناكصا
نكوص أصحاب الفشل

تبدّلت منك الخصا
ل الطيبات بالحيل

○○○○○

القدرة على التكيف مع الظروف والثبوت على الطبع!!

يغير المسافر أحياناً اتجاهه ويمضي نحو وجهة غير التي كان يقصدها حال انطلاقه.. ويتجاهل العالم حين لا يستطيع تغيير أمر غير مرضي عنه حتى لا يوصف بالجهل... ـ ويعدل السياسي عن وجهة نظره إذا رآها تتعارض مع سياسة تدعمها قوة أقوى من القوة المنفذة لسياستها... ـ والكثير من الناس يستطيع الاستمرار على تصنع أشياء يرى أن مصلحته مرتبطة بالمحافظة على التزامها. وإن كان في ذلك ما يخالف طبعه ويتعارض مع عاداته وتقاليده... والحقيقة أن هذه الأشياء تمارس في حدود القدرة التكيفية مع الظرف الذي يفرض ممارستها بشكل وقتي وهي جانب من المصانعة التي تحقق مصلحة أو تدرأ خطراً.. لكن هناك سؤال يقول: ـ هل كل يجيد المصانعة؟ ويأتي بها على الوجه الذي لا يظهر عليه التكلف. ولا يكون لافتاً لانتباه من يراد مصانعته فيعدها استخفافاً بعقله وذكائه وفطنته فتكون بالتالي منعكسة بكل مفاهيمها وجميع نواياها على صاحبها.. بل ربما سببت له أموراً محفوفة بالمخاطر التي قد تصل إلى هلاكه.

وإذا كانت طباع الناس تختلف بحسب قدراتهم الشخصية على التمثيل من ناحية.. وعلى الظهور بما كانوا قد جبلوا عليه من طباع وأخلاق من ناحية أخرى. فإن هناك فارقاً كبيراً بين من يجعل التصنع ذلولاً يقضي عليها حوائجه وبين من لا يستطيع التحول عن أخلاقه وشيمته قيد أنملة.

وإذا أردنا معرفة أي أصحاب المهن أقرب إلى الاستجابة إلى داعي المصانعة وجدنا الماديين والميّالين إلى المنفعة هم أكثر استجابة وأسرع لأنهم أقوى مقدرة على تمثيل دور المصانع. وقد يدخل في زمرتهم

أصحاب الأقلام والخطباء وبعض الشعراء الذين يعرفون كيف يتكسبون بأشعارهم. . ـ أما الشعراء الذين نذروا أنفسهم لرفع شأن بلادهم فإن طبع كل واحد منهم يأبى المصانعة ويعشق رفع الصوت في وجه كل باغ ومعتد على أمته وعلى خيراتها مهما بلغ به التهديد والوعيد. حتى ولو كان هو كبش الفداء لبلاده. . ـ ومثل هذا الشاعر قد وصفه الشاعر محمد أحمد محجوب في قصيدة عنوانها: «شاعر»، منها قوله:ـ

لا تلمه فما تعوّد صمتاً
أو توارى عن العيون ازورارا

شاعر فجر الرياض غناء
والروابي أثارهن وثارا

سار في مهمه الحياة مجدًّا
في ظلام الوجود يهدي الحيارى

باسطاً كفّه لغير سؤال
بل لمسح الدموع تهمي غزارا

يعصر الوجدُ قلبه وغناه
كشهي المنى وحلم العذارى

ومنها قوله:ـ

فهو مثل الطير يشدو طليقاً
ويعاف القيود يأبى الأسارا

لا يطيق البقاء في الظلم حُرٌّ
عبقريٌّ ولا يطيق انكسارا

عندليب الرياض إما تغنّى
وجفاه الصحاب أكدى وطارا

من مقومات ترجمة الشعر من لغة إلى أخرى!!

كل لغة في العالم تحتفل بشعر شعرائها بصفة عامة.. لكن الذي تمتد يد الترجمة لنقله من لغته الأصلية إلى لغة المترجم هو ما كان مستحسناً منه.. ـ وإذا توقفنا عند ترجمة أي شعر إلى اللغة العربية. فإن شرط الترجمة لا بد أن يكون لغة عربية فصيحة حتى تلبسه اللغة العربية ثوباً جميلاً من بديعها وبلاغتها فيكون أفضل مما كان عليه في لغته الأصلية ولهذا يجب أن لا يقوم على ترجمة الشعر من أي لغة إلى اللغة العربية إلّا من كان شاعراً متمرساً وملماً إلماماً تاماً باللغة التي سيترجم عنها. وعارفاً بأسرار اللغة العربية ومحسناتها ومرادفاتها. فإن لم يكن كذلك وأقدم على الترجمة من باب المحاولة أو من زاوية الرغبة في الظهور باسم المترجم ـ فلان ـ فإنّه يأتي بمادة مترجمة رديئة قد تزري باللغة العربية وتحول جمالها إلى قبح ربما رماه بها من لا يعرفها بالتقصير وعدم استيعابها للغات الأخرى... ومثله في ذلك مثل الذي يترجم الشعر العربي إلى لغة أخرى وهو لا يحسن فهم اللغة العربية فيميل بديعياته وسحر بيانه إلى صورة مشوهة يحق للشاعر العربي الاعتراض عليه. بل ربما يحق له إقامة دعوى ضده لأن ذلك يعد من وسائل التشويه لواقع اللغة والأدب. أو قل تخريب بنية المادة التي ترجم عنها وتصرف في ترجمتها تصرفاً انحدر بها عن مستواها اللغوي والأدبي والبلاغي.

ونحن نقرأ الكثير مما ترجم إلى اللغة العربية من أنواع الآداب الإنجليزية والفرنسية وغيرهما. فنجد ليد المترجم العربي مسحة جميلة تزيد من جمال صورة المادة المترجمة. وتشوق بالتالي إلى قراءتها وفي

مجال ترجمة الشعر، يبرز الشعراء العرب في ترجمة الشعر العالمي فيوفونه حقه. بل يبدعون في ترجمته نصاً ومعنى. ولا غرابة في ذلك فالشعر ديوانهم وهم أهله... - وإلى هذا الحد من الكلام عن ترجمة الشعر أرى أن أسوق نموذجاً لترجمة قصيدة عنوانها: «ثورة شاعر» للشاعر الروسي باستر ناك من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية. قام بترجمتها الشاعر محمد أحمد محجوب. وضمنها ديوانه «قلب وتجارب»:

أنا ضائع كالوحش في أقفاصه
والناس في أوطانهم أحرار

خلفي ضجيج مطاردين ولا أرى
كيف الخلاص وليس ثم فرار

والغابة السوداء حول بحيرة
وجذوع سرو في الضفاف نثار

سدّتْ طريقي لست أبصر منفذاً
أنا لا أبالي أن يكون عثار

فإذا جنيت من الشرور تُرى. وما
أنا قاتل أو مجرم غدّار

وأنا الذي حمل الأنام على البكاء
لجمال قُطر حسنه يشتار

إني إلى قبري أسير مهرولاً
وغداً سيقضي الواحد القهار

والشّر يُهْزَم رغم أنف حماته
والخير يَنْصُرُ روحه الأخيار

○○○○○

المفهوم السلبي والإيجابي لتجمل الفتاة!!

إن الوقوف على مفهوم تجمل الفتاة، يعطي انطلاقة متشعبة، ويرمي إلى تفسيرات متداخلة فيها ما يتفق ومطلب المظهر الأدبي العام.. وفيها ما يخالف ذلك.

والتجمل بصفة عامة أيها الفتاة الكريمة شيء مطلوب منك، وهو بك أيها الفتاة أليق، فليكن وعاء لك، بل اجعليه من صفاتك، وطبعاً من طباعك فهو عنوان لشخصك. ورمز من رموز ذوقك، وعلامة بارزة تدل على مظهرك.

- وواقع الحياة أيها الفتاة الكريمة. يفرض عليك أن تتخذي من التجمل سمةً تُعرفين بها بين أترابك ونظيراتك.

ومن ناحية أخرى.. بل من ناحية التجمل المربوط بالاحتشام وبمراعاة الآداب الإسلامية نقول لك أيها الفتاة الكريمة: - لا تجعلي من التجمل سبباً يفضي بك إلى التبرج وإخراج الزينة لغير محرمك، فينزلق بكل إلى الخلاعة، وينحدر بك إلى السفاهة والسفالة... - والحذر كل الحذر أن يكون التجمل وسيلة للافتتنان بك.. ودعوة صريحة منك لمغازلتك. أو يكون خيطاً يقودك نحو مهاوي الردى ومراتع الدّنس أو مواقع الشبهات.

وبعد هذا أيها الفتاة الكريمة. يبقى أن نلتفت إلى الجانب السلبي من التجمل. فنقول:-

- التجمل في غير المواطن التي يحسن بك أن تتجملي فيها ربما. بل من المؤكد أنه سيلفت أنظار الرجال. وأنه سيكون رمزاً لإثارة

بعضهم. ومدعاة للخلاعة. ومؤشراً لانحلال خلقي نسأل الله لنا ولك منه العافية والسلامة.

شعرٌ؛ ومما أتحفنا به الشاعر الكبير محمد حسن فقي من شعر يناسب هذا الموضوع. قوله من قصيدة طويلة عنوانها: «على مذبح الحرية» وعدد أبياتها ٣٢ بيتاً. قرأتها في جريدة «المدينة» ٢٣ رجب عام ١٤١٣هـ.

ورأيتها في عُرْيِها فتراجعتْ
عيني تراجُع خائب محزون

لم تبق فيها فتنة مخبوءة
تُغرى العيون بسرّها المكنون

وقوله منها:ـ

صوني عفافك رب تفريط به
يُلقيك في حمأ الهوى المسنون

تتخبطين به فما من مسعف
لك حينما يلقاك وسط أتون

وقوله منها:ـ

جُرح العفاف يظل أحمر قانياً
تشتم منه مذلة المطعون

وقوله منها:ـ

إن التحرر دون قيد آفة
كالقيد دون تحرر وركون

فتجملي لكن بدون خلاعة
وتحرري لكن بدون مجون

وخذي بتقليد أتاك وراثة
من أمة ليست بذات قرون

أيهما المتسبب في عنوستها؟!

والعنوسة قد أصبحت مشكلة شباب هذا العصر إلّا أن الفتيات أكثر تضرراً من تفشيها في المجتمع.. وشمولية القول في قضية العنوسة تنطلق من جواز التذكير والتأنيث في هذه اللفظة.. فنقول: - عانس - للذكر وللأنثى معاً.

وإذا ما صرفنا الحديث في هذا الموضوع إلى الأنثى. واتجهنا به نحو كل فتاة بلغت ما بلغت من العمر وهي لم تتزوج بعد قلنا أن بعض الفتيات تكون هي السبب في تخلفها عن قطار الزوجة؛ لأنها قد وضعت شروطاً لفارس أحلامها. قلّ أن تتوفر جميعها في شاب من الشباب لكنها لو قنعت ببعضها على أن يكون الدين والخلق في مقدمتها لأمكنها السفر في الوقت المناسب في قطار الزوجية وودعت العنوسة.. ولكن غرور الشباب أبى عليها ذلك. فقعدت مع من خَلَّفهم القطار في محطة الانتظار.. على أن هناك عوانساً كان سبب عنوستهن آباؤهن.. حيث أن بعض الآباء كان ينظر إلى المادة، وكأنما ابنته سلعة يعرضها في سوق التجارة للمزايدة. وهو لا يعلم أنه لا يحق له بل يحرم عليه أن يأخذ شيئاً من مهرها إلا ما كانت سامحة له به.

وبين مطالبة الفتاة بفارس الأحلام ذي الشروط المتعددة.. وانتظار والدها للخاطب المملوء الجيب يمضي الوقت مضياً يخلف الندم الذي تتزايد شدته يوماً بعد يوم إلى أن يبلغ عنفوان قوته عندما يلوح الشيب في مفرق الفتاة ويذهب بريق غضارة الشباب. ويذبل برعم ربيع العمر ذبولاً يقلل من خاطبيها إلّا من المسنين الذين يبحثون عمن يقوم على خدمتهم.. - فإلى الفتاة التي ما زالت مستعدة للسفر في قطار الزوجية

وإلى أبيها أعرض ما تقدم للاتعاظ.. وأضيف أبياتاً من قصيدة للشاعر محمود مفلح التي، منها قوله:

مَرّتْ على خدها بالأصبع اللدن
و هالها ما رأت من وطأة الزمن

كل القطارات مرّتْ وهي واقفة
إلّا القطار الذي ترجو فلم يبن

وقوله:ـ

واليوم صار لها وجه تضيق به
فيه التجاعيد رمز الهمّ والحزن

إذا أراد أخوها أن يضاحكها
تفجرت فيه.. قالت: أنت تزعجني

تطيل في تلكم المرآة نظرتها
وتزفر الآه بعد الآه من شجن

آه لو أن أبي قد كان يفهمني
آه لو أن أبي قد كان ينصفني

كم خاطب جاءني والشوق يملؤه
قد كان يخجله سخراً ويخجلني

أصبحت كالشاة يا أمي يعاملني
وأن بيعي موقوف على الثمن

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ٢٠ بيتاً وقد قرأتها في ملحق «المدينة» الأربعاء ٢٠ رجب ١٤١٣هـ. ويبقى أن أقول للذي عنست ابنته بسببه: بُؤْ بإثمها وإثمك ـ أما التي كانت هي سبب عنوستها فلها في الأمثال قولهم: ـ على نفسها جنت براقش ـ.

الشاعر من أقوى المنتصرين للمرأة!!

والوقفة إلى جانب المرأة حينما تؤول حالها إلى وضع غير طبيعي من الناحية الاجتماعية ليست بغريبة من الفكر المتحضر بل هي من طبيعة حياة المجتمع الذي يجعل التكافل نصب عينيه في كل أمر من أموره.

وحيث أن المرأة هي أكثر تعرضاً لهضم حقوقها وانتقاص معنويتها لدى بعض المجتمعات.. نرى الأقلام المنصفة أو المنادية بإنصاف المرأة ينطلق في المطالبة بحقوقها المشروعة التي تجعل منها عضواً نافعاً وفاعلاً في المجتمع. بل تجعل منها أمًّا تنشئ جيلاً قيادياً يشتدّ عوده فيكون خير خلف لخير سلف.

ولأهمية الانتصار للمرأة من أي ظلم يقع عليها لعب الشعر دوراً مهماً في الوقوف إلى جانبها في المطالبة بمالها من حقوق في التعليم وما إلى ذلك من مجالات الأعمال التي تناسب طبيعته.. وأصبح الشاعر من أقوى المنتصرين لها حيث دوّى صوت القصيدة منادياً بإفساح المجال لها فيما يتفق وطبيعتها فتحقق لها من جراء ذلك مكاسباً اجتماعية مشروعة.

ومن الأساليب التي استحث بها الشاعر أصحاب الشأن ومن بأيديهم تيسير ما تحتاج إليه من أمور تصلح حياتها الاجتماعية، وتجعل منها عضواً مكملاً للمجتع. ما قاله الشاعر المصري اسكندر أفندي قزمان المتوفى سنة ١٩٢٤م، من قصيدة له عنوانها: «فتاتنا والرّقيّ»، منها قوله:ـ



سراة قومي ارفعوا شأن الفتاة فتكـ
فوها مصائب منها كم بكى الباكي

فتاتكمٍ أصبحت والحاجُ تعوزها
تحكى الأسيرة قد شدّت بإشراك

فإن عهدتم بإصلاح معاهدها
تنشط وتصبح مناراً وسط أحلاك

للّه كليّة كاد الفقير بما
له يشيّد منها كل مدماك

فليت أيديكم يوم النداء لها
تندى فتنسخ ذكرى كل إمساك

لو ردّ لي زَمَنِي عهد الشبيبة يو
م الشعر دأبي وتحلو فيه ذكراك

لزان جيدك منّي كل جوهرة
عصماء يُبدي سناها صدق دعواك

حتى ترق لشكواك القلوب ولا
بدعٌ إذا رق أقساها لشكواك

والقصيدة أطول من ذلك بكثير، فهي تبلغ ثلاثة وخمسين بيتاً وهي موجودة في ديوان الشاعر اسكندر المرسوم بـ «الروض الأبيض».

○○○○○

شاعر يستنطق طيراً!!

واستنطاق الطير ومناجاته لون من ألوان الأدب. ومنحى يأخذ به الشاعر من أجل البوح بما تكنه نفسه من أشياء ليست بمرضية.

والشاعر السعودي عبد الرحمٰن العبد الكريم سمع طائراً يرفع صوته من على غصن شجرة قريبة منه.. لكنه لا يدري. أهو يشدو ويغني طرباً أم أنه ينوح ويبكي حزناً على نازلة أنزلها به دهره؟.

يا أيها الطير الصدوح
هل أنت تشدو أم تبوح

قل لي بربك ما دهاك
ما تَوَدُّ به تنوح

ويمضي في مساءلته عن حاله. وهل هو يذكر مجداً كان قد ضاع منا فناح على فقده؟ أم هو يرثي حالة طير كسر جناحه وأصبح مقعداً؟.

هل أنت تذكر مجدنا
إبان هاتيك الفتوح؟

أم بين رفقتك الكبار
طير كسير أو جريح؟

ويستحثه على التصريح بما حمله على رفع صوته ليشاطره الهم إن كان قد رفع صوته لِهَمٍّ ألمّ به أو خطب مدلهم فاجأه.

قل لي أشاطرك الهموم
ففي التناجي ما يريح

ويلحق في مطالبته بالبوح عما في داخل نفسه من ألم بلهجة يؤكد فيها بأنه يماثله فيما هو فيه من حال:

إنـــي وأنـــت كـــطـــائـــريـــن
تـــقـــابـــلا فـــوق الـــســـفـــوح

ويؤكد الشاعر عبد الرحمٰن لذلك الطائر الذي انفرد بمناجاته بأنه لم يعد يستطيع بعدسماعه أن يفارقه. وإنما أخذ يطالبه بتبادل الشدو والنياحة لتجانس حاليهما:

أنّـى لـنـفـسـي بـعـد قـربـك
أن تـمـيـل إلـى الـنـزوح

أو أن تـكـون شـجـونـهـا
بـعـد الـتـنـادي لـلـجـمـوح

إنها مناجاة جميلة ومليئة بأسمى المعاني المرتبطة بالحياة الاجتماعية.. بل فيها إشارات ذات طابع توجيهي يلحظه القارئ في بعض عبارات القصيدة.

أما القصيدة بشكل عام فهي مرنة وتتصف بسهولة اللفظ. وعدم التكلف وهي طويلة نوعاً ما إذ تبلغ نحواً من ٣٢ بيتاً. وقد قرأتها في الملحق الأدبي لجريدة «الندوة» يوم الأحد ٢٣ شعبان سنة ١٤١٣هـ.

○○○○○

كل الذين شرحوا ديوان البحتري لم يترجموا له!!

وإذا كان لا بد من لوم في عدم الترجمة للبحتري فأجلّ ذلك بل كله يقع على الأستاذ حسن كامل الصيرفي الذي أشار إشارة طفيفة لا تكاد تذكر إلى سنة مولده ووفاته في ذيل الحديث عن طبعة الديوان التي تولى تحقيقها وشرحها. . ـ ولكن لعل الصيرفي يقول في نفسه: ـ إن البحتري أشهر من نار على علم. فكيف أصنع بحثاً في سيرته الذاتية وشهرته قد ملأت الدنيا؟. ـ لكننا نقول: إن هذه الشهرة لا تمنع من أن تضع أمام القارئ. أو قل الباحث عن معرفة سيرة البحتري شيئاً يوفر عليه عناء البحث في المراجع. وهذه الملاحظة وإن لم تكن من الأهمية بمكان بالنسبة لبعض القراء إلّا أنها ضرورية لطلبة العلم. وعملاً محموداً للصيرفي لو فعله، بل إنه يجب أن يضاف إليه شيء من طرائف البحتري وأخباره. . ـ وبما أن الأمر لم يكن كذلك وأن ديوان البحتري شبه خال من التعريف الكامل به خاصة فيما يتعلق بنسبه ومولده ووفاته، فقد عمدت إلى المراجع فوجدت أن ابن خلكان المولود سنة ٦٠٨هـ، والمتوفى سنة ٦٨١هـ، قد وفّاه حقه من التعريف به وبشيء من أخباره. حيث قال في مولده ووفاته ونسبه ما نصه: ـ البحتري هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد بن شملال بن جابر بن سلمة بن مسهر بن الحارث بن خيثم بن أبي حارثة بن جدي بن تدول بن بحتر بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمر بن الغوث بن جلهمة ـ وهي طيء ـ بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان الطائي البحتري الشاعر المشهور. ولد بمنبج وقيل بزَرْدفنه وهي قرية من قراها سنة ٢٠٦هـ وتوفي سنة ٢٨٤هـ، وكان موته بمنبج وقيل بحلب. والأول أصح.

ويبقى أن نختم هذا الموضوع بشيء من شعر البحتري في الحكمة أو المتصف بالحكمة، وذلك مثل قوله:ـ

فقد يتعاشر الأقوام حينا
بتلفيق التصنع والنفاق

وتأتي الدلو ملأىٰ بعد وهي
من الأوذام فيها والعراق

وقوله:ـ

وإن أحق الناس منّي بخلة
عَدُوٌّ عدوي أو صديقُ صديقي

وقوله:ـ

كم صديق عرفتُهُ بصديق
صار أحظى من الصديق العتيق

ورفيق رافقته في طريق
صار بعد الطريق خير رفيق

وقوله:ـ

أرى الدهر غولاً للنفوس وإنما
يقي اللّه في بعض المواطن من يقي

ولم أر كالدنيا حليلة وامق
محبٍّ متى تحسن بعينيه تطلُق

فلا تُتبْع الماضي سؤالك لِمْ مضى
وعرّج على الباقي فسائله: لِمْ بقى

○ ○ ○ ○ ○

كاد أبو تمام أن يخذل البحتري في مجلس أبي سعيد!!

ويحصل لبعض الشعراء مواقف يصل مداها إلى خذلانه خاصة إذا كان الشاعر في بداية الطريق إلى الشهرة وتجاسر على امتداح الأكابر والأعيان الذين تعج مجالسهم بالرواة وفحول الشعراء الذي غالباً ما يسببون له إحباطاً عن طريق السخرية بشعره وإظهار نقص لم يكن يدركه. أو أن يكذبه أحدهم ويرميه بالاختلاس والسرقة ويفاجئه بالإتهام بأن الشعر الذي ألقاه إنما هو لشاعر غيره ثم يعيد شيئاً من الأبيات التي حفظها أثناء إلقائها بحكم قوة ذاكرته وسرعة حفظه. فيقف مبهوتاً لا يحير جواباً... من تلك المواقف وغيرها موقف حصل للبحتري مع أبي تمام في مجلس أبي سعيد محمد بن يوسف الثغرى.. قال البحتري: أول ما رأيت أبا تمام وما كنت رأيته قبلها أنني دخلت إلى أبي سعيد محمد بن يوسف فامتدحته بقصيدتي التي أولها:ـ

أأفاق صبٌّ من هوى فأفيقا
أم خان عهداً أطاع شفيقا

فأنشدته إياها فلما أتممتها سرَّ بها وقال لي أحسن الله إليك يا فتى. فقال له رجل في المجلس هذا أعزك الله، شعري علقه هذا الفتى، فسبقني به إليك، فتغير أبو سعيد وقال لي: يا فتى. قد كان في نسبك وقرابتك ما يكفيك أن تمت به إلينا، ولا تحمل نفسك على هذا، فقلت: هذا شعري أعزك الله. فقال الرجل: سبحان الله يا فتى لا تقل هذا. ثم ابتدأ فأنشد من القصيدة أبياتاً. فقال لي أبو سعيد: نحن

نبلغك ما تريد. ولا تحمل نفسك على هذا، فخرجت متحيراً لا أدري ما أقول. ونويت أن أسأل عن الرجل من هو. فما أبعدت حتى ردني أبو سعيد ثم قال لي: جنيت عليك فاحتمل. أتدري من هذا؟ فقلت: لا. قال: هذا ابن عمك. حبيب بن أوس الطائي أبو تمام. فقم إليه. فقمت إليه فعانقته ثم أقبل علي يقرظني ويصف شعري. وقال: إنما مزحت معك. فلزمته بعد ذلك وكثر عجبي من سرعة حفظه.

وقصيدة البحتري تلك طويلة فهي تبلغ ثلاثة وسبعين بيتاً ومعظم أبياتها سرداً لذكر الانتصارات التي تحققت لأبي سعيد وقومه. وقد استهلها بلون ممزوج بالتغزل والتغنِّي بالطبيعة حيث يقول بعد البيت السابق مباشرة:ـ

إن السُّلوّ ـ كما تقول ـ كَرَاحَةٌ
لو راح قلبي للسُّلُوِّ مطيقاً

هذا العقيق وفيه مرأى مونق
للعين لو كان العقيق ـ عقيقا

شقيقة العلمين هل من نظرة
فتبلّ قلبا للغليل شقيقا

وسمتك أردية السماء بديمة
تحيي رجاء أو تردّ عشيقا

ولئن تناول من بشاشتِك البلى
طرفا وأوحش أُنسكِ الموموقا

فلرب يوم قد غنينا نجتلي
مغناك بالرَّشَإِ الأنيق أنيقا

علّ البخيلة أن تجود بها النوى
والدار تجمع شائقاً ومشوقاً

التضمين والاقتباس.. وصحة المُقْتَبَسِ!!

يطرز الكتّاب والشعراء بعض أعمالهم بالتضمين والاقتباس من المصادر والمراجع التي يعطي ما يقتبس منها قوة وشموخاً للموضوع الذي تطعم به ـ إضافة إلى أنه دليل واضح على سعة اطلاع كاتبه، وعمق ثقافته فيتحقق له بذلك صفة الكاتب الجيد والقارئ المثقف معاً.

وجواز التضمين والاقتباس في كتابة الشعر يحصل بضمانات. هي بمثابة حفظ الحق للمتقدم. حتى يستفيد المتأخر مما سبق إليه من مبنى أو معنى. ـ وعلى هذا النمط من الإباحة فإنه قلما نقرأ ديوان شعر أو مؤلفاً نثرياً إلّا ونجد فيه شيئاً من التضمين والاقتباس الذي يميزه الكاتب أو الشاعر المتأخر بوضعه بين قوسين لينبه بذلك القارئ ويشير إلى أن ما بداخل القوسين ليس من صنعه. وربما حصل منه تعليق تهميشي فيه ترجمة لصاحبه. وهذا عمل مطالب به وبفعله يحمد عليه وهو يقيه في نفس الوقت من تهمة الانتحال.

والذي أودّ الإشارة إليه أو التنبيه عليه بالأصح هو أن يكون المقتبس مقتبساً لما هو مفيد وصحيح ومنسجم مع الموضوع الذي يتناوله. هذا من ناحية تضمين أقوال الحكماء والفلاسفة والشعراء والمفكرين المتقدمين عليه.

أما الاقتباس من الأحاديث الشريفة فإنه يجب على المقتبس منها أن يتأكد من صحتها لأن اقتباسه حديثاً موضوعاً أو ضعيفاً يساعد على نشره.. وقد يقرأه بعضهم بشكله التضميني فيحكم بصحته استناداً إلى أنه ما اقتبس، أو استشهد به إلا وهو صحيح ورواته ثقات.

ومما يحصل من الاقتباس مما هو غير صحيح من الأحاديث فكاقتباس البحتري هذا الحديث: «دفن البنات من المكرمات» الذي ختم به أبياتاً عزى بها أبا الحسن بن الفرات عن ابنته. ونصها:ـ

أبا حسن إن حسن العزا
ء عند المصيبات والنازلات

يضاعف فيه الإله الثوا
ب للصابرين وللصابرات

ومنزلة الصبر عند البلاء
كمنزلة الشكر عند الهبات

ومن نعم اللّه لا شكَّ فيه
بقاء البنين وموت البنات

لقول النبيّ عليه السلا
م: دفن البنات من المكرمات

وما يصح تضمينه ويحسن.. تضمين الشاعر بهاء الدين زهير واسمه أبو الفضل زهير بن محمد بن علي المهلبي المولود سنة ٥٨١هـ والمتوفى سنة ٦٥٦هـ ـ للبسملة ـ وذلك في قوله ممتدحاً الأمير النصير اللمطي:ـ

صفحا لصرف الدهر عن هفواته
إذ كان هذا اليوم من حسناته

يوم يُسَطَّرُ في الكتاب مكانه
لمكان بسم اللّه في جثماته

مطل الزمان به زماناً أنفسا
أنفتْ وعاد لها إلى عاداته

التاء مَجْفُوَّة كقافية عند بعض الشعراء!!

ما كنت أحسب أن ـ التاء ـ مجفوة عند بعض الشعراء إلّا بعد أن بحثت عن تتمة شعرية على قافية ـ التاء ـ لموضوع تقدم تحت عنوان: «التضمين والاقتباس.. وصحة المقتبس» في ديوان سلامة بن جندل واسمه: سلامة بن جندل بن عمر بن عبيد أنهى الناسبون نسبه إلى عدنان والمتوفى في طلائع القرن السابع الميلادي فلم أجد عنده شيئاً من ذلك. ومنه إلى ديوان حسين بن علي بن حسين العشاري البغدادي المولود سنة ٣٦٦هـ، والمتوفى سنة ٤٦١هـ، فلم أجد عنده إلّا بيتين على قافية ـ التاء ـ هما قوله: في الرد على من أشار عليه بمدح النبي ﷺ:

ماذا أقول بمدح ذي الشرف الذي
أثنى عليه اللّه في آياته

شرف الوجود ونوره وبحوره
من فضله وجماله وهباته

أما الأعمى التطليلي واسمه أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة التطيلي المتوفى سنة ٥٢٨هـ، فلم أجد له بيتاً واحداً مقفاً بالتاء وبحثت في ديوان الزقاق البلنسي واسمه: علي بن عطية الله بن مطرف بن مسلمة اللخمي المتوفى سنة ٥٢٨هـ، فلم أجد عنده إلَّا بيتين فقط هما:

وحَبّبَ يوم السبت عندي أنني
ينادمني فيه الذي أنا أحببتُ

ومن أعجب الأشياء إني مسلم
تقيّ ولكن خيرُ أيامي السبتُ



ثم طلبت ذلك في ديوان ابن شهيد الأندلسي واسمه أحمد بن مروان عبد الملك بن أحمد الأشجعي المولود سنة ٣٨٣هـ، والمتوفى سنة ٣٩٩هـ، فلم أجد له قولاً مقفاً بالتاء..

وجزمت بأنني سأجد ذلك عند المثقب العبدي واسمه على الأرجح ـ عائذ بن محصن ويقدر تاريخ ميلاده في عام ٥٣٥م ووفاته في عام ٥٨٧م فما وجدته قائلاً على التاء قافية. فعمدت إلى ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه فكان هو الآخر لم يقل شعراً مقفى بالتاء. وكذلك الشأن عند أبي الحسن حازم القرطاجني المتوفى سنة ٦٨٤هـ، صاحب المقصورة والقصيدة النحوية المشهورة..

أما زيد بن مفرغ الحميري الموفى سنة ٦٩هـ، فما وجدت فيما جمع له من أشعار إلا بيتاً واحداً هجا به عباد بن زياد بقوله:

سبق عبّاد وصلت لحيته
وكان خرازاً تجود قربته

والتمست شعراً مقفى بحرف التاء عند أوس بن حجر فما وجدت عنده شيئاً من ذلك وكذلك الشأن عند علي بن جلبة الملقب بالعكوك والمتوفى سنة ٢١٣هـ ـ ودريد بن الصمة المولود سنة ٤٨٣م والمتوفى سنة ٦٠٣م. وعبد اللطيف بن محمد الطوير القيرواني المولود سنة ١١٢٣هـ، والمتوفى سنة ١١٩٩هـ، وغيرهم كثير ممّن جفا التاء كقافية لبعض أشعاره أو تجافى عنها.

أما أعشى همدان واسمه عبد الرحمٰن بن الحارث بن نظام بن جشم ـ ينتهى نسبه إلى همدان والمولد سنة ٣٠هـ والمتوفى سنة ٨٣هـ، فلم يقل إلا بيتيين هما:

من دعا لي غُزيّلي
أربح الله تجارتُه





وخــــضــــاب بــــكــــفــــه

أســــود الـــلــــون قــــارِتُـــــه

وما وجدت في ديوان الباهلي واسمه محمد بن حازم بن عمر الباهلي المولود عام ١٦٠هـ والمتوفى عام ٢١٥هـ، غير بيت واحد هو قوله:

ألا إنـمـا الـدنـيـا عـلـى الـمـرء فـتـنـة

عـلـى كـل حـال أقـبـلـت أو تـولـت

والـمـلاحـظ أن الـقـافـيـة الـتـي تـبـنـى عـلـى ـ الـتـاء ـ تـكـون سـهـلـة الركوب.. ولكن لا أعرف سر تجنب الشعراء لركوبها؟.

○ ○ ○ ○ ○

قهوة البن

والقهوة بمفهومها العام تعنى الخمرة - ولهذه التسمية ومعناها تعليلات وإيضاحات. منها قولهم: - أن اشتقاق اسم القهوة جاء من الإقهاء. وهو الاجتواء - أي الكراهة - أو من الإقهاء بمعنى الإقعاد - وأقهى الرجل عن الشيء أي قعد عنه وكرهه - ومنه سميت الخمرة قهوة لأنها تقهي أي تكره الطعام أو تقعد عنه.

وبعد أن اكتشف البن وأصبح مشروباً محبباً لدى كثير من الشعوب سمي باسم الخمرة - قهوة - وكان أكثر الذين يتعاطونها يحرمون الخمرة فأضافوا للفظة - قهوة - تعريفاً مميّزاً فقالوا: - قهوة البن - ولا أريد هنا أن أبحث في موضوع اكتشاف قهوة البن ولا كيفية تحضيرها ومجالسها وما كتب عنها من مؤلفات ولا متى شربت. ومن هو أول من شربها. وما حصل حول شربها من جدل وأخذ ورد في تحريمها وتحليلها. وما إلى ذلك من البحوث الموقوفة على منفعتها وضررها. فكل هذا وغيره مما قيل من أشعار فصيحة وعامية. قد حرصت على جمعه فجعلت منه مؤلفاً وقع في ثلاثة أجزاء.. وسميته «الصفوة مما قيل في القهوة»، وقد تمت طباعته سنة ١٤١٣هـ، وحوى بحوثاً علمية وأدبية إلى جانب مئات القصائد من الشعر الفصيح والعامي ومئات من شواهد الأبيات.

ومن خلال قراءتي لبعض الكتب الأدبية والدواوين الشعرية بعدما أصدرت كتاب الصفوة مما قيل في القهوة. وجدت قصيدة للشاعر موسى الزين شرارة. وقد قيل أنه قالها عندما زار الشيخ محمد رضا الزين الذي كان قاضياً شرعياً في محكمة النبطية ومن عشاق شرب قهوة



البن ولما شرب القهوة معه طلب إليه أن يمدح القهوة وإلا فإنه سيهجوه، فأرسل الشاعر موسى شرارة للشيخ محمد رضا أبياتاً دعابية سنة ١٩٣١م، منها قوله:ـ

يكلفني امتداح البن شيخ
لها وهب الحشاشة والفؤادا

فقلت إذن أملأه وأطري
على رغمي الحرارة والسوادا

تعالىٰ الشعر إن الشعر من
لغير الحسن لم يسلس قيادا

بحثت فلم أجد في البن حسنا
إذا غنى القريض به أجادا

عجبت من أديب أريحي
كشيخي كيف يمحضها الودادا

فما يهواه منها لست أدري
أيهوى السقم أم يهوى السهادا

إذا حرقت تريك ـ البق ـ عينا
وقبل الحرق تحسبها قرادا

وإما صبها الساقي بكأس
حسبت الكأس قد ملأت سمادا

والأبيات أطول من ذلك فهي تبلغ ثمانية عشر بيتاً تقريباً.

○ ○ ○ ○ ○

المرأة السعودية المعاصرة درجت من عشها في طريق رسمه الإسلام لها!!

لقد مرت حقبة من الزمن سبقت النصف الأخير من القرن الرابع عشر الهجري. جردت فيها المرأة العربية من حقوقها في مجال العلم والأدب. فضلاً عن سلبها حقها كشخصية اعتبارية لها في جانب كبير من المجتمع حق مناصفة الرجل في بعض شؤون الحياة.. لكن هذا الغمط لم يدم ليله. ولم تستمر عتمته. بل انفجر فجر ليله. وانشق صبح نهاره مع بداية النصف الأخير من القرن الرابع عشر الهجري حيث أخذت الفتاة التي هي الآن أماً وجدّة مكانها. وأعطيت حقها كاملاً غير منقوص بعد ما درجت من عشها في طريق قويم بدأته بتلقي العلم والانتهال من مناهل المعرفة التي أهّلَتْها إلى ممارسة الأعمال التي تتفق وطبيعة تركيبتها الشخصية. وتوافق أدب مجتمعها الذي يرى أن العلم نور والجهل ظلام.

وحيث أصبح ظلم المرأة. وغمط حقوقها بصفة عامة ذكرى طوتها شمس الفكر الإسلامي فإن الحديث عنه لا يأتي في هذا العصر إلا من باب السخرية بالجهل الذي كانت المرأة واحدة من ضحاياها.

ـ أما المرأة السعودية فقد درجت من عشها بكل حشمة وعفة ووقار في طريق رسمه الإسلام لها.

والذي يلفت النظر من بعض الجوانب التي كانت تعامل بها المرأة قبل النصف الأخير من القرن الرابع عشر الهجري هو أن المتحدث إذا تحدث عن المرأة قال للمستمع إليه من باب تحقير المرأة وتكريمه عن ذكرها ـ أعزك الله ـ فكأنما هي أو الحديث عنها شيء مستقبح.



أما طلاق المرأة فهم يعتبرونه مساوياً لخلع النعال ليس إلّا . . .

ـ قيل إنّ أحدهم تزوج بامرأة ثم تبين بعد ذلك أن بينها وبينه رضاعاً أوجب عليه طلاقها. . فلما طلقها واساه بعض أصدقائه. فرد عليهم بشعر يذكر فيه أنه لم يحزن على فراقها. وإنما هي أشبه ما تكون عنده بالنعال التي خلعها. يقول في ذلك الشعر:ـ

وددت وجامع الأشباح أني
لقيتك قبل لقيان الخيال

ولكن كان حسبي منك أني
وصلت بحبلك الأقوى حبالي

خيالاً طيفنا لما يزالا
بمجتمع الهنا طول الليالي

فهدأ يا صفي النفس واعلم
بأني لم أضق ذرعاً بحالي

وما لي حالة أرجو بقاها
سوى التشمير في طلب المعالي

وما آسى على شيء تولى
وهل أسى على خلعي نعالي

ولعدم واقعية هذا القول من الشاعر، قلت: البيتين التاليين كرد منّي على ذلك الشاعر:

لقد أسأت لنصفك بل جحدت
وناصبت الحنان ولم تبال

بما أوصاك به نبي
بجعل الرفق في ذات الدلال

جعفر الأمين من الشعراء الحطيئيين!!

وعندما يوصف أحد الشعراء بحطيئة العصر. فهو إما أن يكون هجاء لنفسه أو لغيره أو لكليهما. فالحطيئة الأول كان من طبعه هجاء نفسه وغيره من الناس. كما يظهر ذلك لقارئ سيرته وشعره وما خلفه من قصائد هي شاهد على قذاعة لسانه.

ـ ومن حطيئات العصر الشاعر جعفر الأمين الذي قيل عنه أنه من الأدباء الذين عمروا سوق الأدب في الخمسينات من القرن الحالي ـ أي القرن العشرين للميلاد ـ وله بين إخوانه صولات وجولات كانت ولم تزل حديث الناس.

وقيل أنه على الرغم من تتبعه لعيوب الناس ونشرها إلّا أن له أصدقاء كثر فإذا ما جلس التف حوله المعجبون بأدبه وشعره وفكاهته ونوادره.

والشاعر جعفر الأمين حينما يريد ذكر عيوب الآخرين يأتي على ذكر عيوبه ويصورها في أقبح صورة ليجعلها عذراً مقدماً لمن يتولى هجوه فكأنما هو بذلك يقول له لا تغضب من هجائي لك فأنا قد هجوت نفسي قبلك.. لكن الناقد لا يعتبر هذا مبرراً حقيقياً لهجاء الناس؛ لأن لسان حال الناس يقول: دعنا وافعل بنفسك ما تشاء.

والمنطق الحقيقي يقول: إنه ليس من الجائز أن يحصد المرء أصبعه مثلاً من يهجم على غيره من الناس ليقطع أصبعه من باب المساواة.. وليجعل حجته عند الاعتراض عليه أنه قد بدأ بنفسه. وأنه لا لوم على من جعل نفسه مقدمة في مثل هذه المواقف.



ومن قصائد الشاعر جعفر الأمين التي هجا بها نفسه.. قصيدته «شؤم شؤم» والتي، منها قوله:ـ

حياتي كلها شؤم بشؤم
وحظي حظ خفاش وبوم

استعضت عن الجمال بقبح وجه
وبالتنعاب عن صوت رخيم[1]

ومنها قوله:ـ

تصفح إن في وجهي كتاباً
تنبأ فيه عما في صميمي

فإن اللّه لما أن يراني
تصور شكل شيطان رجيم

فمن حمم ومن لهب كياني
وروحي بعض أنفاس الجحيم

وفي نفسي من الأهواء سيل
يحيل العالمين إلى هشيم

وفيها للغواية كل شوق
كشوق المؤمنين إلى النعيم

تهيم بكل كأس حرموها
ولو ملئت شراباً من حميم

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ نحواً من ثمانية عشر بيتاً.

○ ○ ○ ○ ○

---

(١) وهذا شبيه بقول الحطيئة في وجهه:ـ
أرى لي وجهاً شوّه اللّه خلقه   فقبح من وجه وقبح حامله

نجيب يرثي ثوراً ويعزي آخراً!!

قد يتبادر إلى الذهن بأن الشاعر الذي يخاطب الحيوانات والطيور وغيرها مما عدا بني الإنسان.. ويقول على ألسنتها شعراً يترجم به واقع حالها. إنما هو يأتي بذلك الشعر من جفوة الخيال له أو عن فراغ يجده أمام شاعريته. فيجعل من الحيوانات وسلوكها وآدابها مادة لقريحته الشعرية.. ـ لكن واقع الحال قائم على خلاف ما قد يتبادر إلى الذهن. إذ أن الشاعر الذي يجعل من سلوكيات وطباع الحيوانات والطيور وما عداها من ليس من بني جلدته وجنسه مادة يتعمق فيها بشعر تعمقاً لا يقوم معه فارق فيما يعالجه من قضايا اجتماعية مرتبطة بآداب الإنسان وحياته الاجتماعية. يعد متميزاً بين الشعراء بل صاحب مقدرة على تنويع مادته وإنتاجه الشعري.

وإذا ما رجعنا إلى شخصية الشاعر البارع في القول على ألسنة الحيوانات حيث يجعل منها ما يشبه العاقل الذي يوجه إليه الحديث ويطلب إليه مخاطبته. وجدناه شاعراً مرحاً ميالاً للفكاهة. وصانعاً للطّرف والنادرة الضاحكة... ـ بل إنه ليكاد يكون مطبوعاً على المداعبة. وميالاً إلى تبسيط الأمور وقولبة بعض الموضوعات التي يصحبها شيء من التضجر والهم في قالب المرح ليبدد الهم ويهون الضجر.. ولهذا فإن نتاج مثل هذا الشاعر يكون مزيجاً من الجد والهزل، بل إن بعضهم يرى أنه طبيب زمانه وحكيم مجتمعه.

ومن أولئك الشعراء الذين يحرصون على تنويع أشعارهم وتلوينها تلويناً تظهر فيه روح الدعابة والفكاهة والمرح. الشاعر محمد نجيب مروة

المولود سنة ١٨٧٩م، الذي روي أنه كان له صديق اسمه علي ـ وكنيته أبو فياض ـ وكان عنده ثوران أحدهما اسمه «خميس» والآخر اسمه «زيتون» وعجل اسمه «عنتر» وحينما أخبر الشاعر محمد نجيب بموت خميس أرسل أبياتاً إلى صديقه علي يرثي فيها خميساً ويعزي بها علياً، منها قوله:ـ

ليت البهائم في بدو وفي حضر
كانت فداءَ خميس سيد البقر

ما ضل يوماً عن المرعى ولا صدرت
أذية منه في وردٍ ولا صدر

ولا دعاه بأيام الربيع إلى
نطح السوائم داعي البغي والبطر

ومنها قوله:ـ

ما عذر ـ زيتون ـ إن لم تجر أدمعه
دماً لفقد خميس مدة العمر

إذ ما رأى مثله في أرض عامل
ثوراً يُماثله في المحرث العسر

لأن شجتك أبا فياض فرقته
فقل رضا بقضاء اللّه والقدر

وقل لفياض إن فاضت مدامعه
حزناً عليه دع الأحزان واصطبر

بُني لا خير في الدنيا وعيشتها
فإنما هي دار الهم والكدر

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ نحواً من ثلاثة عشر بيتاً. قرأتها في «موسوعة الأدب الضاحك».

الشّر المر!!

روى لي أحدهم أن رجلاً كان شاعراً وأديباً وكاتباً عمره أكثر من مائة وعشر سنوات فثقل سمعه وصارت تختلط على سمعه نغمات كثيرة من الكلمات. بل يتداخل عنده مفهومها الأمر الذي يجعل محدثه يعيد عليه ما يقوله أكثر من مرة وبصوت مرتفع.

وفي ذات يوم سأل حفيده عما إذا كان هناك جديد في الأدب؟. وكأنما هو يريد شيئاً جديداً يطربه.. . فقال حفيده: ـ نعم لقد جدّ ما يسمونه بالشعر الحر. فقال مستفهماً: ـ الشر المر؟! فأعاد حفيده: لا بل الشعر الحر!! قال مستفهماً أيضاً: ـ شعر الهر؟ قال حفيده: وظللت ألقنه إياها فلم تستجب أذنه لسماع هذه العبارة. أو بالأصح ـ لذلك التعريف للشعر ـ؛ لأنه لم يخطر على باله أن يكون هناك شعر وفي نفس الوقت يكون حراً.

وهذه الحكاية مع ما فيها من طرافة. إلّا أنها ذات معنى في نقد الشعر الحر. بل في انتقاده من حيث مسماه فضلاً عن معناه ومبناه.

والحقيقة أن الإسهاب في انتقاد الشعر الحر واجب على كل محب لأصالة التراث. وفصاحة اللغة وسلامتها من العبث بها.. ولهذا فإنني أرى أن في العودة مرات ومرات إلى الكتابة عن الشعر الحر بما يكشف دخيلته وزيفه. ويسقط مقارنته بالشعر العمودي الأصيل المقفى أمراً محتماً. وواجباً تفرضه لغتنا العربية الجميلة.

ولندع الشعراء ـ أو لنسمع بالأصح ما يقوله بعض الشعراء في الشعر الحر الذي لم تقيده قافية ولا تفعيلة. يقول أحدهم:ـ



إن القريض بلا وزن وتقفية
خُنْثى فلا هو بالأنثى ولا الرجل

ما ألبس الشعر سربال الجمال سوى
مستفعل فاعل مستفعل فاعل

ويقال أن ابن الأعرابي أنشد:

وشعر كبعر الكبش فرق بينه
لسان دعيّ في القريض دخيل

ويقول الواثلي:

وحاطب ليل في القريض زجرته
وقلت له قول الفصيح المجامل

إذا أنت لم تقدر على در لجه
فدعه ولا تعرض لحصباء ساحل

ويقول أبو تمام. وقيل أنه لدعبل:

يموت ردئ الشعر من قبل قائله
وجيده يبقى وإن مات قائله

ويقول أحدهم:

وما الشعر إلا حكمة من مؤلف
لمنطق حق أو لمنطق باطل

ويقول أبو تمام:ـ

ما أضيع الغمد بغير نصله
والشعر ما لم يك عند أهله

○ ○ ○ ○ ○



مقارنة بين الإيمان والزندقة في قصيدتين!!

وبعض الشعراء تجرّهم المغالاة في المديح فيخرجون بسببها من بوتقة الإيمان إلى متاهات الضلال وآفاق الزندقة.. وإنك لتجد أحدهم يصف - والعياذ بالله - ممدوحه بصفات الله. ويجعل من ممدوحه قوة مثل قوة الله. وجبروتاً كجبروت الله - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً -.

والناقد أو المنتقد بالأصح لذلك الشاعر الذي يرمي به لسانه في هاوية الزندقة لا يرى من المبررات ما يخوله أو يدفع به إلى امتطاء الزندقة والمروق من الدين إلّا حب المال والطمع في جزيل الهبات وعظيم الصلات من الممدوح الذي ألّهه. وذلك مثل امتداح ابن هاني الأندلسي المتوفى سنة ٣٦٢هـ، واسمه أبو القاسم محمد بن هاني الأزدي الأندلسي. للخليفة المعز لدين الله العبيدي الفاطمي. في قوله في مستهل قصيدته الرائية التي وسمت بـ «أنت الواحد القهار».

ما شئت لا ما شاءت الأقدار
فاحكم فأنت الواحد القهار

وكأنما أنت النبي محمد
وكأنما أنصارك الأنصار

أنت الذي كانت تبشرنا به
في كتبها الأحبار والأخبار

هذا إمام المتقين ومَنْ به
قد دوّخ الطغيان والكفار

هذا الذي ترجى النجاة بحبه
وبه يحطّ الإصر والأوزار

هذا الذي تجدي شفاعته غداً
حقاً وتخمُدُ أن تراه النار

والقصيدة كما هي في ديوان ابن هاني الأندلسي سبعين بيتاً لكن مطلعها، وكما تقدم فيه شيء لا يتفق مع العقل الذي يؤمن بأن الله هو الواحد القهار وأنه ليس له شريك في الحكم بهذه الصفة. ولهذا فإن النفس المؤمنة تشمئز من ذلك الشعر.

ولقد كان لهذه القصيدة معارضات ولكن على غير مذهب صاحبها. ولعل آخر قصيدة عارضتها من حيث الوزن والقافية هي قصيدة الشاعر السعودي المعاصر يحيى توفيق التي جعل عنوانها: «صرخة» وقد صب فيها جام غضبه على الصرب الذين فعلوا في مسلمي البوسنة والهرسك ـ يوغسلافيا سابقاً ـ الأفعال المشينة علاوة على القتل والتعذيب. وقد ختمها بما يشبه مطلع قصيدة ابن هانئ ولكن شتان بين المعنيين والتعبيرين فذاك زندقة وإلحاد. وهذا إيمان وابتهال وتوجه إلى الله. وذلك بقوله:ـ

ربّاه هان المسلمون ومزّقوا
وتطاول الأقزام والفجار

ما شئت أنت تشاؤه الأقدار
فالطف فأنت الواحد القهار

فيا أيها الشعراء: تذكروا دائماً قوله ﷺ: ـ «وهل يكبّ الناس على وجوههم ـ أو قيل على مناخرهم ـ في النار إلّا حصائد ألسنتهم» أو كما قال.. فاتقوا الله في أنفسكم وقولوا قولاً سديداً.

الثعالبي.. كثيراً ما ينقل ولا ينقد!!

والثعالبي لا يحتاج إلى تعريف أكثر مما قلت عنه في الجزء السابع من هذا الكتاب تحت عنوان: «الثعالبي.. لقب وليس اسماً لأبي منصور»، وإن كان هناك ما يضاف إلى منهجه في الكتابة وسيرته. فهو القول بأنه علم من أعلام الأدب بصفة عامة ومؤلف من ألمع المؤلفين في عصره فقد أثرى المكتبة العربية بتراث أدبي فيه من النصوص ما يشفي غليل الباحث في مختلف فروع الأدب.

والثعالبي يعد في معظم أعماله من طبقة الكتاب النقوليين. وإن كان له ملاحظات نقدية فهي إذا ما قيست بنقوله قليلة جداً.. ـ والذي حملني على هذه الاستهلالة التي أومأت منها إلى جانب من منهج الثعالبي في التأليف هو نقله في كتابه «برد الأكباد في الأعداد» قول أبي القاسم الإسكافي: ـ استظهاري على البلاغة بثلاثة: القرآن الكريم. وكلام الجاحظ. وشعر البحتري.. ـ ولم يحصل من الثعالبي أي تعليق على ذلك خصوصاً فيما يتعلق بإغفال الإسكافي.. الأحاديث الشريفة ولم يجعلها من الأشياء التي استظهر بها كما يقول على البلاغة.. ولئن قال قائل: كأني بالثعالبي عند نقله قول الإسكافي هذا.. يقول: هذا ما قاله الإسكافي وليس لي اعتراض على ذلك.. قلنا له: إذا سكت الثعالبي عن مثل هذه الملاحظة واعتبر التعليق عليها تدخلاً في تعديل أقوال غيره فمن يا ترى، تراه ناقداً وملاحظاً؟ ثم أليس الأجدر بالإسكافي أن يجعل بدل الثلاثة أربعة.. فيقول مثلاً: ـ استظهاري على البلاغة بأربعة: القرآن الكريم. والحديث الشريف. وكلام الجاحظ. وشعر البحتري.. إلّا أن يكون ليس له صلة بالحديث الشريف. وما قرأ شيئاً

منه فيدرك ما فيه من بلاغة. فذلك ما يجب أن يحقق فيه ويعرف مذهبه.

ويبقى أن نختم هذه الملاحظة البسيطة التي أردت من إيرادها تنبيه الكاتب في عصرنا هذا إلى إبداء رأيه فيما ينقله مما يستحق الملاحظة؛ بشيء من شعر البحتري الذي جعله الإسكافي ثالث الثلاثة التي استظهر بها على البلاغة.

يقول البحتري فيما يمكن أن نصنفه في باب الحكمة من قصيدة امتدح بها أبا نوح عيسى بن إبراهيم؛ كاتب الفتح بن خاقان:

ولا يؤخِّر شُغْلَ اليوم يذخره
إلى غد إن يوم الأعجزين غدُ

ويقول من قصيدة يرثي بها أخا الصابوني القاضي:

وننكر أنْ تُطرِّقَنا المنايا
كأنا قد خلقنا للخلود

فيا ويح الحوادث كيف تعطي
شقيّ القوم من حظ السعيد

ويقول من قصيدة يمدح بها المستعين:ـ

وأقرب ما يكون النجمُ يوماً
إذا شفع الوجيه إلى الجواد

ويقول من قصيدة يمتدح بها أبا الخطاب الطائي؛ واسمه حسن:

إذا ما تقاطعنا ونحن ببلدة
فما فضل قرب الدار منا على البعد

ويقول من قصيدة يمتدح بها أبا مسلم الكجي:

وما تنبتُ البطحاء من غير وابل
ولا يستديم الشُّكْرَ غيرُ جوادِ



ويقول من قصيدة مدح بها علي بن محمد بن الفياض:

أدلـة الـمـرء أيـام عُـددن لـه
يُـريـنـه الـقـصـد تـقـويـمـاً وإرشـادا

وقـد يـطـالـبـن مـا قـدمـن مـن سـلـف
فـيـه فـيـنـقـصـنـه الـفـضـل الـذي ازدادا

○○○○○

معاتبة بالشعر والنثر!!

والعتاب إذا كان مستهدفاً استمرارية الصداقة، ومنطوياً على صدق النصيحة، ومبنياً على قاعدة التفاهم الذي ينفي كل شك وتوهم، وينقي ما يشوب جو المتحابين والمتصادقين من عوالق مؤثرة.. ويجعل الصفاء عامل علاقتهم، والصراحة ميدان تعاملهم. فإنه يحسن اللجوء إليه عندما تدعو الدواعي إلى الأخذ بمبدئه كوسيلة من أيسر الوسائل التي ترتفع بالمتعاتبين إلى مستوى المثالية في العلاقات التي تربط بينهم.

والعتاب يجري بين الناس مزبوراً في الرسائل. إما أن يكون شعراً أو نثراً أو بهما معاً. ويكون عادة خاضعاً للصفة الأدبية التي يتحلى بها المعاتب مما يجعل فيه إطراباً للمتلقي والقارئ... والشاعر إذا أحس بأن شعره لم يفِ بالغرض من ناحية الإطراب والمعنى رفده بشي من النثر ـ أو إذا خشي أن يلتبس مفهوم الشعر على من تعاتبه به جعل العتاب نثراً وشعراً معاً وذلك مثل ما فعل الشاعر البحتري حينما عاتب صديقه الفضل بن إسماعيل الهاشمي بالأسلوبين معاً فقال في النثر:ـ

أَستمتعُ الله ببقائك، وأسأله العون على جفائك.. لولا أن الكلام يطول، ويكثر لكان الإكثار في الشكية ممكناً. لكنا نقتصر على القليل منه. وقد أهديت إليك أبيات معاتبة أتت على ما أردنا من كلام. فتدبرها وتفهمها، وعد إلى ما لم نزل نعرفك به من التفضل ولا تدعونك زيادة النعمة من الله عليك إلى الاستخفاف بإخوانك، ولولا أن ترك العتاب في موضع المعاتبة جفاء وداعية إلى القطيعة لكان أحب الأمرين إليّ ترك العتاب لثقله على المذنبين. أرشدك الله لأفضل الأمور، ووفقك لمحابّه.



أما الأبيات التي أشار إليها فهي كثيرة إذ تبلغ نحواً من ٣٦ بيتاً.
منها قوله:ـ

يا فضل.. فيم الصدود والغضب
أم فيم حبل الصفاء مُنْقَضِبُ

وقوله:ـ

يا فضل أشمتّ بي العداة وقد
أعْطيْتَهم فيّ فوق ما طلبوا

صدك عنيّ وجفوةٌ حدثتْ
من صاحب غالَ ودّهُ العطبُ

وقوله:ـ

يا صاحباً لم أخَفْ تغيره
ما هكذا فِعْلُ من له أدبُ

ما لي ـ وكنت الصديق آمله
وأرتجي نفعه وأرتقبُ

آتيك سعياً معفراً قدمي
يَحْفِزُني الشوقُ ثم تحتجبُ

وقوله:ـ

يا فضل ـ لي مقول أقول به
عضب ـ إذا ما هززته ـ ذربُ

تحجزني عنك حُرمة قدمت
وخُلّةٌ ما يشينها كذبُ

○○○○○

حقوق الشعراء لا تضيع

في المثل الشعبي: «الحقوق تبي حلوق». وقالوا: ـ «ما ضاع حق وراءه طالب».

والناظر في معاملات الناس وتداخل قضاياهم. ومقتضيات حياتهم يرى أن في الأمور المتباينة في أساليب التعامل فيما بينهم ما يلفت الانتباه ويدعو إلى تفهم نسبة حالات التعامل التي ترتفع عند أناس وتهبط عند آخرين في مقياس الخلاف الذي يحصل بينهم.. والسبب في ذلك كله يعود إلى اختلاف طبيعة سلوكياتهم، وطبائع أخلاقهم، وقوة انفعالاتهم، ومقدار تسامحهم، ومستوى تحملهم لمواجهة بعضهم بعضاً في حالات الاختصام الذي تسببه المطامع. والميل إلى الرغبة في الاختصاص وحب الذات.

ولكون هذه أموراً قد لفتت أنظار العلماء وخاصة منهم علماء النفس فأسهبوا في الحديث عنها وجاءوا بوجهات نظر أقاموا لها نظريات يطول البحث فيها. ويضيق المجال هنا عن ذكرها. فإنني أدع الكلام عنها والخوض فيها؛ لأنها قد دوّنت في مؤلفات كثيرة يمكن الرجوع إليها عندما تدعو الحاجة أو يدفعنا حب الاطلاع على ما لهم من آراء وتحليلات تطابق الواقع في كثير من المواقف التي تستوجب البحث وإبداء الرأي ـ أقول أدع ذلك ـ لأنفرد بما يعنيه عنوان هذا الموضوع: «حقوق الشعراء لا تضيع»، وهو عنوان يعني في مفهومه جانباً من التعامل الذي ربما تضيع فيه بعض الحقوق. خاصة إذا كان صاحب الحق لا يميل إلى الإلحاح ولا يجنح إلى الخصومة. ويحب الهدوء وأخذ الشيء بالممالاة بلا مشاجرة أو مجالدة.

أما الشعراء فإنه قل منهم من يضيع حقه لأنه يجرد دون ذلك لسانه فيجعل منه سيفاً مصلتا على من يجحد حقه؛ أو يتباطأ في تأديته إليه.. ـ قال البحتري: كان المتوكل كتب لي إلى أحمد بن داود السيبي بعشرين ألف درهم فمطلني بها. إلى أن قتل المتوكل فطمع في المال فتحمّلْتُ عليه بالحسن بن مخلد ومدحته. ولم أزل حتى أخذتُ المال عن آخره بجاهه. وكان قولي في مدح الحسن وهجاء أحمد بن داود السيبي؛ ثم ذكر القصيدة التي منها:

لك الخلائق فينا السهلةُ السُّمُحُ
والنَّيْلُ يسْلَسُ للراجي وينسرحُ

والمكرمات التي باتت معالمها
مشهورة كنجوم الليل تتضح

أما العفاة فقد حطوا رحالهم
بحيث تتسع الدنيا وتنفسح

فداك من لا نداه صوب غادية
تهمي ولا صَدْرُهُ للجود منشرح

أمطلقي من يد السيبي ـ أنت فقد
كلّتْ لديه ركابُ الطالب الطلح

أرى على بابه صرعي أقام بهم
طولُ المطال فلا أجدى ولا نجحوا

نغشاه لا نحن مشتاقون منه إلى
أنس. ولا هو مسرور بنا فرِحُ

إذا طلبنا بلين القول غرته
ظللنا نعالج قفلاً ليس ينفتح

البشرية بين ضرر العلم ونفعه

والشعوب التي تنشد الأمن والاستقرار؛ وتتطلع إلى السلام. تلقي في كل مناسبة سؤالاً يقول: هل العلم بواقع نظرياته وتطبيقاته. نفع البشرية وألقى عليها ظلالاً من الأمن والاستقرار أم هو أضرّ بها وجعلها تعيش في رعب وخوف من نتائجه؟ وكأنما هي تريد بهذا السؤال؛ التنبيه والإشارة إلى الأسلحة البايلوجية المهلكة. . . ـ والإجابة على ذلك تأتي مختلفة بحسب موقع المجيب عليها. . وهي بشكل عام ومجمل تتمثل في أن الذي قد مسه ضر العلم المتمثل في المخترعات المدمرة يرى أن العلم قد أساء إلى البشرية ودل على ما يبيدها. . لكن هناك من يرد على هذا القول بشيء من الواقع الذي تمليه حسن النية؛ فيقول: العلم لا ذنب له وإنما الذنب كل الذنب يقع على الذي أساء التصرف في تطبيقه؛ فصرف نظرياته وحقائقه إلى مخترعات تميت الإنسان دون أن تمسه، وذلك كتخصيب الأرانيوم وتحويل الطاقات إلى مواد مشعة تهلك الحرث والنسل وكل حي على وجه الأرض.

ولعل في هذه الإجابة ما يوقظ الضمير الإنساني لدى من يسعون بفكرهم إلى بلوغ درجة من العلم تنتهي بهم إلى اختراع سلاح شامل التدمير. وذلك سعياً وراء المادة وإن كان في ذلك معاداة للشعوب الآمنة. . بل وطمعاً في نيل قصب السبق إلى ذلك الاختراع ليسجل اسمه في قائمة المخترعين. ولا يهمه بعد ذلك. أنفع البشرية أم ضرها!!!

وللشعراء رأي فيه غضب وتذمر من تسخير العلم واستغلاله فيما

يضر البشرية ويهلكها.. ـ وفيه تحبيذ بل دعوة إلى محاربة العلماء الذين لا يألون جهداً في سبيل تحويل الذرة إلى إشعاعات مبيدة.

ومن تلك الصور الشعرية التي تمقت العلم المقصور على ذلك الإنتاج المدمر هذه الأبيات التي أقتطفها من قصيدة للشاعر فؤاد بن حسن الخطيب المولود عام ١٨٨٠م، في قرية شحيم من أعمال جبل لبنان، والمتوفى سنة ١٩٥٧م.

وقد أنذر العلم الشعوب بنكبة
تبددهم في الخافقين هباء

وإني لأخشى ثورة الغيظ في غد
تصيح: تعالوا فاقتلوا العلماء

ويا مطلق «الذّرات» من حجر أمها
لقد هجت منها فتنةً وبلاء

وسارق أسرار «الطبيعة» إنما
يكون له قطع اليمين جزاء

وإن حال نور العلم ظلماً وظلمةً
فما أيمن العميان والجهلاء

ولست معاذ اللّه أطلب رجعة
إلى الخلف تمشي بالأمام وراء

فإني بسحر العلم ما زلت مؤمناً
وإن كان سحر العلم سرَّ وساء

وتلك هي الدنيا صراع وإنها
لتنكر من أبنائها الجبناء

○○○○○

أيهما أصدق وصفاً وأبقى ذكراً...
الفن التشكيلي؟ أم الشعر؟!

والذي يريد أن يجري مقارنة بين الفن التشكيلي والشعر.. لينتصر لأحدهما على الآخر. فإنه ولا شك سيطرح عدة أسئلة أهمها: - هل الصورة أبقى من الشعر؟ وهل هي المقياس الحقيقي والنافذة المطلّة على حضارة، وحياة أمة سلفت؟ وهل هي أشد تأثيراً على الواقف أمامها من قراءة قصيدة رصدت أحداث أمة من الأمم؟ وهل هي تبلغ في الشمولية ما تبلغه القصيدة ذات المقاطع المتنوعة؟ وهل هي تستهوي بطبيعتها كل قارئ وأديب ومؤرخ وعالم مثل ما تستهويهم القصيدة التي تشتمل على ذكر الوقائع والأحداث؟ وهل هي تحدد أطر جميع الاتجاهات والتجليات مثل ما تحجمها القصيدة؟.. إن هذه التساؤلات وغيرها تفرض وضع مقارنة بين مفعول الصورة والقصيدة، والذي يقوم فارقاً بينهما ومميزاً من حيث رسم الحياة التي كان يحياها الأقدمون هو زيارة المتاحف ورؤية اللوحات وقراءة ما توحي به؛ ثم التجوال في المكتبات وقراءة كتب التراث وخاصة منها دواوين الشعر ويستنطق كل قصيدة عن أوضاع عصر شاعرها.. ومن خلال النظرة في الصورة والقصيدة يتبين أن اللوحات تعطي شكلاً صامتاً أضفت عليه الألوان شيئاً من المبالغة التي ربما يكون فيها مخالفة للواقع؛ لأن ريشة الفنان التشكيلي من عادتها المبالغة في صنع الجمال..

أما دواوين الشعر فهي ناطقة بالسِيَر الذاتية وبالتاريخ والوقائع والأحداث.. وحافلة بوصف أنواع الحياة التي زامنها الأقدمون بجدها

وهزلها ورخائها وسغبها.. وبأنماط العادات والتقاليد التي كانوا عليها.

والقول القاطع بأن الشعر أصدق من الصورة هو ما نقرأ من الشواهد. إذ لم يستشهد على حضارة أو ثقافة لأمة من الأمم السالفة إلّا بما خلفه شعراؤها من وصف لحياتها بشكل عام.. ولو استعرضنا البحوث الحديثة التي أمعن أصحابها في عمق التاريخ لوجدناها مليئة بالشواهد الشعرية التي يقصد منها الاستدلال على موضع جغرافي أو مَعْلَم حضاري أو ما إلى ذلك مما كان له شأن عند الأقدمين.

وإذا ألقينا الجد في هذا الموضوع جانباً وبحثنا عما فيه من نوادر ملتزمة بإقامة الفارق بين الصورة والقصيدة. فإننا نجد أن الشاعر فؤاد حسن الخطيب المولود عام ١٨٨٠م، والمتوفى عام ١٩٥٧م، قد تلقّى من صديق له صورة كتب في ذيلها «التصوير أروع من الشعر»، فرد الخطيب عليه منكراً قوله بقصيدة، منها قوله:ـ

يا من تأنق في التصوير يحكينا
يستوزع الفن توفيقاً وتبيينا

كم آية لك في الألواح سافرة
ملء العيون تحيينا فتحيينا

يا حابس الطيف حبس الطير في قفص
أين السرائر تحبيراً وتدوينا

حتى ما تلتقط الأشباح سانحة
ولا تصوّر فيها بعض ما فينا

ومنها قوله:ـ

فانبذ غلوك في التصوير ناحية
فحسبنا الشعر إن الشعر يغنينا



وأين أنت وما استحسنت من صور
كرُّ الجديدين يبليها ويبلينا

فابغ الحياة من الفانين إن لهم
من نفحة الوحي تأييداً وتمكينا

وانزل بزاويةٍ في بيت قافية
تلق الخلود وتشهد حوره العينا

○ ○ ○ ○ ○

الأمم المتحدة تبصر بعين واحدة!

وليت العين الفذة التي تبصر بها الأمم المتحدة عادلة في توزيع نظراتها. أو مستجيبة لرؤية أي حركة تسمعها الأذن في أي جهة أو ناحية من العالم. وإنما هي تدير حدقتها وفقاً لإرادة معينة فمتى عزمت تلك الإرادة على تطبيق قرار من القرارات الأممية كانت لتلك الحدقة التفاتة نحو الموضع الذي سيكون ميداناً لتطبيق القرار.

والسؤال الذي يتمخض عن ملازمة تركيز النظر على تصرف تلك الإرادة يقول: ـ أليس في استطاعة تلك العين أن تدير النظر وتطيل الإمعان في تصويبه في المواضع التي ابتليت بفرض تنفيذ تلك القرارات عليها. . ـ أو قل أوقعها ضعفها تحت طائلة تلك القرارات؟. . والإجابة على ذلك تقول: إنها عين آلية يوجهها صنّاعها إلى حيث أرادوا. . أو قل تآمروا. . ـ وقد يسأل سائل فيقول: ما نصيب الدول العربية والإسلامية من نظرات تلك العين؟ فتكون الإجابة من واقع المنطلق العملي لها بأنه ليس للدول الإسلامية والعربية نصيب من نظراتها الرموقة وإن حصل منها نظرة فهي تبحث من خلالها عن سوق عامرة لشراء الأسلحة حتى تمكن صاحب الإرادة المنفذة للقرارات من بيع ما يصنعه من سلاح. . فخذ مثلاً ما اتخذ من قرارات تدين إسرائيل. . هل ألقت عليها تلك نظرة يصحبها إرادة منفذة مدة خمسين عاماً تقريباً. . ثم انظر إلى مسلمي البوسنة والهرسك فيما يسمى بيوغسلافيا سابقاً. . هل تركزت عليها نظرة وهَبّتْ إليها إرادة توقف الصرب الخبثاء عن اعتداءاتهم وهتكهم لأعراض المسلمات البوسنيات وقتلهم الأطفال والشيوخ.

والراصد لحركة تلك العين الجنفاء الماكرة المماطلة يدرك أنها تغض طرفها إذا كانت الغلبة في أي مشكلة في العالم لأعداء الإسلام والمسلمين من أي ديانة كانت.

ختاماً أورد أبياتاً من قصيدة للشاعر السعودي محمد حسن العمري فيها لمحات تقرب من المعنى الذي تضمنه هذا الموضوع. وهي قوله:ـ

إذا غدا يوم العليل سنهْ
وطبيبه مستغرق في سِنَهْ

ونال منه الجهد حتى غدا
يئن من أمراضه المزمنه

نادى بأعلى صوته قائلاً
ما أضعف الإنسان ما أهونه

ما أسخف الدنيا إذا أصبحت
فيها وجوه القبح مستحسنه

مات الضمير الحي من ذا الذي
دسّ له السم ومن كفنه

وقوله:ـ

من ضيع الحق الذي باسمه
يمارسون القتل والقرصنه

يندى جبين المرء حين يرى
كرامة الإنسان مستهجنه

ليس النظام العالمي سوى
حكاية دارت على الألسنه

والقصيدة أطول من ذلك فهي ٢٤ بيتاً، كما جاء في العدد ١٠٤٠٠، الاثنين ١٤١٣/٧/٢٧هـ، من جريدة «البلاد».

صحيح البخاري ومسلم!!

ولقد أبدى التابعون رحمهم الله رحمة واسعة جهوداً تجلّ عن الوصف، وتفوق التصور في سبيل خدمة العلم وطلابه؛ بل نذروا أنفسهم لذلك فألفوا مؤلفات هي الآن المصدر لكل باحث، ومرجع وحجة دامغة يعتمد عليها في شتى الشؤون التنظيمية للحياة. حيث تنوع اختصاصاتها والمجالات التأليفية التي حقّقوها.

وحيث أن استعراض جميع مؤلفاتهم رحمهم الله غير ممكن في موضوع مثل هذا وذلك لكثرة تنوعها كما أسلفنا لكنني أقف عند شخصيتين بارزتين ومهمتين. وذلك لصلة مؤلفاتهما بأمر العبادة والسلوك والأخذ والعطاء وجميع أنواع التعامل.. والحِكَم والعظة والإرشاد والتوجيه والسياسة المستمدة جميعها من أفعال وأقوال سيد المرسلين نبينا محمد ﷺ التي مَحّصها وقدمها لنا صافية نقية لا يساورها شك ولا يرقى إليها أي توهم فأصبحت بهذا الواقع محجة بيضاء لكل حاكم، وآمر، وناهي، وقارئ، ومستمع، وطالب عام.

وهاتان الشخصيتان هما: البخاري واسمه أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن إسماعيل المحدث الحافظ المشهور صاحب «الجامع الصحيح» والمتوفى سنة ٢٥٦هـ ـ ومسلم واسمه أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري صاحب «الجامع الصحيح» والمتوفى سنة ٢٦١هـ... فجزاهما الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وجعل أعمالهما وجميع علماء المسلمين عامة شاهداً لهم لا عليهم.. وألحقنا بهم في دار كرامته إنه سميع مجيب.

وإذا كان لهذا القول المختصر بقية فلندعها للحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ، لنسمع منه أبياتاً من قصيدة له امتدح بها رسول الله ﷺ. وذكر فيها جهود أنصاره وأصحابه والتابعين لهم من أصحاب السنن وصحاح الأحاديث الشريفة. وذلك بقوله:ـ

هم دوّنوا السنن الكرام فنوّعوا
أبوابها للطالبين وقسّموا

وأصح كتبهم على المشهور ما
جمع البخاري قال ذاك المُعْظَمُ

وتلاه مسلم الذي خضعت له
في الحفظ أعناق الرجال وسلّموا

فهما أصح الكتب فيما يُجْتَلَى
إلّا كتاب الله فهو مقدم

قل للمخالف لا تعاند إنه
ما شك في فضل البخاري مسلم

رسم المصنف بالصحيح فكل ذي
عقل غداً طوعاً لما هو يرسم

هذا يفوق بنقده وبفقهه
لا سيما التبويب حين يترجم

وأبو الحسين بجمعه وبسرده
فالجمع بينهما الطريق الأقوم

والقصيدة طويلة فهي تبلغ ٧١ بيتاً، وموجودة في ديوان «أنس الحجر في أبيات ابن حجر».

مَوْئِل الدسيسة!

و «مَوْئِل الدسيسة» هو عنوان لقصيدة تبلغ ١٢ بيتاً، للشاعر فؤاد حسن الخطيب وقد تضمنها ديوانه ـ ديوان الخطيب». . وقبل أن أقف على مفهوم تلك القصيدة وأنقل منها أبياتاً تتفق وشرط تأليفي لهذا الكتاب ـ ذلك الشرط الذي أشرت إليه في فقد الجزء الأول منه ـ أرى أنه من الواجب علينا أن نشيد بديوان الخطيب يرحمه الله إشادة تتفق وقيمته الأدبية. فهو يعتبر بحق رافداً من روافد الأدب الرفيع. . كيف لا وقد حوى من الشعر ما لذّ وطاب. وارتبط بالأخلاق الفاضلة. . . ـ إنه يشبه الفلك المشحون الذي خاض به الخطيب بحر البديع وجاب به خضم البلاغة وشق به عباب الفصاحة. فجاء سهلاً واضحاً لا يحمل طابع التكلف. . ولا يصطبغ بصبغة التقعر الذي يضم في محيط دائرته الكلمات الناشزة أو النّافرة أو البعيدة المعنى. . ـ ولئن قلت أن شعر الخطيب يتصف في مجمله بصفة السهل الممتنع لما تجاوزت في ذلك حداً لا يتفق والواقع الذي هو عليه؛ لأن طابع السهولة والسلاسة اللفظية ظاهرة عليه بل هي سديته، وطابع الفصاحة وجودة التعبر هي لحمته.

أما قصيدته «موئل الدسيسة» فلا تحتاج شرحاً أو تعليقاً يوضح ما تهدف إليه أو يكشف أي معمى فيها؛ لأن عنوانها فيه دلالة على معناها. . فهي تدور حول الدسيسة التي يعاني منها المجتمع ما يعاني، ومن منا لا يدرك مفهوم الضرر الذي يحدثه الداس في نفس المدسوس عليه؟!!

والدسيسة تأتي على أوجه فهي تأتي عن طريق القول الذي يندرج في صفة النميمة حيناً. وتأتي عن طريق الفعل والتطبيق العملي لمفهومها حيناً آخر.

أما الأبيات التي وعدت باقتطافها من تلك القصيدة التي تبحث في عمق يشوب الحياة الاجتماعية من شوائب؛ فهي قوله:ـ

بربك يا دسيسة خبرينا
لأية خسة تتحفزينا

وفي أي الكهوف وأي ليل
ضرير النجم أقتم تجثمينا

وما لك تمعنين وراء ستر
فهلْ من قبح وجهك تخجلينا

* * *

وهل أحسست لؤمك فاستدارت
بك الشبهات تنتحل اليقينا

وكيف أطاق خُبثك حمل غيظ
تفجر من صدور الصائحينا

وللكلمات أنياب حداد
تعض وتنهش المتخاصمينا

وأقسم لو أجنّك كلُّ عمق
يُضلّ بهيم ظلمته السنينا

لشق الفجر ليلك واستطالت
يد تبزُّك السر الدفينا

العجوز اليابانية تصغر أمام الخنساء وكل عربية!!

والعجوز اليابانية هي تلك التي سجل موقفها الوطني الشاعر فؤاد حسن الخطيب في قصيدة له عنوانها: «العجوز اليابانية»؛ ـ حيث رسم صورة مشرقة تتجلى في حبها لوطنها ـ اليابان ـ ذلك الحب الذي بلغ بها وهي الأرملة أن دفعت بابنها الصبي الصغير إلى تسجيله ضمن الجنود الذين يقاتلون الروس دفاعاً عن بلادهم ـ اليابان ـ والحقيقة أن الاستشهاد بأي صورة لها معنى بحب الوطن يجب إبرازها للتحميس وشحذ الهمم في سبيل افتداء الوطن بالنفس والمال والولد.

والذي أود الإشارة إليه.. هو أن فرضية الدفاع عن الوطن ليس مقصوراً في صورته الفدائية على تلك العجوز اليابانية. وإنما هو شعور يمازج دم ولحم وعروق كل مخلوق له منزل وسكن يأوي إليه ـ ووالله إن الضب ليدافع عن جحره الثعابين السامة دفاع المستميت، وقال لسان حاله: ـ «تمدد فيه يا أبا طويل».

وإذا كانت العجوز اليابانية قد دفعت بوحيدها الصبي الصغير إلى قتال الروس؛ فإن الخنساء العربية واسمها تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد ـ سبقت لها ترجمة في الجزء السابع تحت عنوان: «الخنساء هي تماضر».

قد ضحت بأولادها الثلاثة؛ بل رافقتهم إلى ميدان المعركة لتزيد من حماسهم القتالي. وما حزنت عليهم حينما تساقطوا الواحد تلو الآخر على مشهد منها. وإنما حمدت الله أن قتلوا تحت راية التوحيد.. ـ وشتان بينها وبين العجوز اليابانية فالخنساء ترجو من الله ما

لا ترجوه اليابانية؛ لأنها دفعت بأبنائها إلى الجهاد في سبيل الله عن إيمان صادق يفرض مقاتلة الكفرة والمشركين.. وليس بينهما مقارنة تذكر إلا من ناحية الشجاعة النفسية.. ولكن ذكر المواقف التي يتمثل فيها حب الوطن يكون مقبولاً لدى أي قارئ كان من الناحية الانتمائية التي يجب الإشادة بها من باب التحميس.

أمّا بقية قصة تلك العجوز اليابانية كما وردت في قصيدة الخطيب فإنها حينما تقدمت بطلب قبول ابنها في صفوف الجيش الياباني لم تجد له قبولاً لصغر سنّه. فماذا فعلت يا ترى؟! لقد قتلت نفسها حتى لا يجدوا بداً من قبوله لعدم وجود عائل له.. يقول الخطيب من تلك القصيدة:ـ

وانبرت للجيش بابنٍ لم يجز
في مجال العمر أشواط الصبا

فأجابوها وقد لجّت بما
تبتغي وهي تعيد الطلبا

إن أبناء الأيامي دأبهم
خدمة الأم فعودي للخبا

ما لنا في أخذه من مأرب
أنت قد أذعنت والعدل أبى

عند هذا فاض منها دمعها
وأهابت بابنها فاقتربا

ومنها قوله:ـ

ثم لما فرغت من قولها
أعملت في صدرها عضب الشَّبا

وقضت في الحال كي يبقى الفتى
لا يـــلاقـــي لـــقـــعـــود ســـبـــبـــا

هـــكـــذا مـــن كـــره الـــذل غـــدا
عـــنـــده وِرْد الـــردى مـــســـتـــعـــذبـــا

والقصيدة أطول من ذلك بكثير فهي تبلغ تسعة وعشرين بيتاً.

○ ○ ○ ○ ○

الشباب ليس سكرة. وإنما هو قوة وفتوة!!

نحن نسمع قولهم: الشباب سكرة والشيخوخة صحوة.. وهذا الاستخدام المجازي في وصف حال الشباب يعدُّ بعيداً عن واقعه؛ لأن الشباب عزيمة وحيوية وليس سكرة وهلوسة ولهذا فإن قولهم هذا مردود من أصله. فالشباب ليس سكرة تطغى على العقل. بل هو القوة والفتوّة.. ومنبته هو الذي يميز طبعه. فهناك منابت سوء لا تنبت إلّا حنظلاً. وهناك منابت خلق وأدب لا تنبت إلا رياحينا وأشجاراً طيبة.. ـ ومن هذا الواقع وذلك القول.. نقول: ـ ليس الشباب سكرة إذا كانت يد الأدب تتولى مسيرته وتحدد اتجاهه. بل هو الصحوة القوية والانتباهة الذكية. وإنما السكرة تستولي على بعض الشيوخ الذين يتمادون في غيّهم وضلالهم، ويغرقون في الفسق والفجور، ويمعنون في هلاك أنفسهم.

والشيخ إذا ضل وتاه في طريق المعاصي فإن رجوعه قد يصل إلى درجة الاستحالة واليأس؛ لأن إقناعه لا يتصف بالمرونة كما هي الحال في معالجة ندود بعض الشباب الذي يزداد كل يوم معرفة.

والحقيقة التي لا جدال عليها؛ أن الشيخ لا يحلم إذا سفه وأن الفتى إذا سفه حلم؛ لأنه تزداد عنده دائرة الاستيعاب لما فيه خيره وصلاح أمره اتساعاً كل يوم أما الشيخ المتمادي في غيّه فإن دائرة الاستيعاب لما فيه رشده، تضيق وتنحسر فيبقى في سفاهته وغيّه وفسقه.

ومن الشعراء من أقام موازنة بين عهد الشباب الذي يتأثر بأي تيار يمر بحياته وعهد المشيب الذي يمضي بمن شاب عليه معاكساً أي تيار

يمر به. فالشيخ الشاعر محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر المتوفى عام ١٣٧٧هـ، قد قال قصيدة بهذا الخصوص هي:

سَمّيْتَ يا هذا الشبيـ
بة سكرةً والشيبَ صحوا

وأتيت في التمثيل بد
عاً وهو للأدباء سلوى

أما أنا فرأيت في
بعض الشباب عُلاً وتقوى

ورأيت رأي الحقّ في
بعض الشيوخ هوىً ولهوا

نفسان تحمل هذه
كدراً وتحمل تلك صفوا

هي فطرة بيديك فاصْـ
بُغْها كما تبغي وتهوى

تزكو إذا انسجمتْ بها
من مزنة العرفان جدوى

وتجور أنّى ساور تـ
ـها من جليس السوء نجوى

○○○○○

قبسات من الخمس المعطاة!!

والعالم إذا كان شاعراً. فإنه حينما يكتب قصيدة أو ينظم شعراً. فإنه يُطَعّمه بشيء من علمه الذي اكتسبه.. ـ ولهذا نجد شعر العلماء متميزاً عما سواه من الشعر حيث يتخلله ألوان من العلم والمعرفة العامة. ولا يخلو من التضمينات والاقتباسات التي يستدل من خلال رصدها على طبيعة تخصصه في كثير من الأحيان.

ولو أردت أن آتي على ذكر واحد من العلماء الشعراء رحمهم الله لارتكز المدار في هذه العجالة على الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ، الذي وقف على الحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحهما عن جابر قوله ﷺ: ـ «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر. وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلّ. وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي. وأعطيت الشفاعة. وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة». وفي الحديث الذي أخرجه البخاري في تاريخه والبيهقي عن ابن عباس لفظ: ـ «وكان النبي يبعث إلى خاصة قومه وبعثت إلى الجن والإنس»، يقول ابن حجر في وقفته تلك:

من بعض ما أوتيتَ خمس خصائص
لم يُعْطها الرسل الذين تقدموا[1]

---

(١) يعني بالمعظم: معظم العلماء الذين قالوا: ـ إن أصح الكتب بعد كتاب الله ـ صحيح البخاري ومسلم.



جُعلت لك الأرض البسيطةُ مسجداً
طهراً فصلى الناس أو فتيمموا

ونُصرت بالرعب المروع قلب من
عاداك من شهر فأصبح يهزم

وأعيدت الأنفال حلاً بعد أن
كانت محرمة فطاب المغنم

وبُعثتَ للثقلين ترشدهم إلى الد
ين القويم وسيف دينك قَيِّم[1]

وخصصت فضلاً بالشفاعة في غد
فالمسلمون بفضلها قد عمموا

ومقامك المحمود في يوم القضا
حيث السعيد رجاه نفس تسلم

يحبوك ربك من محامده التي
تُعطى بها ما ترتجيه. وتغنم

○ ○ ○ ○ ○

(١) هذا البيت هو الثالث والأربعين من قصيدته التي امتدح بها رسول الهدى ﷺ أما مجموع أبياتها فهي قرابة ٧٠ بيتاً، وهي موجودة في ديوان ابن حجر.

ذكرى العيد في نفوس الغرباء!!

وعندما يحل العيد يأخذ الناس زينتهم. حيث يداعب نفوسهم فرح بمجيئه. ويخالجهم شعور فياض يؤكد عليهم غسل الأدران من نفوسهم. ومراجعة حساباتهم مع أنفسهم وعلاقاتهم بالآخرين.. فيهبون لتصفية ما تعكر منها بما يفرزه النفوس من أحساد وأحقاد وفتن.

ـ ويوم العيد هو يوم عرس شامل تلتقي في ساحته البهيجة جموع الناس. وخاصة الذين يكون عيداً لهم.. ـ وعن تلك الأفراح العيدية يتمخّض أشياء كثيرة منها ما دخل بطبيعته في دائرة الأدب والثقافة. حيث تصنع القصائد. وتلقى الخطب. وتقام الأفراح الغنائية والأهازيج الشعبية. والأناشيد التقليدية. وتعقد الندوات الأدبية.. وغير ذلك من المظاهر التي يحصل فيها التجمع والمسامرة لإحياء تقاليد وعادات كان يمارسها الآباء والأجداد في مناسبة العيد.

ولكن إذا كان العيد قد حلّ وبعض أهله غرباء في بلد أو بلدان لا يقيم أهلها له أفراحاً لأنه ليس عيداً لهم فذلك الذي يهيج في نفوس الغرباء ذكرى الأعياد التي كانوا يقضونها في بلدانهم وبين أهلهم وذويهم في وسط جو تغمره الفرحة، ويحيط به السرور والبهجة.

والإمعان في استعراض ذكريات الأعياد يضرب فيه بعض الشعراء بقسط وافر من أعمالهم الشعرية. خاصة الذين حرمتهم غربتهم مشاركة قومهم بصفة عامة فرحة العيد.

ومن أولئك الشعراء الشاعر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر الذي أدركه عيد الفطر المبارك لسنة ١٣٣٣هـ، وهو في



برلين بألمانيا فتذكر ما كان عليه أهله وجيرانه من تزاور واجتماع في يوم العيد فأنشأ قصيدة، منها قوله:

أسوارٌ من عسجد وجمان
تقتنيه الحسان في الأقراط

أم هلال حَقّتْه في ليلة العيـ
ـد نجومٌ ببهجةٍ واغتباط

هذه طلعةُ الهلال وما لي
لم أجد في الفؤاد بعض انبساطي

يوم عيد وما تفتق كمٌّ
عن أنيس ولا كسمٍّ الخياط

ما تملّى سمعي تهانئ صبغت
في قُلوب موصولة بنياطي

أين جيراننا وأين المصلى
وخطيب يهدي لخير صراط

أين منّي شفيقة القلب تهدي
دعوات مثل الظباء عواطي

لو تقاضيت في اغترابي أمراً
نهضت همتي له ونشاطي

والقصيدة أطول من ذلك، وهي موجودة في ديوان الشيخ محمد الخضر حسين «خواطر الحياة».

○ ○ ○ ○ ○

الدعاء للوالي بصلاح الطوية والبطانة!!

ومهما يكن من أمر. فإن الحاكم لا يحيط بكل دقيقة وجليلة من شؤون شعبه. أو جميع متطلبات حياتهم المرتبطة بتوجيهاته وأوامره... ـ لذا فإن الحاكم الذي يخشى الله فيمن ولّاه الله أمرهم. يجعل له عيوناً تستتبع نواحي بلاده وتتعرف على احتياجات رعيته. فتضع الصورة الحقيقية لما هم عليه الناس من حال أمام أنظاره. بل ربما شفعتها بما تراه من رأي فيما يجب أن يتخذه من إجراءات إصلاحية ذات منفعة مباشرة للرعية. علّه يستحسنها ويأمر بتنفيذها فيسعد هو بالعدل في الرعية. وتستمتع الرعية بعدله فيها. فيحصل التعاطف والالتفات، والوقوف صفاً واحداً يسيّره رأيه الحكيم، ويقوده إلى النجاح أمره الصائب وتوجيهه الرشيد.

ولضرورة قيام العلاقة المحسوسة والملموسة. وما تعنيه مما هو مادي ومعنوي بين الحاكم والمحكوم فإن الأمر يتطلب وقفة على ما لكل منهم من حق وواجب.. ولأن ذكر هذا يطول فإن الاكتفاء بالإشارة إلى أهم بعضه يتمثل في القول بأن الواجب على الحاكم لرعيته أن يخاف الله فيهم ويعدل في حكمه. ولا يكلفهم من الأمر ما لا يطيقون.

أما الرعية فعليها واجبات كثيرة تجاه راعيها. لعل أهمها: الطّاعة فيما ليس فيه معصية لله... وعدم منابذته أو التآمر عليه. أو بث الإشاعة الكاذبة ضده أو ما إلى ذلك مما يفسد قلوب الناس ويصرفهم عن محبته والولاء له.

والدعاء له بصلاح الطوية؛ لأن في صلاحها صلاح لهم. وأن يلحفوا في الدعاء بصلاح بطانته التي تعينه على الحق وتذكره إذا نسي أمراً من أمور رعيته.

ولعل المناسبة تسمح لي أن أشير إلى أننا هنا ـ في المملكة العربية السعودية ـ نتمتع بعدل حكومة لا يضارعه عدل.

وبالتحام بين الشعب والحكومة لا يماثله التحام... ـ وإن سأل سائل عن السبب قلنا: ـ إن حكامنا منا ونحن منهم وليس منا دخيل على الآخر هذا من ناحية العلاقات الاجتماعية.. أما الرابط الحقيقي الذي يربطنا برباطه الوثيق فهو تحكيم كتاب الله وسنّة رسوله، والعمل بهما في كل ما يخصّ الحاكم والمحكوم معاً. ولهذا استقام أمرنا والحمد لله.

ويقرب مما قيل حول هذا الموضوع من أشعار قول الشيخ محمد الخضر حسين من قصيدة سبق أن استشهدت بجزء منها لموضوع تقدم تحت عنوان: «احتذ بحكام السعودية» خاطب بها بعض الحكام بقوله:ـ

فإن تضع لبنات في بناء عُلاً
تنافس القوم في إنجاز باقيه

وإن نهضت لخصم يوم ملحمة
كانوا الأسنة طعنا في تراقيه

وفيها يقول:ـ

وللرئيس عيون من بطانته
تفري الظلام وتوري ما انطوى فيه

أوفى البطانة عهداً من يبلّغ ما
دراه من غير تزوير وتمويه



والعبقرية والشورى إذا التقتا
على بساطك قرّت عين رائيه

يستطلع المستشير الرأي يردفه
صفاء أفئدةٍ كانت تجافيه

تسود بالحكم أحقاباً وذلك ما
أعني إذا قلتُ: ليت اللّه يبقيه

والخلد للصيت والرأي الذي ازدهرت
به الصحائف واشتدّت مراميه

○ ○ ○ ○ ○

احتذ بحكام السعودية!!

نظم شيخ الجامع الأزهر محمد الخضر حسين المتوفى سنة ١٣٧٧هـ، قصيدة جعل عنوانها: «إلى الحكيم المسلم» وقد شحنها بالتوجيه والتذكير بما للحاكم المسلم من فضلٍ وسمو إذا كان مستمسكاً بالدين الحنيف ومنفذاً للشرع في عامة رعيته وخاصتهم.. ومنبهاً له بأنه ليس فرداً عادياً كزيد أو عمرو من الناس.. وإنّما هو قمة عالية لهرم بشري.. وشخص متميز عن سائر الناس بما حباه الله من ولاية الناس وجعل بيده السلطة التي لا غنى لأي مجتمع عنها.. وقديماً قالوا: ـ لا يصلح القوم فوضى لا سراة لهم ـ.

وشعب بلا حاكم ولا رئيس هو للضياع أقرب.. وحاكم لا يطاع هو بلا حكم أوفق.

والحاكم المسلم هو الذي يجعل من نفسه له مكاناً في قلوب شعبه. لا من حيث التودد إليهم بالآداب الإسلامية فحسب. وإنما لإقامة العدل في الحكم بينهم بصرامة وحزم يمكن الضعيف من أخذ حقه من القوي. ويقسر القوي ويأطره أطراً إذا بغى وطغى وتجبر على الفقير وغمط الضعيف.

ـ ويبقى أن نقف عند حكومة المملكة العربية السعودية وحكامها من عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمٰن آل سعود رحمه الله. الذي شق نور عدله ظلام الجهل خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري إلى يومنا هذا. فآخذها ـ وأعني بذلك حكومة المملكة ـ نموذجاً لرحابة الصدر، وعنواناً لتطبيق الشريعة السمحاء لأجعل منها إيحاء الشيخ الأزهر الذي قد حاول أن يقول لمن وجه إليه الكلام في



القصيدة المشار إلى عنوانها آنفاً: «احتذ بحكام السعودية» في تطبيق الأحكام تكن ذاك الهمام.. ولا ننسى أن التاريخ والنقاد يرصدون كل خطأ وصواب يصدر منك...

يقول الشيخ الشاعر محمد الخضر حسين من تلك القصيدة:ـ

رزقتَ جاهاً فخل العزّ يحميه
والعزُّ حصن وتقوى اللّه تبنيهِ

قُلّدتَ حكماً ومنهاج السياسة أن
ترعى الشريعة فيما أنت قاضيه

أنت الهمام الذي يقضي الليالي في
صحو من الحزم لا في سكرةِ التيه

ولست أنت كزيدان يُصبْ هدفاً
أو لا يُصبْ قلّ لاحيه ومطريه

ومنها قوله:ـ

والشعب كالدوح يستمري الغيورُ له
أخلاف مُزْنَةِ عرفان فيحييه

ولا فلاح إذا ما قيّدته يد
عن النهوض إلى أقصى أمانيه

ومن يذقه رحيق الأمن سرع له
حسن الولاء وبالأرواح يفديه

وما الولاء سوى مهر لهمة من
يرى سماء الهدى أعلى مراقيه

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ ٢٠ بيتاً.. ـ ولعلي أعود إلى ما تبقّى منها فأستشهد به على موضوع مناسب لها.



فهرس الجزء العاشر